AL-HIMYARI

AL-BADI' FI WASF
AL-RABI'


Princeton University Library
32101 072545633

البديـع
في
وصف الربيع

al-Himyari, Abū al-Walīd Ismā'īl ibn 'Āmir

مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية

الجزء السابع

البديع
في
وصف الربيع

al-Badī' fī waṣf al-rabī'

للأديب

أبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري

الذي توفي قريبا من سنة ٤٤٠ هـ. = ١٠٤٨ م.

اعتنى بنشره وتصحيحه عن النسخة الواحدة الموجودة بمكتبة الاسكوريال

الاستاذ

هنري بيريس

المدرس بجامعة الجزائر

١٩٤٠ — ١٣٥٩

المطبعة الاقتصادية بالرباط — صاحبها مصطفى بن عبد الله

ترجمة المؤلف

نقلا عن « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » (١)

لابن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ. — ١١٤٧ م.

كان سديد سهم المقال ، بعيد شأو الروية والارتجال ؛ والاديب أبو جعفر بن الأبّار هو الذي أقام قناته ، وصقل مرآته ؛ فأطلعه شهاباً ثاقبا ، وسلك به إلى فنون الادب طريقا لاحِبا ؛ ولو تخطّاه صرف الدهر ، وامتد به قليلا طلق العمر ؛ لسد طريق الصباح ، وغبّر في وجوه الرياح ؛ توفي ابن اثنتين وعشرين سنة فذهب بأكثر ما كان في ذلك الوقت من حسنه ، وقد أعرب عن ذلك من أمره ، بأبيات شعر قرأتها على قبره .

وله كتاب سماه بالبديع في فصل الربيع جمع فيه أشعار أهل الاندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير ، وحظ من الحفظ موفور ، وقد أخرجت من نظمه ونثره ما يشهد بنبله وفهمه .

فصل من نثره . قال في صدر التاليف الموصوف :

« فصل الربيع آرج وأبهج وآنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أحدّ حسن ذاته ، وأعد بديع صفاته ؛ وهو مع سماته الرائقة ، وآلاته الفائقة ؛ لم يُعنَ بتأليفها أحد ، ولا انفرد بتصنيفها منفرد » (٢) .

---

(١) الجزء الثاني . اعتمدنا على المخطوط المحفوظ في أوكسفورد (انكلترا) . — (٢) راجع هذا الكتاب نفسه ص ١ ونفح الطيب للمقري ط . ليدن ج ٢ ص. ٢٩ .

وله فصل من أخرى إلى أبيه (١) :

« لما خُلِقَ الربيع من أخلاقك الغُرّ ، الخ » (٢).

وله من أخرى إلى بعض إخوانه (٣) :

« قد علم سيدي أن بمرآه يكمل جذلي الخ » (٤).

قال ابن بسّام : ووجدت لابي الوليد هذا رسالة عارض بها أبا حفص ابن بُرْد في رسالته في تقديم الورد على سائر الأزهار فخرج فيها أبو الوليد خروج أبي حفص بن برد على الورد ودعا على البهار وأسمع سائر الأنوار فنصبه إماما ، ولولا اشتهار فضل الورد لكانت لزاما ؛ وقد اقتضبت من الرسالتين بعض فصول تحقيقاً للتثقيل وجمعاً للشمل ، ومقابلة الشكل بالشكل ؛ وقدمت رسالة ابن برد على حكم الاستحسان ومقتضى النقد . وهي رقعة خاطب ابن جَهْوَر قال فيها :

اما بعدُ يا سيدي ومن انا أفديه فانه ذكر بعض أهل الأدب المتقدمين فيه ، وذوي الظرف المعتنين بملح معانيه الخ » (٥).

وأما رسالة أبي الوليد فخاطب بها المعتضد (٦) يومئذ قال فيها :

« فأول من رأى ذلك الكتاب وعاين الخطاب الخ » (٧) وطوّل أبو

---

(١) ابوه هو الذي يلقب بـ « حبيب » ـ (٢) راجع هذا الكتاب ورقة (١٥ وجهاً) إلى الجملة المنتهاة بـ « فهو السديد الرشيد » . ـ (٣) ارسل هذه الرسالة الى صاحب الشرطة ابي الوليد بن العثماني . ـ (٤) راجع هذا الكتاب ورقة (١٥ ظهراً) الى قوله : « ونشكر للربيع ما أرانا من البديع » . ـ (٥) راجع هذا الكتاب ورقة (٢٦ ظ) (٦) الصواب انه خاطب بها ابا المعتضد وهو ذو الوزارتين القاضي محمد بن اسماعيل . ـ (٧) راجع هذا الكتاب ورقة (٢٩ ظ) .

الوليد في رسالته هذه وختمها بمبايعة الأزهار للبهار ورجعت عن تقديم الورد في خبر طويل.

ومن شعر أبي الوليد في أوصاف شتى قال يصف ورداً بعث به إلى أبيه :

يا من تأزّر . . . الابيات [1] .

وقال فيه :

انما الورد . . . الأبيات [2] .

وقال :

اتى الباقلاء . . . البيتين [3] .

وقال :

كأنَّ نَور الكتّان . . . الأبيات [4] .

وقال : (منسرح)

وقهوةٍ لا يجيدها مُبصِرْ ✿ راقت ورقّت في أَعيُن النُّظَّرْ
إذا رنَتْ فالسرور مُبْتسِمٌ ✿ وإن نأَتْ فالسرور مستعبِرْ
كأنها والحبَاب يحجُبها ✿ بحر من التبر يقذف الجوهرْ
غنِيتُ عنها فلستُ أقربها ✿ بناظرٍ منه يُسكر المُسْكِرْ

---

(١) راجع هذا الكتاب ورقة (٦٣ ظ) ونفح الطيب ج ٢ ص ٢٩ . - (٢) راجع هذا الكتاب ورقة (٦٣ ظ) . - (٣) راجع هذا الكتاب ورقة (٧٥ ظ) . - (٤) راجع هذا الكتاب ورقة (٧٦ ظ) .

وبيته الثالث في هذه من التشبيه الذي ما له من شبيه . وأما بيته الآخر منها فمن قول ذي الرُّمّة : (طويل)

وعينان قال الله كونا فكانتا ✿ فعولان بالألباب ما تفعل الخمرُ (١)

وزاد أبو الوليد زيادة حسنة لم يقنع ان يفعل ناظره فعل الخمر حتى أسكرها منه .

وقال : (طويل)

وكأس لها كيسٌ على اللب والعقل ✿ شمول تُريك الأُنْس مجتمع الشمْلِ
كأن حباب الماء في جنباتها ✿ دروع لجين قد جلتْها يدُ الصقلِ
تزيد ذوي الألباب فضلا ولم تزل ✿ تُديل بطبْع الجود من طبَع البخلِ
غنيت بمن أهواه عن نشواتها ✿ فمن طرْفه خمري ومن ريقه نُقْلي

وقال : (متقارب)

حمامٌ بلحظك قد حُمَّ لي ✿ فما زال يهدي إلى مقتلي
وإن لم تغثني بمعنى الحياة ✿ م من ريق مبسمك السلسلِ
فها أنا قاض بداء الهوى ✿ وقاضي جمالك لم يعدلِ
فيا ليت قبريْ حيث الهوى ✿ فأكرِمْ بذلك من منزلِ
عسى من تلِفتُ بحبّي له ✿ يرقّ على ذي بلاءٍ بَلي
فإن جاد بالوصل بعد الوفاةِ ✿ رجعتُ إلى عيشيَ الاولِ

---

(١) راجع ديوان ذي الرمة ط. بيروت ص ٣٤ البيت السادس .

فيا صاحِبَيَّ هناك احفرا ❀ ولا تحفرا لي بقُطْرَبُلِ
إذا ما أدرْت كؤوس الهوى ❀ ففي شربها لست بالمؤتلِ
مُدام تعتّق بالناظرين ❀ وتلك تعتّق بالأرجل(1)

وهذا البيت مما أغرب به على الألباب وأعرب فيه عن موضعه من الصواب ؛ وبينه وبين قول أبي الطيّب شبه بعيد ولكن لأبي الوليد فضل التوليد وحسن من النقل ليس عليه من مزيد وهو قوله : (بسيط)

أُنظر إذا اجتمع السيفان في رَهَجٍ ❀ إلى اختلافهما في الخَلْق(2) والعمَلِ
هذا المُعَدّ لريب الدهر منصلتاً ❀ اعدّ هذا لرأس الفارس البطلِ(3)

وقال الآخر وإن لم يكن به : (بسيط)

بالهند تطْبَع أسياف الحديد وفي ❀ بغداد تطبع أسياف من الحَدَقِ

*
* *

وقال الضّبّيّ ـ المتوفى في آخر القرن السادس هـ. ـ القرن الثاني عشر م. في بُغْية المُلتَمِس في تأريخ رجال أهل الاندلس (ط. مدريد ١٨٨٤ - ١٨٨٥) ص ٢١٣ عدد ٥٣٤ :

إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب أبو الوليد الوزير الكاتب بإشبيلية له ولأبيه قدم في الادب والرئاسة وله شعر كثير يقوله

(1) هذان البيتان الآخران يوجدان في نفح الطيب ط. ليدن ج ٢ ص. ٢٩ روى : بالمرقل بدل بالمؤتل.
(2) في رواية : القول. ـ (3) راجع ديوان أبي الطيب المتنبي ط. بيروت ١٩٢٦ ص ٢٨١.

بفضل أدبه وقد جمع كتاباً في فصل الربيع . ومن شعره فيه :

أبشر فقد سفر الثرى . . . الابيات [1] .

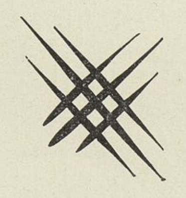
مات أبو الوليد بن عامر قريباً من سنة ٤٤٠ بإشبيلية .

*
* *

وقال ابن الأبار القُضاعيّ - المتوفى سنة ٦٥٨ هـ . - ١٢٦٠ م . - في التكملة لكتاب الصلة (ط. الجزائر ١٣٣٨ - . ١٩٢٠) ص ٢١٩ عدد ٤٧٤ :

إسماعيل بن محمد بن احمد بن عامر الحِمْيَرِيّ الاديب من أهل إشبيلية يكنى أبا الوليد ويلقب أبوه بحبيب ، كان آية في الذكاء والفهم والبلاغة وتجويد الشعر على حداثة سِنّه . وله في فصل الربيع تأليف ترجمه بالبديع . أفاد به ولم يورد فيه لغير شعراء الاندلس شيئا . وهو أخو أبي زيد محمد ابن محمد بن عامر شيخ أبي بكر بن العربي . توفي مُعتبَطاً قريباً من سنة أربعين وأربعمائة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة في خبره عن الحُمَيْديّ .

(١) راجع هذا الكتاب ورقة (١٣ ظ) دون البيت الخامس والثامن والتاسع .



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

قال أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر رحمه الله . أما بعد حمد الله على فضله المتناهي والصلاةِ على خاتم رسله وناهج سبله فإنّ أحق الاشياء بالتاليف وأولاها بالتصنيف ما غفل عنه المؤلفون ولم يُعْنَ به المصنفون مما تانس النفوس اليه وتلقاه بالحرص عليه ، وفصل الربيع آرج وأبهج وآنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أُحدّ حسن ذاته وأعدّ بديع صفاته . وحسبي بما يعلم الكل منها ويخبر به الجميع عنها شهيداً لما نقلته ودليلًا على ما قلته وهو مع هذه الصفات الرائقة والسمات الشائقة والآلات الفائقة لم يُعْنَ بتأليفه أَحد ولا انفرد لتصنيفه منفرد .

قال ابو الوليد

فلما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب مضمناً ذلك الباب ولست أودعه إلا ما أذكر لاهل الاندلس خاصة في هذا المعنى إذ أوصافُهم لم تتكرّر على الاسماع ولا كثر امتزاجها بالطباع فترِدها شيّقه وتَرودُها تيّقه وانما ذلك لتضييع أهل بلدهم لا كثرها وغفلتهم عن جُلّها إنكاراً لفضلها مدة بقاء أهلها فاذا انقرضوا تأسفوا بقدر ما كانوا (٢ و) تنسّفوا

وحينئذ لا يجدون الا قليلا يغيب في كثيرها وثماداً يفيض عند بحورها ولعمري إن هذه العلة مما صححت استغرابها وأكدت استحسانها واستعذابها .

وأما أشعار المشرق فقد كثر الوقوف عليها والنظر اليها حتى ما تميل نحوها النفوس ولا يروقها منها العِلْق النفيس مع اني استغني عنها ولا أُحوج اليها بما أذكره للاندلسيين من النثر المبتدَع والنظم المخترَع وأكثر ذلك لاهل عصري اذ لم تغب نوادرهم عن ذكري .

واما من بُعد عصره وكم فيهم من جليل قدْره فقلما أوردت لهم شيئاً للعلة التي تقدم ذكري لها من إهمالها وتضييعها . ولاهل المشرق في تأليف أشعار شعرائهم وتدوين أخبار علمائهم الفضل علينا والسبق لنا حتى لقد يجمعون خشينها مع حسنها ويضيفون لحنها إلى لحنها لا قلة تَميّزٍ بها بل تحرّجا عن تركها ، ولو جرى أهل الاندلس على تلك الطريقة لاوردت على الحقيقة أَمثال ما أوردت وأضعاف ما اجتلبت لكن أهل المشرق على تأليفهم لأشعارهم وتثقيفهم لأخبارهم مذ تكلمت العرب بكلامها وشغلت بنثرها ونظامها الى هلمّ جرّا لا يجدون لأنفسهم من التشبيهات في هذه الموصوفات ما وجدته لاهل بلدي على كثرة ما سقط منها عن يدي بالغفلة التي ذكرتها عنها وقلة التهمّم بها وعلى قرب (٢ ظ) عهد الاندلس بمنتحلي الاسلام فكيف بمنتحلي الكلام ولو تأخروا عن إدراك المشرقيين في كل نحو وغرض وتقهقروا عن لحاقهم في كل جوهر وعَرَض

لكانوا أحقّاء بالتأخّر وأحرياء بالتقهقر . فكيف يُرى فضلهم وقد سبقوا في أحسن المعاني مجتلًى وأطيبها مُجتَنًى وهو الباب الذي تضمّنه هذا الكتاب فلهم فيه من الاختراع الفائق والابتداع الرائق وحسن التمثيل والتشبيه ما لا يقوم أُولئك مقامَهم فيه والفضل في هذا الصُّنع الجميل لذي الوزارتين القاضي الجليل المنقطع المثيل ولابنه الحاجب الشهاب الثاقب نثرة عبّاد ورحمة الله على العِباد مولىّ وسيدىّ أبقاهما الله ستراً عليّ . فهما اللذان أقامت مُقعَد الهمم يدُ اهتبالهما وأمطرت أرض الفطن سماءُ أفضالهما فدرّت الدرر من تلك الفِكَر التي يَسعَيان لتحصين مُرادهما وتحسين مَرادهما .

وتأمّلْ أيها الناظر في كتابي تأمُّل اليقُظ المتقد والمميّز المنتقد تَرَ أَغرب التشبيهات وأعجب الصفات وأبرع الابيات وأبدع الكلمات لمن كان حواليهما من مُسنِد إليهما مُعوِّل عليهما ومتصرّف بين أيديهما ومتورط على أياديهما . وإنما ذلك لترادف إحسانهما وتعاقب امتنانهما وقديماً قيل (٣ و) اللُّها تفتح اللَّها وبقدر ذلك أعملوا الفكر وأنعموا النظر فنظموا في جودهما درراً من الكلام لا تسلك على سلكها غِيَرُ الايام وكسوا جميل فعلهما حُللا من الجمال تبقى بقاء الليال . فلله درّهما من مِلكين نفّقا سوق الادب الكاسدة وأصلحا حال العلم الفاسدة فكثر المنتحلون لها والمُتحلّون بها ولولاهما – أطال الله بقاءهما وأدام اعتلاءهما – ما انفردت لهذا التاليف ولا شغلت فكري بهذا التصنيف ولا منيتُ نفسي به ولا

وثقتُ بها في ترتيبه . لكن بفضلهما الجزيل وفعلهما الجميل لاح السبيل وعلمت كيف أقول فجزاهما الله عما يُولِيان من الايادي الحسان التي تدارَكتنا وقد بلغتِ القلوبُ حناجرَها[١] وشحذت الخطوب خناجرها وكَشَرت النُّوَبُ عن أنيابها وأدالت الايام إعتابها بِعتابها جزاءً يجوز رضاهما بل يجوز مُناهما وبعد العَجْز عن استيعاب جزيل أفضالهما واستكمال جميل أفعالهما فنعود إلى ما وعدنا به ونجتلب ما بنينا على اجتلابه وبالله ذي الجلال والاكرام العونُ على البَدْء والتمام .

١) راجع القرآن الكريم سورة الاحزاب (٣٣) آية ١٠ .

باب ما جاء في الربيع والانوار من البديع المختار

قال أبو الوليد إسماعيل بن عامر : من الصواب في الدواوين والحِذْق في التواليف ان يُضاف (٣ ظ) المِثلُ إلى مثله ويُقرن الشكل بشكله فيقصد الطالب أيَّ معنى شاء فيجد مقصده ويعتمد القارئ أيَّ فصل أراد فيُلفِي مُعتَمَده .

وهذا الباب كثير الفصول غزير الفروع والاصول على قلة الوصف له والقول فيه لكني رددتُّه إلى ثلاثة فصول وقصرْته عليها وقيدته بها .

فالفصل الأول ـ القِطَع في الربيع التي لم يُسمَّ فيها نَوْر ولا قصد بوصفها منه نوع .

والفصل الثاني ـ القطع التي لم تتفرّد بوصف نُوّار بل اشتملت على وصف نورين أو أنوار .

والفصل الثالث ـ في القطع المنفردة كل واحدة منها بنور على حِدَةٍ ممن طلب شيئاً قُرب عليه وِجْدانُه ولم يعزُب عنه مكانُه .

وبعد الرغبة في التسديد والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق نبدأ بالفصل الاول .

— الفصل الاول —

(القطع) في الربيع التي لم يسمَّ فيها نَور ولا قصد بوصفها منه نوع.

قال ابو الوليد: من المستحسن في هذا الباب قول أبي عمر احمد بن عبد رَبِّه: (بسيط)

وروضةٍ عقدتْ أيدي الربيع بها ✿ نوراً بنَور وتزويجاً بتزويج

بمُلْقِح من سواريها ومُلقَحة ✿ وناتج من غواديها ومنتوج

توشّحتْ بمُلاة غير ملْحمة ✿ من نورها ورداء غير منسوج

(٤و)فألبستْ حلل المَوْشيّ زهْرَتَها ✿ وجلّلتْها بأنماط الديابيج

سواريها: سحائبها الآتية ليلاً من السُّرى وهو سير الليل. وغواديها: الآتية في الغداة.

ومن غريب الوصف في عجيب الرصف قول أبي عمر أحمد بن فَرَج الجيّاني: (كامل)

أما الربيع فقد أراك حدائقا ✿ لبست بها الايامُ وشْياً رائقا

فكأنما تجترّ أذيالَ الصبا ✿ فيها البروقُ أزاهراً وشقائقا

متقّسِمات... وسمَ الهوى(١) ✿ تحكي المشوق تارة والشائقا

من قانيءٍ خجلٍ وأصفر مُظْهر ✿ للوجْد كالمعشوق فاجا العاشقا

وكأنما نثرتْ على أجفانها ✿ غُرّ السحائب لؤلؤاً متناسقا

(١) كذا في الاصل.

فإذا الصَّبا لعِبتْ به في روضة ❀ ذُكِر الفراقُ بها بكاً وتعانقا

شبه اضطرابَ النوار بالرياح وقرْبَ بعضها من بعض وسقوط الندى منها بذلك الاضطراب بالتعانق عند الفراق والبكى من أجله .

ولابي عمر (احمد بن فرج الجياني) أيضا فيه قطعة غريبة التشبيه وهي : (كامل)

يا غيم أكبرُ حاجتي ❀ سُقْيُ الحمى إن كنتَ تسعفْ
رشِّفْ صداه فطال ما ❀ روَّى الصدى فيه الترشُّفْ
واخلعْ عليه من الربيـــع ووشْيه بُرداً مصنَّفْ
حتى تُرَى أنواره ❀ وكأنها أعشار مُصْحَفْ
وتخال مرفضّ الندى ❀ في روضه شكلا وأحْرُفْ

(٤ ظ) وكتب عمر بن هشام إلى صديق له يستدعيه في رأس الربيع من جنّة له فاحسن إحساناً يقرب على من تأمله ويبعد على من رامه :

كتبت والارض تستطير باستطارة شوقنا إليك وتهُمّ أن تستقلّ بنا نحوك إذ صرنا بروضة استعارت لون السماء بخضرتها وزُهر نجومها بأنوارها وبُدور تمّها بأقمارها . فقد افترشنا ثوب السماء وحوينا زَهْرة الدنيا وبيننا متطلِّعة اليك بأعناق الغزلان ولسمع حِسّك مُصيخة الآذان فإن عجّلْتَ قهقهت طرباً وتبودرتْ نُخَباً وإن أبطأتَ أظلم في أعيننا النُّور وكادت الارض بنا تمور . والسلام .

قال أبو الوليد : في آخر هذه الرسالة من وصف الكؤوس وسرور النفوس بمن خوطب فيها وكوتب بها ما لم أُعدْ به ولا قصدت قصد ذكره لكني لو فَصلته منها لأَخللْت بها فمن الاشياء أشياء يزداد حسنها بما وُصِلت به وقرنت معه وربما أن في كتابي مثل هذا . فمن رآه فليعلمْ أني إنما أسعى في استكمال الحديث واستيعاب الخبر لئلا أُخِلّ بما أبتديء به بالنقص منه ولست افعل هذا إلا فيما يكون تبعاً لما أقصِدُ إلى جمعه وأُشْغَلُ بتأليفه .

ولذي الوزارتين القاضي ـ أدام (ه و) الله عزّه ووصل حرزه ـ قطعة نثر بل نفثة سحر جاوب بها أبا عامر بن أبي عامر ـ رحمه الله ـ وقت كونه بإشبيلية وقد كتب اليه يسئله إباحة الخروج له إلى بعض ضياعه للتنزُّه في فصل الربيع .

والقطعة بعد صدرها :

وقفتُ على كتابك ـ أُكرمْ به ـ وفهمت ما تضمَّنه وهي أوقات التنزه واحيان التفرُّج . فقد أشرقتِ الارض وزهي الروض وأقبل فصل الربيع بكل حسن بديع وأفصحتِ الطيرُ بعد عُجمتها وأبدت النواوير غرائب زَهرتها وكست الورقُ شجرها وغطت الزروع مَدَرها فلستَ ترى إلا اخضرة تسطع وثماراً تينع(١) تجلو الصدى من الكبد الحرَّى وتريح

---

(١) بالهامش : خضرة ساطعة وثماراً يانعة وازاهير رائعة .

الأسى عن النفوس المرضى وقد قال ـ عليه السلام ـ روِّحوا هذه الانفس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد ، وهذا كله بما منَّ الله به من الغيث المغيث فله الشكر واصباً والحمد دائباً على آلائه التي تَتْرَى ونعمه التي لا تحصى وهذا فيضُ بديهته وعفوُ سجيته ولو روَّى لكان أرفع على أن لا أرفع وأبدع على أن لا أبدع ـ حرس الله حوباءه وصان ذكاءه .

ومن البديع في وصف الربيع ما جاء به أبو عمر يوسف بن هَرون الرَّماديّ في قصيد يمدح به الوزير ابن بلَشّر فقال بعد صدر منه :

« على روضة قامت لنا . . . » (طويل)

(ظ ٥) على روضة قامت لنابدَ رانكٍ ❀ وقام لنا فيها الذباب بمُسْمِعِ

إذا ما شربنا كأسنا صُبَّ فضلها ❀ على فضضنا للمسمع المتخلع

كأن السحاب الجَوْن أعرس بالثرى ❀ فلاح شَوارُ الارض في كل موضع

رياض يضاحكن الغزالة بعد ما ❀ بكت فوقها عينُ السماء بأربع

كأن سرور الارض حُزْنُ سحابها ❀ إذا ما بكت لاحت لنا في تصنُّع

حبائبُ لا يسمحْن إلا بلحظة ❀ وشمَّـة أنفٍ للمحبّ الممتّع

بدائع ما أهدى الوزيرُ بنانَهُ ❀ إلى صكِّه إلا أتانا بأبدَع

شبه خط ممدوحه بالربيع في حسن منظره وجمال مخبره ودخوله إلى المدح في هذا الموضع مفضَّل له مستحسن منه . والغزالة الشمس . يقال طلعت الغزالةُ ولا يقال غابت الغزالة . وقال الاصمعي : الغزالة وقتُ

طلوع الشمس وليست الشمس . والجون من الاضداد يكون الأبيض والاسود . وهو هاهنا الاسود ، والتصنُّع التحسُّن والتزيُّن .

ومن حَسَنِ ما له في هذا المعنى قوله في قصيدة يمدح بها العارض أحمد بن سعد بعد وصف سحابة ورعد وبرق وهو : (رمل)

كستِ الارضَ بساطاً رائقاً ❀ بطنُها سدَّاه والارضُ نَسَجْ
أخرجتْ أسرارَها إذ أُحرجتْ ❀ ربَّ سرٍّ أحرج الصدرَ خرجْ
كمحبٍّ ضاق وجْداً صدْره ❀ فبدا ما كان في الصدر اعتلجْ
(٦و)صاحِ إن يبهجْك وجهٌ حسنٌ ❀ فليكن وجهَ الربيع المبتهِجْ
أعرس الروضُ ومن قيناته ❀ أمُّ منْ خالف في الاسم السمِجْ
تتغنَّى أولا في رجز ❀ فإذا امتدّت تُغنّي في الهزجْ

ثم دخل إلى المدح كدخوله المتقدم فقال :

وكأن الروض من خط أبي ❀ بكر العارض وشْيٌ ودُبجْ

قيناته مغنّياته واحدتهن قينة . ومن خالف في الاسم السمج أراد أُمّ الحسن لان الحسن ضد السمج .

ولأبي عمر (الرمادي) أيضا قطعة حسنة يصف فيها الربيع من قصيد مطوّل بديع التشبيهات بديع الصفات يمدح به أبا علي البغدادي ـ رحمه الله ـ والقطعة بعد صدر من القصيد : (كامل)

في إثرها وقعتْ ملاحمُ تجتلي ❀ التأريخَ بين سحائبَ ومُحُولِ

فكأنها جيش بدُهْم خيولٍ ❀ غازٍ إلى جيش بشُهْبِ خيولِ
قامت رواعِدُها بطبول ❀ في حَرْبها وبروقُها بنصولِ
ولَّت جنود المحْل ثمّ تحصّنت ❀ في قلْب كلّ مُتيَّم معذولِ
بكتِ السحاب على الرياض فحسنت ❀ منها عَروساً من دموعِ ثكولِ
فكأنها والطَّلُّ يُشْرِق فوقها ❀ وشيٌ يُحاك بلؤلؤ مفْصولِ
غلَبتْ على شمس النهار فألبست ❀ منها ظهيرَتَها ثِيابَ أصيلِ
فنزلْتُ في فرش الرياض ولم يكن ❀ ليحوزها مثلي بغير نُزُولِ
(٢ظ) سِلبَ العِمامةَ بيننا مُتعمِّم ❀ لطَمَتْ سوالفه يدا مغلولِ
فوضعْت في فمه فمي فعَل الذي ❀ يهوى برِيق حبيبه المعسولِ
غنّى الطراةُ من الذُّباب لنا بها ❀ طرَباً فهِجْنَ شمائلاً بشَمُولِ
روْضٌ تَعاهده السحابُ كأنه ❀ مُتعاهدٌ من عِلمِ إسماعيل[1]

قوله: فكأنها جيش بدهم خيول البيت. شبّه السحاب في اسْوِدادها بالخيل الدهم والارض في ابْيِضاضها قبل النبات بالخيل الشهب. وهذا من ابدع ما استُعير لهذا الموضع ومما حسّنه ذكر الغزو بينهما. وقوله: سُلِب العمامة بيننا متعمم البيْتَ أراد ظرف الخمر الذي تسمّيه العامّة الكُوزَ شبّه مَقبضه في عنقه بيدي مغلول. وعِمامته فِدامه وهو من مخترعاته الطريفة ومبتدعاته الشريفة.

---

(١) اسماعيل هو اسم أبي علي القالي.

وممّا حسُن له ـ رحمه الله ـ في هذا المعنى قطعة من قصيدة شأى فيها مَنْ تقدّم يمدح بها ابن القُرَشيّة وهو عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بعد أبيات غريبة في صفات عجيبة وهي ـ أعني القطعة : (طويل) (١)

تأمّلْ باثر الغيم من زهرة الثرى ✿ حياةَ عيونٍ مُتْنَ قبل التنعّمِ (٢)
كأن الربيع الطّلْق أقبل مُهدياً ✿ بطَلْعة معشوقٍ إلى عين مُغْرَمِ
تعجبت من غوص الحيا في حشا الثرى ✿ فأفشى الذي فيه ولم يتكلّمِ
(٧و) كأن الذي يسقي الثرى صرف قهوة ✿ تنمُّ عليه بالضمير المكتَّمِ
أرى حسناً في صفْحةٍ قد تغيرت ✿ كبِشْرٍ بدا في الوجه بعد التجهُّمِ
أَلا يا سماء الارض أُعطِيت بهجةً ✿ تطالعنا منها بوجه مُقسَّمِ
وإن قالتِ الارضُ المنعَّم أرضها ✿ ليَ الفضل في فخري عليك فسلّمي
فخضرة ما فيها يفوقك خضرة ✿ ونُوّارها فيها ثواقبُ أنجُمِ
وإن جئتها بالشمس والبدر والحيا ✿ مُفاخرةً جاءت بأسنى وأكرمِ
بعبد العزيز بن الخلائف والذي ✿ جميعُ المعالي ينتمي حيث يُنتمي

ودخوله في هذا الموضع إلى المدح ومفاخرته بين السماء والارض من المعاني التي سبق فيها واستولى على الامد بها . وقوله : كأن الذي يسقي الثرى صرف قهوة البيت شبه فيه إفشاء الارض نوارها وخضرتها

(١) اورد ابن الابار هذه القطعة في « الحلة السيراء » طبعة دوزي (صفحة ١٠٩-١١) . ـ (٢) رواية الحلة السيراء : التغيم .

بالمطر بإفشاء المرء أسرارَهُ المكتومة بالقهوة . وقوله : ينم مستقبل من النميمة . يقال ينِمّ ويُنمّ بكسر النون وضمها والكسر أفصح . وقوله : بوجه مقسم اي محسَّن من القَسام وهو الحُسن . وقوله : فسلمي أراد : فأذعني لها وأقِرّي بفضلها .

ولعبد الملك بن نُفَيل قطعة مُحْكَمة في هذا المعنى كتب بها إلى المنصور أبي عامر بن أبي عامر — رحمه الله — بأزمِلّاط : (كامل)

أنظُرْ إلى حُسنِ الزمان كأنما ❁ يلقاك عن بِشْرٍ لوجهك مُبشِرِ
بكتِ السماءُ على الرُّبا فتبسَّمت ❁ منها ثغورٌ عن عقائلِ جوْهرِ
أهدى الربيعُ إليه سَكْبَ سمائه ❁ فكسا الثرى من كل لونٍ أزهرِ
(٧ظ) ضحكت متون الارض عند بكائه ❁ عن أبيضٍ يَقَقٍ يروق وأصفرِ
وكذاك لم تكْشَف سريرةُ روضةٍ ❁ يوماً بأفصحَ مِن غمام مُمْطِرِ
غيثٌ أرانا كلُّ نَور ضاحكاً ❁ مُتطلّعاً منها بنَور أنْورِ
مُتبخترٌ في مَشْيه فكأنه ❁ ثانٍ لها عِطفاً وكاسر مَحْجِرِ
وكأنما زَهْرُ الرياض كواكبٌ ❁ حسَرَتْ لنا عن كل أزهر مُقْمِرِ
فصِلِ السرورَ بقهوة مشمولة ❁ تُغْنيك عن قَبَسٍ و مِسك أذفرِ

شبّه بِشْر الزمان ببشر وجْهِ ممدوحه في أول بيت وشبّه ضياء الخمر بالقبس وريحها بالمسك إذا أقامها مقامها في آخر بيت .

وللكاتب أبي الأصبغ عيسى بن عبد الملك بن قُزْمان من جملة

قصيدٍ مطوَّلٍ قطعة في هذا المعنى وهي أثر وصْف البرق : (كامل)

كم ذا أكَنَّ ضميرَه من روضة ✿ والغيث ملآنٌ بنَوْر زاهرِ
يُخْفي و يُضْمِره الحيا فكأنه ✿ بحْرٌ تستَّر فيه نُور جواهرِ
حتى إذا ما عانق الروض الثرى ✿ طلعَتْ أوائلُ نبْتِه المتظاهِرِ
مُتخالفاتٍ في الربا فنظائرٌ ✿ حُسْناً وفي الألْوان غير نظائرِ
ترنو إليك جفونُها عن أعين ✿ أجلى وأملح من عيون جآذِرِ
لاشيْءَ أحسن منظراً إنْ قستَه ✿ أو مخبراً من حُسن روض ناضرِ
إن جئتَه أعطاك أجمل منظر ✿ أو غبْت زادك في النسيم الحاضرِ

(٨ و) وقال أبو أيوب سليمان بن بَطَّال المتلمِّس في هذا المعنى فأحسن : (متقارب)

تبدَّتْ لنا الارض مزْهُوَّة ✿ علينا ببهجةِ أثوابها
كأن أزاهرها أكؤُسٌ ✿ حدَتْها أناملُ شرّابها
كأن الغصون لها أذْرُعٌ ✿ تُناولها بعْضَ أصحابها
وقد أعجب النَّوْر فيها الذُّباب ✿ فيهزجُ من فرط إعجابها
كأن تعانُقها في الجَنوب ✿ تعانُق خودٍ وأترابها
كأن ترقُرق أجفانها ✿ بُكاها لفِرْقة أحبابها

مزهوة مفعولة من الزهو ومعناه متعجِّبة من حالها متكبِّرة لجمالها.
و ترقْرُق الاجفان امتلاؤها بالدمع واستعار للنَّوْر أجفاناً .

وقال محمد بن مسعود البَجّانيّ فأحسن في الوصف كل الاحسان :

(منسرح)

أما ترى الارض ألْبِسَتْ حُللًا ✿ من نسج أيدي السحائب الصُّوَّبْ
كأن أشجارها وقد كُسِيَتْ ✿ بدائعاً من حُلِيّها المُعجِبْ
من أحمرٍ كالعقيق منظرُهُ ✿ وأصفرٍ كالفريد لم يُثْقَبْ
وأبيض فوقه سقيطُ ندًى ✿ كماء وَرْدٍ في عنبر أشهبْ
وثَمَر في الغصون تحسبُه ✿ جامِدَ خمر في الجوّ لم يُسكَبْ
أو أنجم الشرق بانَ مَطْلَعُها ✿ فسِرْن من مشرق إلى مغربْ
خرائدٌ يلتقِينَ في عُرُسٍ ✿ تسكُنَّ حيناً وتارة تَلْعَبْ
(٨ ظ) والماء يجري خِلال ساحتها ✿ كأنه جِسْمُ فِضّة ذُوِّبْ
وللصَّبا نفحة تُذكِّرنا ✿ طِيبَ نسيم الصبا فما أطيَبْ
والطيرُ في أيكها مغرِّدة ✿ كأنها في منابر تخطُبْ
أعجِبْ بها من نواطق خُرُس ✿ تُوجِزُ حيناً وتارة تُسْهِبْ
تُفْهِمُني عُجْمةٌ بألسُنها ✿ معنى الكلام المبيِّن المُعرِبْ

وللوزير أبي عامر بن شُهَيْد - رحمه الله - في الربيع قطعة عجيبة من قصيدة طويلة مشتملة على أوصاف سواها مستغربة ومعان غيرها مستعذبة . والقطعة : (كامل)

سَهِر الحيا برياضها ✿ فأسالها والنَّوْرُ نائمْ

حتى اغتدت زَهَرَاتُها ❀ كالغِيدِ باللُّجَجِ العوائمْ
من ثَيِّبات لم تُبَل ❀ كَشْفَ الخدود ولا المعاصمْ
وصِغار أبكار شكتْ ❀ خجلاً فعاذت بالكمائمْ
حَيِيَتْ بطوفان الحيا ❀ فتضاحكت والجوُّ واجِمْ
أصنافُ زَهْر طُوِّقتْ ❀ دُرراً تذوب بكفّ ناظمْ
مِن باسمٍ باكٍ اليـ ❀ ـك ندٍ وباكٍ وهو باسمْ

وقال الوزير أبو عامر بن مَسْلَمة يصفه بوصف أبدع فيه وأغرب وأنبأ عن حذقه وأعرب. أنشدنيه موصولا بوصف الحاجب — أدام الله عزَّه ووصل حرزَه — وهو: (سريع)

(٩٩) أهلاً وسهلاً بوفود الربيعْ ❀ وثغره البسّام عند الطلوعْ
كأنما أنواره حُلّة ❀ من وشي صنعاء السَّريِّ الرفيعْ
أخْبِبْ به من زائرٍ زاهر ❀ دعا إلى اللهوِ فكنتُ السميعْ
بثَّ على الارض درانيكَهُ ❀ فكل ما تُبْصِر منها بديعْ
كأنما الحاجب ذو المَنّ والـ ❀ ـإحسان إسماعيل مولى الجميعْ
أهدى اليه طِيبَ أخلاقه ❀ فنحنُ منها دَهْرَنا في ربيعْ
لا زال يبقى سالماً ما دعت ❀ قُمْرِيَّة في فَنَنٍ ذي فروعْ

وقال أبو بكر عُبادة بن ماء السماء يصفه بأوصاف بديعة وتشبيهات رفيعة وبدأ بذكر سحابة: (رمل)

وَلَعُوب عشقت روض الثرى ❀ فَهْيَ تأتيه على طُول البعَدْ
فَيُرى الروض إذا ما وصلت ❀ أرجَ العَرْفِ من الطيب الجسدْ
عطراً مُلْتبساً مُلتحفاً ❀ في سرابيل من الحسن جُدُدْ
كمحبّ زار محبوباً له ❀ فتحلّى لِلقاه واستعدْ
وإذا ما ودّعت أبصرتها ❀ في نحول العاشق الصبّ الكمِدْ
تلحظ النَّوْرَ بلحظ فاتر ❀ مثل جفن حائر فيه رَمَدْ
وجفون النَّوْرَ تهمي بالبكا ❀ لجفون الصبّ من فقد الجلَدْ
فهما في حَيْرة عند النوى ❀ كمحبَّيْن احسّا بالبعَدْ

ولأبي بكر (عُبادة بن ماء السماء) أيضاً قطعة بديهية وهي : (بسيط)

(٩ظ) أما ترى باكر النور الذي نجما ❀ كأنه آئب من غيبة قدما
والقَطْر ساق له والبرق يُعْجبه ❀ سُقْياه فعْلة داعي الشَّرب بالنُّدما
كأنه سِلْك دُرٍّ حلّ أو كَلِف ❀ بكى فلما دنا محبوبه ابتسما
كأنَّ مُبْدِئه في الأُفْق مُنتثراً ❀ أعاده في أنيق الروض مُنتظما
فلا ترُدَّ على الساقي حكومته ❀ فإن دين الهوى راضٍ بما حكما

أشار إلى حسن الساقي في آخر بيت .

وأحْسَنُ منها مجتلى وأطيبُ مجتنى في هذا المعنى ما أنشدنيه لنفسه الفقيه أبو الحسن بن عليّ ممتزجاً يمدح الوزير أبا بكر عبد الله بن ذي الوزارتين القاضي ـ أعزهما الله ـ وهو : (مُوَشَّح على بحر السريع)

قـد قلت للروض ✿ ونُوّاره نوعـانِ ✿ تِـبْريٌّ وفِضّيّ
وعَـرفه مختلِفٌ ✿ طِيبُـه صِنْفـانِ ✿ خَمرِيّ ومِسكِيّ
ووَجه عبد الله قد لاح لي ✿ وهْـو من البهجـة دُرِّيّ
شِمْ غرسَك الارضي إذ الذي ✿ أبـصرْته غَرسٌ سماوِيّ
حسنُكَ نَوْري بلا مِرْيَةٍ ✿ وحُسْنُ عبد الله نُورِيّ
أضحى صغيراً وهْو في قَدرِه ✿ نيـلًا كبيرُ الشأن عُلْوِيّ

قوله : شِمْ أمر من شام يَشِيم إذا سلَّ وأغمد من الأضداد وهو ها هنا الاغماد . ومعنى القطعة أنيق ومغزاها دقيق .

ومن الصفات المطبوعة في الكلمات المصنوعة (١٠ و) قطعة لأبي الحسن (بن علي) أيضاً أنشدنيها وهي : (متقارب)

وقفتُ على الروض في يوم طَشْ ✿ وللدجْنِ ظِلٌّ كظلّ الغَبَشْ
وقد صقل الطـلُّ نُوّاره ✿ وأذهبَ ما فوقه من نَمَشْ
فما غُصُنٌ يشتـكي عُطْلَةً ✿ ولا شجَرٌ يتشكّى عَطَشْ
ترى النبتَ صِنفينِ من بهجة ✿ فمن مستقلٍّ ومن مُنعرِشْ
ومن لابسٍ ثوْبَ طاؤوسة ✿ ومن متردٍّ بوَشْيِ الحَنَشْ
وفصٍّ من النَّوْر لم ينتقِشْ ✿ وثانٍ لطبعِ المنى قد نُقِشْ
جمالٌ يُحيّر لُبَّ الفتى ✿ ويُكسِبه من سرور دَهَشْ

ومن النهاية في الحسن والاحسان قول أبي عبد الله محمد

ابن سليمان المعروف بابن الحنّاط في قصيد أوله : (كامل) .

راحت تذكّر بالنسيم الراحا ❀ وطفاءُ تكسر للجنوح جناحا

يعني السحاب . ثم خرج من وصفها بعد أبيات إلى وصف الروض .

فقال : (كامل)

جادت على التّلعات فاكتست الربا ❀ حللاً أقام لها الربيع وشاحا

فانظر إلى الروض الاريض وقد غدا ❀ لبكا الغوادي ضاحكاً مرتاحا

والنّور يبسط نحو ديمتها يداً ❀ أهدى لها ساقي الندى أقداحا

وتخاله حيّ الحيا من فوحه ❀ بذكيّه فإذا سقاه فاحا

وأخبرني الفقه أبو الحسن بن علي قال : كان في داري بقرطبة حائر[1] صنع فيه مرج بديع وظلّل بالياسمين . فنزّهت اليه أبا حفص التّدمري (١٠ ظ) في زمن الربيع . فقال : ينبغي أن تسمّي هذا المرج السّندسة وصنع على البديهة أبياتاً تشاكل هذا الباب وتطابق غرض الكتاب وهي : (متقارب) .

نهارُ نعيمك ما أنفسه ❀ وربعُ سرورك ما آنسه

تأمّل وقيت ملمّ الخطو ❀ ب فعل الربيع وما أسّسه

بحائر قصرك من صوغه ❀ دنانير قد قارنت أفلسه

وأسطارُ نور قد استوسقت ❀ وسطرٌ على الغمر قد طلّسه

---

(١) حائر : بمعنى بستان (Parc) .

ونبتٌ له مِدرَع أخضرٌ ❀ بصفرةِ أصباغه وَرَّسَه
فأبدع ما صاغ لاكفّه ❀ أجلّ بدائعه السُّندُسه
مَدارِعُها خضرة غَضَّةٌ ❀ أعاد النعيمُ لها مَلْبَسَه
كأن الظِلال علينا بها ❀ أواخِرُ ليل على مُغلِسَه
كأن النواوير في أُفقها ❀ نجوم تطلّعن في حندِسَه
ومهما تأمّلْتُ تحسينها ❀ فعيني بِقُرَّتِها مُعرِسَه
محلٌّ لَعَمرُكَ قد طيّبَ الإلاهُ ثراه وقد قدَّسَه

المغلسة جمع مغلس وهو الداخل في الغلس .

ولصاحب الشُّرطة أبي بكر بن القُوطيَّة في هذا المعنى الذي غرَّضتُ اليه في كتابي وقصدتُه بتأليفي نوادرُ مبتدَعةٌ ومعان مختَرَعة وقِطَعٌ من السحر مقتطعة ستقع في أبوابها وتوضعُ مع أشكالها .

فمن بديع ما أنشدنيه قوله : (كامل)

ضحِك الثرى وبدا لك استبشارهُ ❀ (١١ و) واخضرّ شاربه وطر عذارهُ
وربتْ حدائقُه وآزر نبتُه ❀ وتفطّرت أنواره وثمارهُ
واهتزّ ذابِلُ نبتِ كلِّ قَرارة ❀ لمّا أتى متطلّعاً آذارهُ
وتعممّت صُلع الربا بنباتها ❀ وترنّمت من عُجمة أطيارهُ
وكأنما الروض الانيق وقد بدت ❀ مُتلوّناتٌ غَضَّة أنوارهُ
بِيضاً وصُفراً فاقعاتٍ صائغٌ ❀ لم يَنأَ درهمهُ ولا دينارهُ

سَبَكَ الخميلةَ عسجداً ووديلة(١) ❀ لما غدتْ شمسُ الظهيرةِ نارهُ

فتوسَّدِ الديباجَ وافترِشن له الـ ❀ ـوشْيَ الذي من غير صنْعا دارهُ

وتضوّعت ريحُ الرياض كأنما ❀ فتَّ العبيرَ بأرضها عطَّارهُ

فاشربْ إذا اعتدل الزمانُ ووزنه ❀ وإذا استوى بالليل منه نهارهُ

شبه الروض بالصائغ وأبيض نوره وأصفره بدراهمه ودنانيره .
والخميلة مُسترقُّ الرملة . والوديلة الصفيحة من الفضة وجمعُها على فعائل .

وأبدعُ من هذا وأطبعُ ما أنشدنيه أيضا لنفسه : (سريع)

لما رأى العامُ زمانَ الربيـ ❀ ـعِ الطَّلق قد نشَّر عرف الكِبا

أجرى إلى غايته مُجْهداً ❀ فكلما رام لَحاقاً كَبا

والنور قد بتَّ دنانيرَهُ ❀ مُفضَّضاً إن شئتَ أو مذهبا

اِستعمل الحيلة لما ونى ❀ ولم يجد عن قصده مَذهبا

فقال أسلِفني يوماً بشهـ ❀ ـر فأجابته رياضُ الرُّبا

هذا الرِّبا والله في وَحيهِ الـ ❀ ـمُنزلِ قد حَرّم فِعل الرِّبا

(١١ ظ) ومما يوازي هذه القطعة رقّةً ويشاكلها دقّةً قوله :
(بسيط مخلَّع) .

قد أخذ الأُفْق في البُكاء ❀ واغرورقتْ مُقْلة السماء

فالأرض إن أظهرت جفاءً ❀ أرسل عينيه بالبكاء

---

(١) كذا في الاصل والصواب : وذيلة بالذال المعجمة .

كأنه عاشق مَشُوقٌ ❀ يشكو هواه إلى الهواء
مُرَجّياً أن يَلينَ منها ❀ ما أظهرته من الجفاء
حتى إذا راضها سَفيراً ❀ حدَّتْ بوَجهٍ من الحياء
وانتقبتْ بالنبات عنه ❀ والتحفتْ منه في رداء

وللوزير الكاتب أبي حَفصٍ بْنِ بُردٍ في هذا المعنى قطعة نثر مقطعة من السِّحْر في رسالة كتب بها عند صَدَرِه من دانِيَةَ إلى الوزير الكاتب أبي إسحاق بن حُمام وقد خرجا مُتنزّهين في ما يقرب من مدينة قُرطُبة في زمن الربيع يصف حسن شمائلها ويُورد شَرَف فضائلها. وهي أعني القطعة بعد صدر :

كيف شاهدتَّ أنهارها، وقد درَّت عليها أخلافُ الأنوار فأتأقتْها، وأنوارَها، وقد سرتْ اليها خَيالاتُ الأنداء فأرقَّتها، وكيف تأمّلت الربيع وقد صاغ لمفارِقها تيجانا، وفتق لمعاصمها أردانا، فكأنما راسلت الأرض زهرُ النجوم، مع كُدرِ الغيوم أن تُبدِيَها عند جِلائها، في هيئة سمائها، وكيف عاينتَ انشقاق تلك الأباطح، عن نهرها السابح، كأنه فضة تحتها نار، فليس (١٢ و) لها أبداً قرار، يلبس للريح لأْمَهْ، ويُسُلُّ على الشمس صَمْصامهْ.

قوله : أخلاف الأنواء من حسن الاستعارة. وأتأقتها ملأتها.

وبعد هذا وقبله من المعاني الطريفة والنوادر الظريفة ما يُحُلُّ من الأسماع

محلَّ السماع ويجري على الأفواه مجرى الأمواه ولكنها ليست مما قصدتُّ إلى جمعه ولا عُنِيتُ بذكره .

قال أبو الوليد : فجاوبه الوزير الكاتب أبو إسحاق بن حُمام عن تلك المعاني بشكلها براعةً وبزاعة وعلى تلك الفصول بمثلها صياغةً وصِناعة . وفي آخر جوابه أوصاف في أصناف النواوير وتشبيهات لأنواع الأزاهير تُعْجِب متأمِّليها وتعجِز متتبعيها . وهي إثر ذكر الأنواء :

قد نسجت لها من زَهر الربيع حللًا ، وسقتها من مجاجتها عذباً غللًا ، وأطلعتْ فيها آثارَ الغيوم ، أشباه النجوم ، فازدانتْ بأبهج لَبوس ، وبرزت للناظرين في حَلي العَروس ، كأنما اختلست لفظَك فلبسته أو أمكنها كلامك فتوشحته فمن قانئ صبغ الهواء غلائله وغذت السماء خمائله لا يشتكي من نداها بشَرَق ، ولا يبيت من ظماء على فَرَق ، حتى بدا في لون شَفق ، فكأنما شرب رحيقاً ، أو لبس عقيقاً ، أو كأنما خاف عذلا فاحمر خجلًا يحمل من طلّه فرائد ، كأنها (١٢ ظ) أدمع خرائد ، أو فاقع يجنيك تبراً ، ويريك من لونه سحراً ، يلقاك من حسنه في أجمل منظر ، ويختال من جلابيبه في معصفر ، كأنما خافت هجراً ، واستشعرت ذعرا ، ترنو اليك بمقل حِسان ، لا تنطبق منها الاجفان ، فكأنما تشكو سهراً ، أضعف منها نظراً ، الى تحاسين قد لبست ثوب بهائها ، وضحكت عن بكاء سمائها ، تروقك من حسنها فنون ، وترنو نحوك منها عيون ، فمن بصير واكمه وكحيل وأمره .

قوله عذباً غللاً الغَلل الماء الجاري بين الاشجار عن الاصمعي . أبو عُبَيْدة : الغلل الماء الظاهر الجاري وهو الغَيْل أيضاً . والقانئ الاحمر . والفاقع الاصفر ويقال في الاسود : حالِكٌ وحانِكٌ . وفي الابيض يَقَقٌ . والاكمه المولود أعمى . والأَمرهُ الذي لا يكتحل .

ومن السنيّ البديع ، والسريّ الرفيع ، في فصل الربيع ، ما أنشدنيه لنفسه أبو جعفر بن الأبّار موصولا بمدح الحاجب وهو : (كامل)

لبس الربيع الطَّلق بُرد شبابه ❀ وافترَّ عن عُتباه بعد عِتابه
ملِك الفصول حَبا الثرى بثرائه ❀ مُتبرّجاً لِوِهاده وهِضابه
فأراك بالانوار وَشْيَ بروده ❀ وأراك بالأشجار خُضرَ قِبابه
أمسى يُذهّبها بشمس أصيله ❀ وغدا يُفضّضها بدمع جنابه
عقل العقولَ فما تكيّف حسنه ❀ وثنى العيونَ جنائباً بجنابه
(١٣و) بالحاجب المأمول أضحك ثغره ❀ فرَحاً وأُنطِقَ جهرُنا بصوابه
بعماد هذا الدين والملِك الذي ❀ تتبادرُ الاملاك لَثمَ رِكابه
هزّ الصِعاد فأُرْعِدت من خوفه ❀ وعلا الجيادَ فأصبحت تُزهى به

عُتباه رضاه . وعِتابه سُخطه . ووهاده المواضع المنخفضة . ونجاده المرتفعة . جنائباً مقودة اليه موقوفة النظر عليه . وقوله : هزّ الصِعاد جمع صَعدة وهي القناة النابتة مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف وتقويم .

وله أيضاً في هذا المعنى قطعة بديعة الغرض موصولة بمدح أبي ـ وقاه الله بي ـ وهي : (منسرح)

إشتبشرَ الدهرُ بعد ما استبصرْ ❀ فَراقَ منه الرواء والمخبرْ
وجرَّد الجوُّ ثوب دُكنته ❀ واكتست الارض ثوبها الاخضرْ
وأضحكتْ عن بديع زهْرتها ❀ لما بكى الغيثُ قبلُ واستعبرْ
ما دَرَّ درُّ الغمام منتثراً ❀ إلّا انتحى الروض نظمَ ما ينثُرْ
ولا انتضى البرق فيه أنصُلَهُ ❀ إلّا دمُ المحلِ بينها يُهدَرْ
لولا عقيقُ البروق حين سرى ❀ لم يكنِ الروضُ يُثمرُ الجوهرْ
حدائقٌ بل كأنها حَدَقٌ ❀ تهجعُ طوراً وتارة تسهرْ
إذا صَبَتْ نحوها الصَّبا فتقتْ ❀ للأنفِ مسكا من رَدْعها أذفرْ
أرضٌ تباهي السماءَ مُشرِقةٌ ❀ بكل نجم من زَهرها أزهَرْ
وقبلُ ما فاخرَتْ كواكبَها ❀ بالغُرِّ والصيدِ من بني حِميَرْ
(١٣ظ) بكل غيث إذا السماء صحت ❀ وكلّ ليثٍ إذا القنا كُسِّرْ
وكل سَهم إذا انتحى غَرضاً ❀ وكل شَهمٍ إذا علا مِنبرْ
بحارُ جودٍ تفيضُ من كرم ❀ ...(١) ذا المجد بينها الكوثرْ

قوله : وكل شهم الشهم الذكيُّ القلبِ .

وقال صاحب الشُّرطة أبو بكر بن القُوطِيّةِ يصف الربيع ويمدح ذا الوزارتين أبا عمرٍو أحمدَ بْنَ إسماعيلَ بْنِ عبّادٍ : (بسيط مخلّع) .

أما ترى الروض جوهريّا ❀ ينظِمُ درًّ السما مَليّا

---

(١) بياض في الاصل . لعل الصواب : تحسب .

والنَّوْر من فضّـة وتِبر ❁ متى غـدا النبتُ صيرفيًّا
حتى كأن الربيـع مَلْكٌ ❁ يُحيي له نورَهـا البهيًّا
ترى نواويرَهُ كتِـبر ❁ محضٍ وآذارُ قسطِريًّا
قد مـدَّ نطعاً على رُباهـا ❁ ينتقـد المحـضَ والرديًّا
مثلَ انتقاد العُـلا أبا عمـــــرو نجلَ عبّـاد السَّرِيًّا
ألراجِحَ الواضـحَ المحيًّا ❁ والحُـوَّلَ القُلَّبَ الكمِيًّا
والمنجبِ المعجبَ افتناناً ❁ والمنبِـه المِدرَهَ الذكيًّا

قال أبو الوليد : ومما قلته في هذا المعنى قطعة موصولة بمدح الحاجب ـ أطال الله بقاءه وحرس حوباءه ـ وهي : (كامل) .

أبشِر فقد سفَر الثرى عن بشره ❁ وأتاك ينشُرُ ما طوى من نشرِه
متحصّناً من حسنه في معقـلٍ ❁ عقلَ العيون على رِعايةِ زهرِه
(١٤و) فضَّ الربيع خِتامه فبدا لنا ❁ ما كان من سَرَّائه في سِرِّه
من بعد ما سحبَ السحابُ ذيولهُ ❁ فيه ودرَّ عليـه أنفسَ دُرِّه
فأجِل جفونكَ فيه تجلُ صَداً ❁ بها لولا انـبراءُ جماله لم تَـبرِه
واشكرْ لآذارِ بدائعَ ما ترى ❁ من حسن مَنظَره النضير وخُبرِه
شهرٌ كأن الحاجبَ بنَ محمد ❁ ألقى عليه مَسحةً من بشرِه(١)
مَلِكٌ تملَّكَ رِقَّنا بمكارمٍ ❁ جعلتْ له غفر النجوم كغفرِه

(١) توجد هذه الابيات (من الأول إلى السابع دون الخامس في كتاب بغية الملتمس للضبي (ط مدريد) صفحة ٢١٣ ـ ٢١٤ .

لا زال خَطْبُ زمانه في أسره ❀ فلقد رأيتُ به هوايَ بأسرِهِ

الغَفْر نَجْمٌ . والعفر التراب . يقال عفْرٌ وعفر . فكأنه لعلوّ منزلته وسموّ درجته قد استويا في بُعْدهما منه وتباينهما عنه . وأسره في شطر البيت : في مِلكه وتحت حُكْمه من الأسر المعروف . وبأسره في القافية بمعنى كله وجميعه . يقال أخذتُ الشيء بأسره أي جميعه .

ولي أيضاً في مثل ذلك : (كامل)

بكت السماءُ فأضحكت سِنَّ الثرى ❀ بمدامعٍ نظمَتْ عليه جوهرا

فكأنها خَرْقاء تنثر عِقْدَها ❀ وكأنه مُسْتغنِم أن يُنْثَرا

عكفَتْ يداه على نظام فريده ❀ وجُمانه فَرداً لذاك مُشمّرا

وأعاده أبهى لطَرْف منْظراً ❀ وأعدّه أذكى لأنف مَخْبَرا

فانظُرْ محاسن للربيع تبرَّجتْ ❀ لولا الربيعُ لَمَا تجلَّتْ للورى

ومن المستحسن المستغرب ، والمستطاب المستعذب ، (١٤ ظ) في هذا المعنى قطعة لأبي بكر بْنِ نَصْرٍ كتب بها اليَّ في زمن الربيع يسئلني الخروج إلى حيث يبدو كماله ويظهر جماله . والقطعة : (كامل) .

أُنظُرْ نسيم الروض رقَّ فوجهه ❀ لك عن أسِرَّتهِ السريّة يَسْفِرُ

خضِلٌ بريْعان الربيع وقد غدا ❀ للعين وهْو من النَّضارة مَنْظَرُ

قد طُرِّزتْ منه البرودُ وطررت ❀ بالوَشْي فهو مُطرَّز ومُطرَّرُ

وكأنما تلك الرياضُ عرائسٌ ❀ ملبوسهنَّ مُعَصْفرٌ ومزعْفَرُ

أو كالقيانِ لبسْن مَوْشيَّ الحُلى ❀ فلهن من وَشْي اللباس تبختُرُ(١)
أرض مُدبَّجة الروابي غضّة الـــــتلعات فهْي عن العبير تُعبّرُ
يتعطَّل المسكُ الذكيُّ لعَرْفها ❀ وبه الزمانُ وحُسْنه يتعطَّرُ
مصفوفة أنماطُها ممدودةٌ ❀ حِبَراتُها تبدو اليك وتظهَرُ
فكأنما صَنْعاءُ أهدتْ وشيها ❀ ورمتْ مطارفها الطريفة عَبْقَرُ
حُسنٌ يُقدَّر في الربيع ولا ترى ❀ ذا الحسْن إلّا في الربيع يُقدَّرُ
أنوارُ أشجارٍ غدت أوراقُها ❀ وَرِقاً تَرَقْرَق بالحَباب فتقطُرُ
فاسْمح لصَحْبك أن ترودَ رياضها ❀ معهم فإن عيونهم بك تنظُرُ
مَهِّدْ لهم نحْو البطاح نزاهةً ❀ غرّاءَ تُزْهى بالسماح وتفْخَرُ

فلما وصلت هذه القطعة إليَّ ووردَتْ عليَّ أثارت منّي كامناً وحرّكت ساكناً في ما ندبَ اليه وحضَّ عليه. فخاطبْتُ أبي – وقاه الله بي – برسالة فيها بعض أصناف هذه الاوصاف أسئله إباحة الخروج (١٥ و) لي فبلّغني أملي.

والرسالة بعد صدرها : (٢)

لما خُلِقَ الربيع من أخلاقك الغُرّ وسُرِقَ زهرُه من شيمك الزُّهر حسُن لكل عين منظره، وطاب في كل سمع خَبَرُه، وتاقت النفوس إلى الراحة فيه ومالت إلى الاشراف على بعض ما تحتويه من النَّوْر الذي كسا

(١) ورد هذا البيتان الآخران في كتاب نفح الطيب للمقري ط ليدن الجزء الثاني (ص ٣٢٥). – (٢) توجد هذه الرسالة في نفح الطيب للمقري (ط ليدن) ج ٢ (ص ٢٨٩ – ٢٩٠).

الارض حللًا، لا يرى الناظر في أثنائها خللًا، فكأنها نجوم نثرت على الثرى وقد مُلِئت مسكاً وعنبراً، إن تنسَّمتها فأرِجة، أو توسَّمتها فبهجة، تروق العيون أجناسها وتحيي النفوس أنفاسها. (بسيط)

فالارض في بردة من يانع الزهَرِ ❀ تُزري إذا قِستها بالوشي والحِبَرِ
قد أحكمتها أكف المزن واكِفة ❀ وطرَّزتها بما تُهمي من الدُّرَرِ
تبرَّجت فسبَت منا العيونَ هوى ❀ وفِتنة بعد طول الستر والخَفَرِ

فأوجدني بمعاليك سبيلًا إلى إعمال بصري فيها لأجلو بصيرتي بمحاسن نواحيها. فالفصل على أن يكمُل أوانُه، وينصرمَ وقته وزمانه، فلا تُخلني من بعض التشفّي منه لأَصدرَ نفسي متيقّظة عنه فعهدي بمثل ما سألتُه بعيد، وشوقي إليه شديد، والنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد ومَن أجمّها فهو السديد الرشيد.

واكفة في الشعر هاطلة غزيرة.

ومن المصنوع المطبوع في وصف الربيع ما أنشدنيه لنفسه أبو القاسم البَلِمي وهو: (كامل)

أُنظُرْ ونزِّهْ ناظرَيك بروضة ❀ غنّاء ما زالت تُراح وتُمْطَرُ
(١٥ظ) لتريك من صنعاء صنعة وشيها ❀ بمَطارفٍ من تَسْتُر لا تُستَرُ
ألوانها شتى وطيبُ نسيمها ❀ يُقْصَى العبير به ويُنْسى العنبرُ

تُراح من الريح مثل تُمْطَر من المطر.

قال أبو الوليد : وخرجْتُ متنزّهاً في زمن الربيع إلى بعض ضياعي فكتبت منها إلى صاحب الشرطة أبي الوليد بن العثمانيّ قطعة نثر تحتمل ان تدخل في هذا الباب . وهي بعد صدرها :

قد علم سيدي أن بمرآه يكمل جَذَلي ، ويدنو أملي ، وقد حللْتُ محلّا عنِيَ الجوُّ بتحسينه وانفرد الربيع لتحصينه فكساه حُللًا من الانوار بها ينجلي صدأُ البصائر والابصار . فمن مكْموم يَعْبَق مِسْكه ، ولا يمنعه مَسْكه ، ومن بادٍ يروق مُجتلاه ويفوق مُجتناه ، في مرآه ورَيّاه ، فتفضَّلْ بالخفوف نحوي وتعجيل اللحاق بي لنجدّد للأُنْس مغانِي قد درسَتْ ونفُكّ من السرور معاني قد أشكلَتْ ونشكر للربيع ما أرانا من البديع إن شاء الله .

المكموم هو الذي في كِمامته لم يبدُ . ومَسْكه جِلْده أعني الكمامة .

— الفصل الثـاني —

في القطع التي لم تنفرد بنوّار وإنما اشتملت على نَوْرَيْن أو أنوار .

قال أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد الخير ابن الامام الحَكَم - رضي الله عنهم - يصف النرجس والورد (١٦ و) من جملة قصيد مطوّل : (منسرح) .

أُنظُرْ إلى الروض في جوانبه ✿ أحمرُهُ ضاحك وأصفرُهُ

إذا هفَتْ فوقه الرياحُ سرى ❁ بِهَفْوها مِسْكه وعنبرُهُ
نَرْجِسهُ تستجدّ صُفرته ❁ حتى كأن الحبيبَ يَهْجُرُه
والوَرْد يختال في منابته ❁ تطويه أكمامُه وتنشرُه

وقال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد رَبِّه : (خفيف)

باكرِ الروْضَ في رياض السرورِ ❁ بين نظْم الربيع والمنثورِ
في رياض من البَنفْسجِ يحكي ❁ أثرَ العضّ في بياض الصدورِ
وترى السوسَنَ المنمَّ يحكي ❁ ذَهباً نابتاً على كافورِ

وكتب عمر بن هشام بن قَلَبِيل إلى صديق له يستدعيه في زمن الربيع ويصف ما عنده من النواوير بوصف بديع :

نحن ـ أكرمك الله ـ على بُسْطِ الرياحين ودرانك الورد والياسمين ووَشْي رياض مونِقة حاكَتْها أيدي الربيع المُغدقة ، تُلاحِظنا عن أعين النرجس والسوسان باحلى محاجِرَ وأجفان ، وتبسم عن نوْر الاقحوان بمثل الدرّ والمرجان ، فهي متضوِّعة عن لطائم المسك متنفّسة بأرَج الورد جذِلة بَهِجة فائحة أرجة ، فإنَ تقارنَ حسْنُها بحسْن وجهك فهي حالية مُشرِقة ، وإن عطّلتْ من ضياء غُرَّتك فهي باكية مُطرِقة .

(١٦ ظ) ولعبد الزكيّ بن عثمان الأصمّ قطعة حسنة في الورد والأقاح وهي : (رمل) .

وغضيض من جني الورد م ❁ حكى الصُّبْحَ انفجارا

وأكاليل أقاحي يخالسن حذارا
مُشرئبّات إلى الشمس بأحداق حيارى
إن سقاها الطَّلُّ في السرِّ تضاحكن جهارا

ولأبي مروان عبد الملك بن سعيدٍ المُراديّ قصيدٌ سَرِيٌّ يمدح به الناصر لدين الله – رحمه الله – وفيه أوصاف لنواوير وتشبيهات في أزاهير. فمنها قوله: (طويل)

كأن جَنِيَّ الورد أحْدق حوله ✿ جنى سوسن مستطرف اللون أزهرِ
خدود العذارى المخْجلات تحفّها ✿ عوارضُها مُبيَضّة لم تُخَفَّرِ
وأعين عِقْيان بأجفان لؤلؤٍ ✿ على كل فرْع كالزمُرُّد أخضرِ

وللحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المُصْحَفيّ – رحمه الله – في هذا المعنى أبيات بارعة فيها تشبيهات رائعة. وهي: (كامل)

أُنظرْ إلى الروض الاريض تَخالُه ✿ كالوشي نُمِّقَ أحسن التنميقِ
وكأنما السوسان صَبٌّ مُدْنَفٌ ✿ لعبتْ يداه بجيْبه المشقوقِ
يومَ الوَداع ومزِّقت أثوابه ✿ جَزَعاً عليه أيّما تمزيقِ
والنرجس الغضّ الذكيّ محاجرٌ ✿ تعبَتْ من التسهيد والتأريقِ
(١٧ و) يحكي لنا لون المحِبّ بلونه ✿ وإذا تُنُسّم نكْهة المعشوقِ
وكأن دائرة الحديقة عند ما ✿ جاد الغمامُ لها برِشْف الريقِ
فَلَكٌ من الياقوت تسْطَعُ نوره ✿ فيه كواكبُ جوْهر وعقيقِ

شبَّه أوراق السوسن في افتراقها بجيب مشقوق وهو معنى دقيق أنيق وقد تداوله جماعة واظنه من اختراعه . وتشبيهه الاخير في الحديقة من التشبيهات العُقْم على الحقيقة .

ولابي القاسم بن هانئ الاندلسي قطعة بديهية سَرِيّة كلها سنِيّة يصف فيها الورد والياسمين والنرجس صنعها في مجلس جعفر بن الاندلسيّة وقيل في مجلس جعفر بن فَلَاح . وهي : (كامل) (١)

وثلاثةٍ لم تجتمعْ في مجلسٍ ✿ إلّا لمثلك والاديبُ أريبُ
الورد في شَمَّامةٍ من فِضّةٍ ✿ والياسمين وكلٌّ ذاك عجيبُ (٢)
والنرجس الغضُّ الذكيّ ولونُه ✿ لونُ المحِبّ إذا جفاه حبيبُ
فاحمرَّ ذا وابيضَّ ذا واصفرّ ذا ✿ فبدت دلائلُ كُلُّهنَّ غريبُ
فكأنّ هذا عاشق وكأن ذا م ✿ لـ مُعشّق وكأن ذاك رقيبُ

وقال أبو عبد الملك الطَّلِيقُ وهو مروان بن عبد الرحمان بن مروان ابن عبد الرحمان الناصر لدين الله يصف الورد والبهار في قصيد مشهور له لم يُصنَع بعده ولا قبله على عَروضه (١٧ ظ) وقافيته ما يُوازيه جمالا ولا يضاهيه كمالا . والوصف بعد صدرٍ في سواه : (رمل) .

وكأن الورد يعلوه الندى ✿ وجْنة المعشوق تندى عَرَقا

---

(١) توجد هذه القطعة دون البيت الثالث في ديوان ابن هانئ الاندلسي ط . مصر للدكتور زاهد علي ص ١١٩

(٢) رواية ديوان ابن هانئ ص ١١٩ :

والورد في رامشنة من نرجس ✿ والياسمين وكلهن غريب

يتفــتّى عــن بهــار فاقــع ❀ خِلْته بالورد يطوي وَمَقا
كالمحبَّيْن الوَصولَيْن غـدا ❀ خَجِلا هذا وهذا فَرِقا
يا لهــا من أَنجُم في روضة ❀ قــد ترقت من رباها أُفقا
ودنتْ منها إلى شمس الضحى ❀ حَدَقٌ للنَّوْر تُصبي الحدقا(١)

تشبيه الورد بوجنة المعشوق كثير الا أنه أعرب بزيادة النـدى ومقابلته بالعَرَق. وقوله: يتفقّأ اراد ينشقّ وينجابُ ومنه حديث أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – « نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيْضَتُه التي تفقأت عنه » اراد انشقّت وانجابَتْ . ودلّ على ان البهار بين الورد .

وقال أبو عمر يوسف بن هرون الرَّمادِيّ يصف الورد والأُقاحيّ : (طويل) .

وفي الورد غضًّا والأُقاحي محاسنٌ ❀ سُرِقْن من الأَحباب للمتشوّقِ
خدودُ عَذارى لو تقصّى حَياؤُها ❀ وأفواهُ حُورٍ لو سمَحْنَ بمنطقِ

هذان التشبيهان معروفان لا سِيّما قلْبهما ولكنْ لو فُقِهما حسّنتهما معا وأبدعت فيهما بِدَعاً .

وللمُتَوكِّل بن أبي الحسين قطعة بديعة يصف فيها نواوير وهي : (مديد)

(١٨ و) في رياض بُسْطُها زَهْرٌ ❀ مُظْهِرٌ من أيْكها قُبَبا

(١) توجد هذه الابيات – دون الرابع – في الحلة السيراء ص ١١٦ .

نرجس يَرْنو بلحظته ❀ نحْوَ وَزدٍ طال ما انتقبا
فترى ذا سافراً خجِلاً ❀ وترى ذا عاشقاً نَصِبا
وترى الخِيرِيّ مُكتَتِما ❀ مثْلَ لِصٍّ كاد أن يثبا
فإذا ما الليل ستّره ❀ أظهرَ الفِتْكة واستلبا

ولابي بكر بن هُذَيْل قطعة رفيعة الصفات بديعة التشبيهات في نواوير عِدّة . وهي : (طويل) .

حديقةُ نَفْسٍ تملأُ النفسَ بهجةً ❀ وتثني عيونُ الناظرين بها حسرى
كأَنّ جَنِيَّ الجُلَّنار ووَرْدَها ❀ عشيقان لما استجمعا أظهرا خَفْرا
كأَنّ جنى سوسانها في سنا الضُّحى ❀ كؤوس من البلّور قد حُشيت تِبرا
كأَنّ عيون النرجس الغضّ بالندى ❀ عيون تداري الدمع خيفة أن يدرى
كأَنّ جَنى الخيري في غبش الدُّجى ❀ نسيمُ حبيب زار عاشقه سِرّا
كأَنّ ينابيع المياه مَراجِلٌ ❀ تفور وقد أذكت لهن الحصى جمْرا

شبه المياه في آخر بيت بالمراجل وهي القدور واحدها مِرْجَل .

وللوزير أبي عامر بن شُهَيْد ـ رحمه الله ـ قصيد يمدح به سليمان المستعين بالله ـ نضّر الله وجهه ـ في فصل النَّيْروز وفيه قطعة عجيبة في نواوير عِدّة : (كامل) .

وأتاك بالنَّيْروز شوقٌ حافزٌ ❀ وتطلُّعٌ للزَّوْر غِبَّ تطلُّعِ
وافاك في زمن عجيب مُونِقٍ ❀ وأتاك في زَهْر كريم ممتّعِ

فانظر إلى حسن الربيع وقد جلت ❁ عن ثوب نور للربيع مُجزَّع
(١٨ظ) فكأن نرجسها وقد حشدت به ❁ زهرُ النجوم تقاربت في مطلع
أو أعينُ الاحباب حين تراسلت ❁ باللّحظ تحت تخوُّفٍ وتوقُّع
وبها البَنَفسج قد حكى بخضوعه ❁ وقُنُوِّ لَوْن في سواد مُشْبَع
خدَّ الحبيب وقد عضضت بجَنَّةٍ ❁ فشكا إليك بأنَّةٍ وتوجُّع
وكأنما خِيرِيُّها تحت الدُّجى ❁ بين الازاهير قام كالمتطلّع
يرجو زيارة مَنْ يُحِبّ لوعده ❁ كَلَفاً فبات مُراقباً لم يَهْجَع

وكتب الوزير أبو عامر بْنُ مَسْلَمَة وبين يديه ورد وسُوسان ونَيْلوفر إلى صاحب الشُّرْطة أبي بكر بن القُوطِيّة يسئله وَصْفها وشرط في رغبته أن يكون أوّلُ الشعر : (كامل).

وثلثة لما اجتمعن بمجلس(١) ❁ نبَّهْن منّي هِمّة لم تَنْعُس

فاضاف أبو بكر اليه بديهة أبياتاً سرية تعجز من رامها روية وبعث بها اليه . وهي : (كامل)

وثلاثةٍ لمّا اجتمعن بمجلس ❁ نبَّهْن منّي هِمّة لم تَنْعُس
ودعون حيَّ على الصَّبوح فشُقْنني ❁ بِدُعائهنّ إلى لقاء الأَكْؤُس
وَرْدٌ كمثل دم الوَرِيد وسوسنٌ ❁ غضٌّ بِسوسِيّ الغلائل مكتسِ
ويَزينه نَيْلوفرٌ أوراقُه ❁ ورِق جرى من فوق أخضر أملسِ

(١) هذا المصراع لابن هانيء الاندلسي . راجع هذا الكتاب نفسه (ورقة ١٧ و).

فإذا سرت أنفاسُها لك أبرأت ❀ بلطيف ريّاها غليل الأنفُسِ
الوردُ والسوسانُ والنيلوفرُ الـــأرِجُ المُشمّ محرّكي ومُوَسْوِسي
فاقت بحسن رُوائها وأريجهـا ❀ فيها من النُّوّار أعمُرُ مجلِسي

(١٩ و) وأنشدني أيضاً لنفسه صاحب الشرطة أبو بكر (بن القوطيّة) أبياتاً يصف فيها الورد والسوسان قَصر على جميع تشبيهاتها وبديع صفاتها الحُسْنَ والاحسانَ . وهي : (بسيط) .

قم فاسقِنيها على الورد الذي فَغَما ❀ وباكِرِ السوسنَ الغضّ الذي نجما
كأنما ارتضعا خِلْفَيْ سمائهما ❀ فأرضعَتْ لَبَناً هذا وذاك دما
جِسْمان قد كفر الكافورَ ذاك وقد ❀ عقّ العقيقَ احمراراً ذا وما احتشما
كأن ذا طُلْية نُصّتْ لمُعْتَرِض ❀ وذاك خدّ غداةَ البَيْنِ قد لُطِما
أوْ لا فذاك أنابيبُ اللُّجَيْن وذا ❀ جَمْرُ الغضا حرّكته النارُ فاضطَرما

قوله : على الورد الذي فغما أي الذي سدّت ريحُه الخياشيم . وقوله : الذي نجم أي الذي طلع . والطلْية صفحة العُنُق وهي واحدة الطُّلى . ولغة ثانية في الطُلْية : طُلاة . ونُصّتْ رُفِعَتْ .

وأنشدني لنفسه الوزير أبو عامر بن مَسلَمة قطعة يصف فيها البهار والبنفسج بأوصاف غريبة ويشبهها بتشبيهات عجيبة : (كامل) .

قدِم البهارُ مع البنفسجِ فاشْرَبَـــنّ عليهما بين الرياض الغضّهْ
هـذا كمعشوق وعاشقه وذا ❀ مثلُ الحزين دموعُه مُرْفَضّهْ

وترى البهار كأنه ياقوتة ❀ صفراءُ تحملها أكُفٌّ بَضَّهْ
قد سترت حذرَ الرقيب معاصماً ❀ بمطارفٍ خُضْر وأبدت فِضّهْ
وجرى النُّضارُ بها فحسَّن خلقها ❀ كمثال معشوق تشكّى مَرْضَهْ
(١٩ظ)وكأن ذاك بخدّها وبنحرها ❀ عند العِيانِ لنا بقايا عَضَّهْ

قوله : كأن ذاك أشار إلى البَنَفْسج إذْ بعُد ذِكْرُه لاشتغاله بوصف البهار .

وللوزير أبي عامر (بن مسلمة) أيضاً قطعة في جملة من النواوير وعدة من الازاهير أبدعُ من المتقدِّمة على أن لا أبدعَ ، وأرفعُ منها على أن لا أرفعَ ، تضمَّنت من التشبيهات غريبها ومن الصفات عجيبها أنشدنيها موصولةً بمدح ذي الوزارتين القاضي ـ وصل الله حُرمتَهُ وأدام عِزّته ـ وهي : (رجز)

وروضةٍ مُشرِقةٍ ❀ بكلّ نَورٍ مُجتنى
فيها بهارٌ باهرٌ ❀ ونرجس يشكو الضَّنى
وياسمين أرْضُه ❀ ونَوْره تلوَّنا
كالليْل مُخضرّاً ولـكن بالنجوم زُيّنا
فاجتنِ ورداً وارداً ❀ وسوسَناً مُلسَّنا
وحوله نَيْلُوفرٌ ❀ فِتْنَةُ رانٍ إن رَنا
تخالُهُ مَضارِباً ❀ من المَها تروقُنا

والآسُ آسٍ كاسمهِ ❀ بنَوره قد حسّنا
تنويرُهُ جواهرٌ ❀ من غير بحرٍ تُقتنى
وحَبُّه من سَبَجٍ ❀ أو سُنْدُس قد لُوِّنا
وقد بدا فيها البنفسج الندي الغض الجنى
وأرضُه مطارفٌ ❀ خُضْر أتتنا بالمُنَى
طابت بطيبِ ماجدٍ ❀ فاق سَناءً وسَنَا
ذاك ابن عبّادٍ عما م دي وسراجي في الدُّنا
فهو يُثير الحقَّ والـعَدْلَ ويُحيي السُّنَنا
ونوره مِسْك فتيـتٌ حُسْنه يفتُنُنَا
قاضٍ بنَشْرِ عَدْله ❀ طابت لنا أزْمُنُنا
لا زال يبْقى ما علا ❀ قُمْرِيٌّ أيكٍ فَننا

وللوزير أبي عامر (بن مَسْلَمة) أيضاً قطعة بديهيّة سرِيّة كلها سنية قالها وبين يديه ثلثة أنوار : خِيريّ وبنفسج وبهار وأنشد : (كامل).

(٢٠و) وثلاثة لما اجتمعن بمجلسي (١) ❀ أقرَرْن عينَ تنزُّهي وتأنُّسي
نمّامُ طِيبٍ في بهارٍ باهرٍ ❀ وبنفسج أضحى حبيبَ الانفسِ
فالسَّبْقُ منها للبهارِ لأنّه ❀ يأتي ونَوْرُ الرَّوْض لم يتحسَّسِ
ثُمَّ البنفسجُ فهوَ يتلوه لنا ❀ راقتْ ملاحتُه فأصبح مؤنِسي

---

(١) راجع ورقة ١٧ و.

يحكي لنا المِسْكَ الفتيتَ بلونه ❀ في أرضِ عَنْبرة كلون السُّندسِ
والخير في الخيري إلا أنه ❀ يُخْفي النسيمَ نهاره بالمجلسِ
ويُذيعه بالليل فهو بِفعْله ❀ وبِصُنْعِه هذا صديقُ الحِنْدِسِ
فاقت نواويرُ الرياض تلوُّناً ❀ فغدتْ لها مثلَ النجومِ الكُنَّسِ

وقال يونُس بْنُ مسعود الرُّصافيُّ يصف الورد والخيري : (خفيف)

يتطلَّعْن أنجماً بعيونٍ ❀ كالخواتم زانها التفصيصُ
في رياضٍ كأنما الورْد فيهـ ❀ ـنَّ عذارى تجنُّبهن خصوصُ
هبَّ خيريُّها بليل وقد نا ❀ مَ نهاراً كما تهبُّ اللُّصوصُ

أظنُّ البيتَ الاولَ في البهار إذ هي صفته . وله أيضاً : (كامل) .

وكأنَّ سوسنَه مداهنُ فضّة ❀ تحوي خلوقاً بالعبير مُطَيَّبا
وتخال نرجسه بها تِبْراً على ❀ قُضُبِ الزُّمرُّد حين قام مركَّبا
وكأن أعينه عيونُ حبائبٍ ❀ قد أبصرَت يوم النَّدى مُترقّبا
والورد تحسبُه خدود كواعبٍ ❀ كادتْ من التوْريد أن تتلهَّبا
وكأنما الخيريُّ خدٌّ عضَّه ❀ لحْظُ الحبيبِ صَبابةً وتحبُّبا

(٢٠ ظ) وصنع الفقيه أبو الحسن بن عليّ قصيدة ضاديّة يصف فيها نواوير الربيع بوصف حسن بديع . ويمدح بها ذا الوزارتين القاضي — أدام الله عِزّه ووصل حِرْزه — وأنا أذكر منها قطعة تُشاكِل هذا الباب . وهي بعد صدر من القصيد : (مجتثّ) .

كأنما الروْضُ لمَّا ❀ وشتْ يَدُ المُزن أرضهْ
بكُلّ حمراءَ صِرْفٍ ❀ وكلّ بيضاءَ بَضّهْ
كواكبٌ في سماءٍ ❀ من الزَّبرجَدِ مَحْضَهْ
كأنّ طَلَّ الاقاحي ❀ مدامعٌ مُرْفَضَّهْ
أو لُؤلُؤٌ فوق أرض ❀ من المَهَا مُبْيَضّهْ
كأنما الورد صدْرٌ ❀ أبقَى به اللَّثمُ عضّهْ
أو خدُّ أغْيَدَ قد أخجلَتْه حال مُمِضَّهْ
كأنما النهْرُ نَصْلٌ ❀ جلا الصياقِلُ عُرْضَهْ
كأنما غُدُرُ الما ء في المروج الغَضَّهْ
إذا التَقَيْن مَراءٍ ❀ أو أكؤسٌ من فِضّهْ
كأنما الشمس في الجوِّ حين يقطعُ عَرَضَهْ
وجْهُ ابن عبّاد الندْب حين تأمُل قَرضَهْ
حوى بطَوْل يدَيْه ❀ طُولَ الثناء وعَرْضَهْ

المراءي جمع مِرآة مثل مكْواة ومكاوي وهو تشبيه قويّ سريّ جدّاً.

قال أبو الوليد: فلما بلغني ذلك صنعْتُ قصيداً على ذلك النحو وانا ذاكر أيضاً منه (٢١ و) قطعةً تليق بهذا الباب وهي من أوله: (مجتثّ).

أنظُرْ إلى النهر واعجَبْ ❀ لحسْن مَرآه وأرضَهْ
قد حلَّ بين رياض ❀ من النواوير غَضَّهْ

فيها بهار بَهيٌّ ✿ بدا فزيَّن أرضَهْ
كأنه جِيدُ تبرٍ ✿ يلوح في طَوْق فضَّهْ
ونرجسٌ مثْل لون الـ ـمَهْجور فارَقَ غمضَهْ
وأقحوانٌ أنيق ✿ بُروده مُبْيَضَّه
قد طرَّزتها بتبر ✿ عينُ الندى المرْفَضَّهْ
وباقِلاءٌ قد أبدى ✿ بنوره الحسْنَ مَحْضَهْ
كأنما هو خالٌ ✿ بخدِّ بيضاءَ بَضَّهْ
كأنما النهر أُفق الـ ـسماء عانَقَ أرْضَهْ
وقد كَسا عُدْوَتيْه ✿ من الازاهر مَخْضَهْ
كما ابن عبّاد النّدْ م بُ قد كسا الصون عرضه
سَمحٌ على المال فَظٌّ ✿ دَأْباً يجدِّد فَضَّهْ
له من الجاهِ حَظٌّ ✿ على التواضُع عَضَّهْ

فلما أنشدته القاضيَ - أبقاه الله - سرَّ سرورَ متشيّعٍ في غَذِيِّ إنعامه وربيِّ أَيامه وأَمرني باستحضار صاحب الشرطة أبي بكر بن القُوطيّة والاديبَيْن أبي جعفر بن الابار (٢١ ظ) وأبي بكر بن نَصر وأمرِهمْ عنه لا زال ماضي الأمر بالعمل في ذلك المعنى على العروض والقافية فلم أُقدِّمْ شيئاً على استحضارهم وإيراد ما أمرني به عليهم . فصنعوا في ذلك من ليلتهم أشعاراً رائعة السِّمات فائقة الصِّفات .

فمن ذلك شعر أبي بكر بن القُوطيّة وهو من أوله : (مجتثّ) .

بشاطئ الواد نهر ❀ كسا الدرانكُ أرْضَهْ

خُضراً وصُفراً وحُمراً ❀ وبعضها مُبْيَضَّهْ

نمارقٌ وزرابٍ ❀ من النواوير غَضَّهْ

فالورْدُ وَجْنَةُ خَوْدٍ ❀ بيضاءَ غَرّاءَ بضَّهْ

كما البَنَفْسج خدٌّ ❀ أبقى به الهشْمُ عضَّهْ

والياسمين نجومٌ ❀ حازتْ من الحُسن محضَهْ

رَوْضٌ بديعٌ متى ما ❀ تُجِل به الطَّرفَ تَرْضَهْ

تُقيِّدُ اللَّحْظَ حُسْناً ❀ فليس يَسْطيعُ نَهْضَهْ

حَكَى سجايا ابن عَبَّا ❀ دٍ الكريم وعِرضَهْ

قاض على الحقّ ماض ❀ راض بِهِ لو أَمَضَّهْ

إِسْمٌ ابتداءٍ تعالَى ❀ أنْ يُحسِن الدَّهرُ خَفضَهْ

أراد أنه رفيعُ القَدْرِ لم تَقدِرْ على خَفضِه نوبُ الدَّهرِ وهو معنًى كالسِّحرِ .

ومن شعر أَبي جَعْفَر بن الابّار وهو من أَوّله : (مُجتَثّ) .

(٢٢ و) لا تَرْضَ للَّحْظِ غَضَّهْ ❀ والْمَحْ من النَّوْر غَضَّهْ

خَدّ الرَّبيعِ تَبَدَّى ❀ فَصِلْ بِلحظك عَضَّهْ

شَقائقٌ شَقَّ قَلْبي ❀ رُواؤُها واقْتَضَّهْ

كأنما الأَرضُ منها ❀ خريدةٌ مُفْتَضَّه
ونرجسٌ مُتَغاضٍ ❀ كأنما الحُزنُ مَضَّه
يَرنو بِطَرْفٍ كَحيلٍ ❀ كمن يُحاوِل غَمْضَه
وسوسَنٌ إن تُشِمْه ❀ فكالوَذائِلِ بَضَّه
أو ألْسُنُ الدرّ صِيغَتْ ❀ أوِ الطّلا المُبْيَضَّه
والأُقْحوانُ نجومٌ ❀ لَيْستْ تُرى مُنْقَضَّه
كانتْ خِتاماً عليْهِ ❀ منه كمائِمُ غَضَّه
فَحاوَلَ الجَوّ رِفْضاً ❀ بِفِضَّة الطَّلِّ فَضَّه
لم يُضحِكِ الرَّوْضَ إلَّا ❀ دموعُهُ المُرْفَضَّه
ما زال يُولَى فيُولي ❀ مِن كُلِّ وُدٍّ مَحْضَه
حتّى إذا الوَردُ حَيَّى ❀ وعارَضَ المِسكُ عِرْضَه
أَبْدى غَلائِلَ حُمْراً ❀ إزارُها مُنفَضَّه
كأنما المُزْنُ جيْشٌ ❀ يُحاوِلُ الأُفْقُ عَرْضَه

ثمَّ دَخَلَ إلى المَدْح من هنا دخولاً مُسْتَحسَناً فقال مخاطِباً لِمَمدوحه : (مُجتَثّ) .

كأَنَما البَرقُ فيه ❀ على اجتِدائِكَ حَضَّه
(٢٢ظ) كأَنما الرَّعدُ قَصْفاً ❀ بِكُم يُهَدِّدُ وَمْضَه
كأَنما الرّيحُ تَبْغي ❀ لِبَعْضِ شأوِكَ نَهضَه

كأَنَّمَا البَحْرُ عافٍ ❀ إِلَيكَ قد شَدَّ غَرْضَهْ
ومَدّ بالنَّهْرِ كَفًّا ❀ لِكي تُعَجّلَ قَرْضَهْ

قوله : ما زال يُولى أرادَ يُتعاهَدُ بالوَلِيّ وهو مَطَرُ الربيع ويُولِي الثانِي هو المعروفُ يُسدى اليه . وقوله : عارَضَ المِسْكُ عِرْضَه العِرْضُ الريحُ يُقالُ فُلانٌ طَيِّبُ العِرْضِ ومُنْتِنُ العِرْضِ اي الريح . والعِرْضُ أَيضاً وادِي اليَمَامَةِ وكُلُّ وادٍ عِرْضٌ . والعِرْضُ أَيضاً ما ذُمَّ بهِ الانْسانُ أُو مُدِحَ . وقولُهُ : قد شَدَّ غَرْضَهُ الغَرْضُ حِزام الفَرَسِ ومنه الغَرْضَةُ .

ومن شِعْرِ أَبي بَكْرٍ بن نَصْرٍ وهو من أَوّلِهِ أَيضاً : (مُجْتَثّ)

أَما تَرَى الأَرْضَ خَضرَا ❀ ءَ بالأَزاهِرِ غَضَّهْ
كأَنَّها في مُلاةٍ ❀ مِن الزَّبَرْجَدِ مَحْضَهْ
وفَوْقَ ذلكَ نَوْرٌ ❀ يُعَانِقُ البَعْضُ بَعضَهْ
مِن نَرجِسٍ ذِي جُفُونٍ ❀ دُمُوعُهَا مُرْفَضَّهْ
مُصْفَرّ لَوْنٍ كَصَبٍّ ❀ بِهِ غَرامٌ أَمَضَّهْ
لَحْظُ لُجَيْنٍ ولكنْ ❀ على صَفَا التّبرِ عَضَّهْ
والسَّوسَنُ الغَضُّ نَوْرٌ ❀ حَمَى عنِ الذَّمِّ عِرْضَهْ
(٢٣ و) كأَنَّهُ ضاحِكٌ عنْ ❀ عَوارِضٍ مُبْيَضَّهْ
مُفَلَّجاتٍ طِوالٍ ❀ تَلَبَّسَتْ بالفِضَّهْ

وَللنَّـوَائِرِ عِـرْضٌ ❀ والوَرْدُ أَخَّرَ عِرْضَهْ
غَضٌّ وبَضٌّ ولَكِنْ ❀ لَمْ يُنْصِفِ الدَّهْرُ غَضَّهْ
الآسُ أَدْوَمُ بُرْءًا ❀ والوَرْدُ أَسْرَعُ مَرَضَهْ

ومن المَدْحِ :

جاوِرْ نَداهُ تُصادِفْ ❀ مِنْ طَيِّبِ العَيْشِ خَفْضَهْ
مَا أَضْمَرَ الكُفْرَ إِلَّا ❀ مَنْ باتَ يُضْمِرُ بُغْضَهْ
وإنْ عَصاهُ مُناوٍ ❀ فَما يَني أَنْ يَفُضَّهْ
ولَوْ تَحَصَّنَ مِنْهُ ❀ بِرَأْسِ رَضْوَى لَرَضَّهْ

ثُمَّ ان الوزير الكاتب أَبَا الاصبغ (ابن عبد العزيز) عرف ذلك فصنع شِعْراً على هَيْئَتِها في المَعْنَى والغَرَضِ . ومنه : (مجتثّ)

يا مَنْ تأَمَّلَ رَوْضاً ❀ بهِ النَّوَاوِيرُ غَضَّهْ
وعايَنَ الحُسْنَ مِنها ❀ قدْ زَيَّنَ البَعْضَ بَعْضَهْ
فالأُقْحُوانُ بَياضٌ ❀ كأَنَّه سِمْطُ فِضَّهْ
والنَّرْجِسُ الغَضُّ تِبْرٌ ❀ في صُفْرَةٍ منه مَحْضَهْ
والوَرْدُ ماءٌ وَنارٌ ❀ سالا على وجْهِ بَضَّهْ
ضِدَّانِ في صَحْنِ خَدٍّ ❀ قد أُلِّفَا بَعْدَ بُغْضَهْ
(٢٣ظ) والنهر سبْكُ لُجينٍ ❀ جَرَى فَزَيَّنَ أَرْضَهْ

ومن المدح :

قاضٍ يكافح عنّا ❀ العدى ويهجر غمضه
أسدى وأولى جميلاً ❀ فأجمل الله قرضه
أيامه الغرّ ماءٌ ❀ صفا لمن رام خوضه
فالعمر فيها قصيرٌ ❀ والدهر فيها كغمضه

وهذا البيتُ غايةٌ ووصفُ الوردِ نهاية وان كان معروفاً في وصف الخدود فقلَبُه إلى وصف الوردِ مما أحسنَ فيه وأغربَ به .

ولمّا أكمل أبو الاصبغ إنشادَ هذا الشّعرِ أمرَ القاضي ـ أعزه الله ـ والِدي عبدَه الناصحَ له دأبه الحسَن فيه ظاهره وغيبُه بالجلوس بيْن يديْه ثم أمَلّ بديهةً عليه : (مُجتثٌّ)

أبلغْ شقيقيَ عنّي ❀ مقالةً لتُمضّه
بأنَّ وصفَ الأقاحي ❀ م الذي وصفتَه لم أرْضه
هلّا وصفتَ الأقاحي ❀ بأكؤسٍ من فضّه
قيعانُها مُلْبساتٌ ❀ صِرفَ النُّضار ومحضه
أوْ لا فصفرُ اليواقيـ ❀ ـتِ في خواتمِ فضّه
أوِ النُّجومُ تساقطـ ❀ ـنَ في المَهى المُبيَضّه
أوْ لا فجامُ مهاةٍ ❀ بالخمْر في كفِّ بضّه
(٢٤ و)قد باكرته وأبقتْ ❀ مِن فضْلها فيه بعْضه

قال أبو الوليد : سمعت أبي وأبا الأصبغ يقولانِ : والله ما أكمل

إمْلاءِ الابيات بتلك التشبيهاتِ الرائقةِ والصفاتِ الرائعةِ الّا ونحنُ قد بُهِتْنا من سُرعةِ بديهتِهِ وقدرةِ فكْرِهِ على تهذيب قوافيها وتذهيبِ معانيها في أَسْرع مِن لَّا في اللّفْظِ وأَعْجَلَ من رَجْعِ اللّحْظِ والمعْنيُّ فيها والمردودُ عليه بها هو الوزير أَبو الاصبغ في وصفِهِ المتقدِّمِ للأَقاحي حين قال : (مجتثٌّ)

فالاقحوان بَياضاً ✿ كأَنَّهُ سِمْطُ فِضَّهْ

لِأنه وصفَ بياضَهُ ولم يصفْ صُفْرَتَه . فجمعُها القاضي ـ أَعزّه الله واحسن ذِكراه ـ بتشبيهاتٍ كُلُّها مُسْتَوْلٍ على غايةِ الكمالِ ، مُسْتوْفٍ نهايةَ الجمال ، ولو وقعَ تشبيهٌ من تلك التشبيهاتِ لِمَوْسومٍ بهذه الصّناعة متّخذ لها كالبضاعة بعد إعمال فكْرِهِ فيه وإشغالِ ذهْنِهِ به لَكان مُستَندَراً مُستغرَباً فكيف باجتماعِها على حُسنِها وانطباعِها له ـ أَعزّه الله ـ بديهةً مع كَثْرَةِ اشتغاله بالفرائض عن هذه النوافِلِ التي لا يتحلَّى بها ولا يَتجلْبَبَ بجلبابِها .

قال أَبو الوليد : وهذه القطعةُ كان يجب أَن تكون في باب القطعِ المنفَرِدة لأَنها في الاقاحي على حِدَة . (٢٤ ظ) لِكنّي لو فصلْتُها من الشّعْر الذي اتّصلَتْ به والمعنى الذي وقعتْ فيه لكُنتُ مفرّقاً بين الطَّرْفِ وحَوَرِهِ والخَدِّ وخَفَرِهِ . ففيها من التشريف لمن خُوطب بها وعُنِيَ فيها ما يَبْقى في نسلِهِ ويُنْبِيءُ عن فضْلِهِ .

وقال أَبو الحَسن عليُّ بن أَبي غالِب في المعنى الأوَّل والقافية والعروض موصولاً بمَدْح أبي ـ أطال الله لي عُمْرَه وأَبقى عليَّ سِترَه ـ : (مجتثّ)

نبِّهْ جُفونك للرَّوْ م ضِ واهْجرنْ كلَّ غَمضه

قَدْ نبَّهَ الطَّلّ منهُ ❁ الجَفْنَ الَّذي كان غَضَّه

مِن بيْنِ وَرْدٍ كخَدِّ الْـ ـحَبيبِ حاوَلْتَ عَضَّه

وسُوسَنٍ قد حَكَى لي ❁ سَوالِفَ الغِيدِ بَضَّه

ونَرجِسٍ مَنَعَ السُّهْـ ـدُ جَفْنَهُ أن يَغُضَّه

كلَوْنِ صَبٍّ تَشَكَّى ❁ قِلا الحَبيبِ وبُغْضَه

ومِن بَهارٍ يُدلّي ❁ جَماجِماً منهُ غَضَّه

كأنَّه مُعْرِضٌ عَنْ ❁ مُحَدِّثٍ لمْ يَرْضَه

ومِن أَقاحٍ يُباهي ❁ مُصْفرُّه مُبْيَضَّه

كأنَّهُ نُقَرُ التِّبْـ ـرِ في مَداهِنِ فِضَّه

وبعد أَبياتٍ دَخَل إلى المدْحِ . فقال يعني الرَّوْض :

كأنَّما ضُمِّنَتْ مِنْ ❁ مُعتَّقِ المِسْكِ مَحْضَه

(٢٥ و) فأشْبهَتْ من طِباعِ ابْـ ـنِ عامِرٍ النَّدْبِ بَعْضَه

وأنشدني لنفسه أَيضاً أبو الحَسَن (عليّ بن أبي غالب) بَيْتَيْن مَرْماهما رشيقٌ ومَغْزاهُما دقيق في الخِيريّ والنَّيْلُوفر . وهُما : (سريع)

كأنَّما الخِيرِيُّ حِبٌّ غَدا الـ ـنَّيْلوفَرُ الغَضُّ عليه رقيبْ

فَهوَ إذا طَبَّقَ أَجْفانَهُ ❀ بِاللَّيلِ لاقاكَ بِنَشْرٍ وطِيبْ

وأَنشدني أيضاً لنفسه وصفاً في السُّوسَنِ والباقلاءِ حَسَنَ التشبيه أَبْدَعَ وأَغْرَبَ فيه وهو : (طويل)

ومِن سُوسَنٍ غَضّ النَّباتِ كأَنَّه ❀ كؤُوسُ لُجَيْنٍ لم تُشَنْ بِنِيالِ

إذا ما بَدا فيها الحَبابُ حَسِبْتَها ❀ سَوالِفَ غِيدٍ قلّدَتْ بِلآلِ

ونَوْرُ نَباتِ الباقلاءِ كأَنَّهُ ❀ شُنُوفُ لُجَيْنٍ ضُمِّخَتْ بِغَوالِ

ولأَبي بَكْرِ بْنِ نَصرٍ وَصْفُ أَكْثَرِ نَواويرِ الرَّبيعِ في قصيدٍ بديعٍ حَسَنِ التَّشْبِيهاتِ غريبِ الصّفاتِ مَدَحَ به أَبي ـ أَبقاه اللهُ بي ـ . فقال يخاطبُهُ بعد أَبْيات : (كامل)

أَسُلالَةً مِن عامرٍ سَلْنِي عن الْـــ ـــأَنْوارِ تَحْصُلْ عِدْكَ الأَنْوارُ

لِلّه نيسانٌ فَفيهِ تَمَّ ما ❀ قد كان قَبْلُ بَدا بهِ آذارُ

امَّا البِقاعُ فإنها جادَتْ لَنا ❀ بِشُموسِ نورٍ بَينَها أَقْمارُ

كالأُقْحوانِ بَديهَةً فاسْمَعْ لَهُ ❀ في الوَصْفِ ما فيه اللَّبيبُ يَحارُ

هو ضاحِكُ الاسنانِ لمّا أَن بكَتْ ❀ عَيْنُ السَّماءِ ودَمْعُها مِدْرارُ

(٢٥ ظ) فتراه يَبْسِمُ عن ثنايا فضّةٍ ❀ تَبْدو إليكَ لِثاتُهُنَّ نُضَّارُ

وشَقائِقُ النُّعْمانِ قُمْصٍ أُشْبِعَتْ ❀ في حُمْرَةٍ فلَها بذا إيثارُ

وكأَنَّها وَسْطَ البِقاعِ وقد عَلَتْ ❀ قُضْبانُ آسٍ في ذُراها نارُ

وإذا تأَمَّلْتَ البَهارَ تأَمُّلاً ❀ أَيقَنْتَ أَنَّ المِسْكَ منه مُعارُ

قُضُبُ الزُّمُرُّدِ موَرقاتٌ فضَّةً ❀ ولها النُّضارُ مُخَلَّصاً نوَّارُ
والنَّرجسُ الغضُّ الانيقُ يَغُضُّ أَلـــحاظاً مِراضاً أمَّا لها أشفارُ
مُترقرِقٌ بِحَبابِ طَلٍّ مِثلَ ما ❀ بَدَرَتْ دموعُ المُحِبِّ غِزارُ
واعْجَبْ لِخَيريِّ الرياضِ فإنما ❀ هُو بينَ أنوارِ الرِّياضِ خِيارُ
باللَّيْلِ لِلسُّمَّارِ يُنْشِرُ نَشْرَهُ ❀ لِينالَ رَدْعَ نَسيمِهِ السُّمَّارُ
فإذا أضاءَ الصُّبحُ أخفى نَشْرَهُ ❀ وتَمَزَّقَتْ من دونِهِ الاوطارُ
والسُّوسَنُ الفَيْنانُ صِفْهُ فإنهُ ❀ غَضٌّ تكادُ تُذيبُهُ الأبصارُ
وكأنما صِرفُ اللُّجَيْنِ بُرودُهُ ❀ منهُ شِعارٌ لاصقٌ ودِثارُ
وإذا دَنا لِلأنْفِ من مُسْتَنْشِقٍ ❀ فلَهُ بِهِ من رَدْعِهِ آثارُ
وإذا ذكَرْتَ الوَرْدَ فاعلمْ أنهُ ❀ لِلنَّوْرِ أجمعَ في الرِّياضِ مَنارُ
مُتدثِّرٌ بغلائلٍ حُمْرِ الحُلى ❀ تَنْجابُ دونَ جُيوبِهِ الأزْرارُ
طِيبٌ لِأنفاسِ النفوسِ ومَنظرٌ ❀ لِلعينِ إلَّا أنهُ غدَّارُ

أمَّا وصفُهُ البَهارَ فهو كوَصفِ أبي عُمَرَ القسطلِّيِّ لهُ ويُمكِن أن يأخُذَهُ أو يوافقَهُ. وقولُ ابن عُمَرَ فيه: (متقارب)

(٢٦و) غصونُ الزُّمُرُّدِ قد أورقتْ ❀ لَنا فِضَّةً نوَّرتْ بالذَّهبْ

وسيأتي في بابِهِ مع أشكالِهِ وأمثالِهِ (١).

وأنشدَني أبو بكرٍ بنُ نصرٍ وصفاً مُستحسَناً في نَواويرَ عِدَّةٍ

---

(١) راجع ورقة (٥٠ ظ).

وأَزاهِيرَ جُملةٍ موصولاً بمدْح ذي الوزارتيْن القاضي ـ أيّدَ الله يدَه وحصر منْ حسدَه ـ وهو من جملةِ قَصيد مُطوّل : (طويل) .

وقْد راقني مِن يانع النّوْرِ فاقعٌ ✿ وقانٍ وأَحوى حالكُ اللونِ أسودهْ

غلائلُ خيريّ وأقباءُ سوسَنِ ✿ وقُمصانُ نِسرين يروقُ توقُّدُهْ

وكم سَبطٍ للنّوْرِ يَسْطعُ نُورُهُ ✿ تمرُّ بهِ رِيحُ الصّبا فتُجعّدُهْ

إذا الأُقحوانُ الغضُّ أبدى تبسُّما ✿ تَبدّى من الوردِ النّضيرِ تورُّدُهْ

ويُزْهى الشقيقُ العُصْفريّ بلوْنه ✿ إذا فاقعُ الحَوْذانِ جادَ تولُّدُهْ

وما الخُرّمُ الكُحْليُّ إلّا كأنهُ ✿ من الحسن طرفٌ جالَ في الجفنِ إثمده

ومن نرجِسٍ نضرٍ يرُوقُكَ درُّهُ ✿ وياقوتُهُ السامي بهِ وزَبرْجَدُهْ

وكم لِلرّبيعِ الطلْقِ نوراً منوّراً ✿ تُدبّجُهُ أَيدي الحَيا وتُولّدُهْ

كما ولّدَ الافضالَ في حِمصَ والندى ✿ سليلُ ابنِ عبّاد الجوادُ محمّدُهْ

لمعتمدَ الوُرّادُ بحرَ يمينهِ ✿ فذلك بحرٌ طامحُ الموْج مُزبدُهْ

قوله : ومن نرجِسٍ يعني البهارَ . وصفته على ذلك دالّةٌ . وياقوتُهُ السّامي لو أمكنه أن يذكرَ لوْنَه فيقولُ المصفرُّ او نحْوه لكان أتمّ إذ ألوانُ اليواقيتِ كثيرة لكنّهُ اكتفى بشُهدةِ الموْصوفِ (٢٦ ظ) وهذا للشعراء كثيرٌ .

ومن اللباب في هذا الباب رسالةٌ كتب بها الوزير أبو حفْص احمد ابن محمد بن بُرْدٍ إلى الوزير أَبي الوليد بن جَهْوَر وصَفَ فيها نواوِيرَ

خمسةً وغرضُه تفضيل الوردِ بيْنها وتقديمه عليها بصفات كلُّها حُرُّ الالفاظ وتشبيهات جميعُها حُورُ الألحاظ (١).

والرسالة :

أما بعدُ يا سيدي ومن (انا) أفديه بنفسي فإنه ذكر بعض أهلِ الادب المتقدمين فيه وذوي الظَّرفِ المعتنين بمُلَحِ معانيه أنّ صنوفاً من الرَّياحينِ وأجناساً من أنوار البساتينِ جمَعها في بعض الازمنة خاطرٌ خطَر بنفوسها وهاجسٌ هجَس في ضمائرِها لم يكن لها بُدٌّ من التَّفاوُضِ فيه والتحاوُر والتحاكُم من أجلِه والتَّناصُف. وأجْمعت على أنّ ما ثبت في ذلك من العهْد ونفَذ من الحِلْف ماض على من غاب شخصُه ولم يانِ منها وقتُه.

فتخيَّرتْ من البلاد أطْيبَها بُقْعة وأخصَبها نجْعَة، وأظلَّها شجراً، وأغْضرها زهَراً، وأعطَرَها نفَس رِيح وأرقَّها دمْع نداً.

ثم أخذتْ مجالسها وانبرت على مراتبِها وقام قائمُها فقال :

يا معشر الشَّجرِ وعامّة الزهرِ، إنَّ (الله تعالى) اللطيفَ الخبيرَ الذي خلق المخلوقات وذرأ البريّات باينَ بيْن أشكالِها وصفاتِها وباعد بين مِنَحِها وأُعطياتِها، فجعل عَبداً وملكاً وخلق قبيحاً وحَسَناً. فضَّل على بعض بعضاً حتى اعتدَل (٢٧ و) بعدلِه الكُلّ واتَّسق على لُطفِ قدرتِه

(١) وردت هذه الرسالة في الذخيرة لابن بسام الجزء الثاني وفي نهاية الأرب للنويري ط. دار الكتب المصرية ج ١١ ص ١٩٦ - ٢٠٠ وعن الذخيرة في بلاغة العرب في الاندلس لأحمد ضيف (مصر ١٣٤٣ - ١٩٢٤) ص ١٥٢ - ١٥٦.

الجميع وأن لكلّ واحد منّا جمالاً في صورته ورقّةً في محاسنه واعتدالاً في قده وعبقاً في نسيمه ومائيّةً في ديباجته قد عطفتْ علينا الاعينُ وَثَنَتْ إلينا الانفس وأصْبَت بنا الاكُفّ وأزْهَت بحضرنا المجالس حتى سفرنا بين الاحبَّة ووصلْنا أسباب القلوب وتحمّلنا لطائف الرسائل وحبّبنا اللّهو واحتضنَّا السرور وأخذنا جِعالَة البُشرى وأُكرِمنا بنُزل الرّفادة وأسْنِيَت لنا صلة الزيادة وصِيغ فينا القريض ورُكِّبت على محاسننا الأعاريض فطمح بنا العُجبُ وازدهانا الكِبر وحمَلنا تفضيل من فضَّلَنا وإيثارُ من آثرَنا على أنْ نسينا الفكرة في أمرنا والتمهيدَ لعواقبنا والتطييبَ لأخبارنا وادعيْنا الفضلَ بأسره والكمالَ بأجمعه ولم نعلَم أنَّ فينا من له المزيّة علينا ومن هو أولى بالرياسة منا ومن يجبُ له علينا التحرُّجُ ومدُّ اليدِ بالمبايعة وإعطاء مجهودِ المحبة وبذْلُ ذاتِ النفسِ وهو الوردُ الذي إن بذَلنا الانصاف من أنفسنا ولم نرتكض في بحر عمانا ولم نمِلْ مع نزع هَوانا دنَّا له ودعونا له واعترفنا بفضله وقلنا برياسته واعتقَدنا إمرتَه وأصفينا محبته فمن لقيَه منا حيّاه بالملك ووفاه (٢٧ ظ) حقّ الامامة ومن لم يدرك زمن سلطانه ولم يأت على عدّان دولته اعتقد ما عُقد عليه ولبّى إلى ما دعي إليه . فهو الأكرم حسَباً والأشرف زمناً والاتمُّ خصالاً والذي إن فُقدت عينه لم يفقَد أثرُه أو غاب شخصه لم يغب عَرفُه والطّيب اليه كلّه محتاج وهو عن جميعه مستغنٍ وهو أحمر والحمرة لون الدم والدم صديق

الرُّوح وصيغة الحياةِ وهو كالياقوت المَنضَّد في أطباق الزَّبرجَد عليها فرائدُ العسْجد .

وأما الأشعار فبمحاسنِه حسُنتْ وباعتدال جمالِه وُزِنتْ . وإننا ما نعتقد إلهامنا إلى هذه المحَمدة واستِنظافِنا من دنَس تلك المَذمَّة إلَّا من أجلِ النِّعِم المقسومةِ لنا والأيادي المتّصلة بنا .

وكان ممن حضر هذا المجلس وشهِد هذا المشهَد من مشاهير الأزهار ورؤساء الأنوار النرجس الأصفرُ والبنفسج والبهار والخيريُّ النّمّام .

فقال النرجس الأصفر : والذي مهّد لي حِجْر الثَّرى وأرضعني ثَدْي الحيا لقد جئت بها أوضحَ من لبَّة الصَّباح وأسطعَ من لسان المِصباح ولقد كنت أُسِرُّ من التَّعبُّد له والشَّغفِ به والأسَفِ على تعاقب الموت والرجعة دون لقائه ما أنحل جسمي ومكَّن سُقْمي وإذ قد أمكَن (٢٨ و) البوحُ بالشكوَى فقد حقّ ثِقَلُ البلْوى .

ثم قام البَنَفْسَجُ فقال : على الخبير سقطتُّ انا والله المتعبّد له الداعي إليه المشغوفُ به كلَفاً ، المغضوضِ بيد النايِ عنه أسفاً ، وكفى ما بوجهِي من ندَب وبجسمي من عدم نهوض ولكن في التَّأَسي بك أُنْسٌ وفي الاستواء معك وِجْدانُ سلُوّ .

ثمّ قام البَهار فقال : (خفيف)

ثمّ قالوا تحبُّها قلت بهْراً ❀ عدد النَّجْم والحصى والتُّرابِ

لا تنظرنَّ إلى غضارةِ منبَتِي ونضارةِ ورَقِي وانظر إليَّ وقد صرتُ حدَقةً باهتةً تشير إليه وعيْناً شاخصةً تندى بكاءً عليه : (وافر).

ولولا كثْرةُ الباكين حوْلِي ✿ على إخوانهم لقتلْتُ نفْسِي(١)

ثم قام الخيريُّ النمّام فقال : والذي أعطاه الفضلَ دوني ، ومدَّ له بالبيْعة يمِني ، ما اجترأْتُ قطُّ إجلالاً له واستحياءً منه . على أن أتنفَّسَ نهاراً أو أُساعِدَ في لذَّة صديقاً أو جاراً . فلذلك جعلْت الليل ستْراً واتخذتُ جوانحَهُ كِنًّا .

فلما رأت استواءَ آرائها على التفضيل له واعتدال مذاهبِها في الدعاء إليه قالت : إنَّ لنا أصحاباً وأشكالاً وأتراباً لا نلتقِي بها في زمن ولا نجاوِرُها في وطن فهلُمَّ فلنكْتُب (٢٨ ظ) بذلك كتاباً ولْنعقد به حلْفاً ولْنضَع من شهادتنا ما يُحتمل الأقاصي والأدانِي عليه .

نسخة الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تحالَفت عليه أصنافُ الشَّجرِ وضروبُ الزَّهرِ ونْسِيُّها وشتويُّها وربيعيُّها وقيْظيُّها حيث ما نجَمَتْ من تلْعةٍ أو ربوة وتفتَّحت من قرارة أو حديقة عند ما راجعَت من بصائرها وأُلهمت من رَشادها واعترفت بما سلف من هفواتِها وأعطَت للورد قيادَها وملَّكته أمرها وأخلَصت له محَبَّتَها وعرفنا أنه أميرُها المقدَّم

(١) هذا البيت للخنساء (راجع ديوانها للأب شيخو ص ١٥٢) .

بخصاله فيها والمؤمَّر بسوابقه عليها واعتقدت له السمعَ والطاعة والتزمت له الرِّقَّ والعُبُودية وبَرئت من كلّ نَور نازَعتْه نفسُه المُباهاة له والاِنتزاء عليه في كل وطَن ومع كل زمن فأَيَّة زهرة قصّ عليها لسانُ الايَّام هذا الحلف فلْتعرِف أنَّ رشادَها فيه وقِوام أمرِها به ولْتحمد الله كثيراً على ما هداها إِليه واستنقذها من الضَّلالِ بتبصرتِه ولْتشهدْه على اعتقادها والله شهيدٌ على الجميع .

شهادةُ النَّرجس : (رمل) .

شهِد النَّرجس والله يَرَى ❀ صحّةَ النّيَّات منها والمَرضْ
أنَّ للوَرْدِ عليه بيْعةً ❀ أُكِّدتْ عَقْداً فما إِن تنْتقِضْ

(٢٩ و) شهادَة البَنفْسج : (كامل) .

شَهَد البنفْسجُ أنّهُ ❀ لِلورْد عبْدُ تملُّكِ
يَسْعى بقَلْب ناصِح ❀ في حُبّه مُسْتهلِكِ

شهادة البَهارِ : (كامل) .

شهد البَهارُ وذو الجلالة عالمٌ ❀ بصحيح ما يُبدي وما يُخْفِيهِ
أنَّ الامارة في الأزاهرِ كُلّها ❀ لِلْورد لا يُؤتَى لهُ بِشَبيهِ

شهادة الخيرِيّ النَّمَّام : (رمل) .

شهد الخيريُّ برًّا صادقاً ❀ قَوْلةً أبعَد عنها الدَّرك
أنَّ أزهارَ الثَّرى أجمعَها ❀ أعبُدٌ والوردُ فيها مَلِكُ

هذا سيدي ما انتهى في المعنى إليَّ ففضْلُك في تصفُّحه والتَّجاوُز عما وقع من زَلَلٍ في نقْله فانت السابق الذي نجْري في غُباره ونهتدي بمناره ولولا علْمي بموقع هذه المُلَح منك لم أُجَشّمْكَ مؤْنةَ النظَر في ما كَتَبْتُ منها لك إن شاءَ الله .

قال أبو الوليد اسمعيلُ بْنُ مُحمد بْن عامر : ولِي رسالةٌ أرْدفْتها على هذه مشتملةٌ على وصف سبعةِ أنوار على ما انتهت إليه غايةُ اختياري وغرضي في الرد بتفضيل البَهار على الورد خاطبتُ بها ذا الوزارتين القاضي سيفَ الحقّ الماضي – كَبَتَ الله أعداءهُ وأدام عليهم إعْداءهُ .

وهي : يامولاي الذي (٢٩ ظ) رِقُّه لي شرفٌ ، وجودُه عليَّ سرفٌ ، ومَنْ أبقاه الله لرفْع شأنِ وَدُود ، ووضْع شانِ حَسُود .

كان من اجتماع بعضِ النواوير واتفاقِ طائفة من الازاهير على تقديم الورد عليها وتفضيلِه بينها وتخيُّره للخلافة منها ما قد وقفْتَ عليه ونظرت إليه مما عُنِيَ بجمْعه وانفرد لذكره أبو حفص بن بُرْد الوزير الكاتب وسِراجُ الأدبِ الثاقبُ . وكانت النواويرُ المتفقة عليه والدَّاعية حينئذ إليه البنفسج والخيريُّ النَّمام والبَهار (والنَّرجسُ) وكتبتْ كتاباً إلى صنوف الأنوار وضروب الأزهار تأمُرُها بالوقوف عند ما وقفتْ والاتفاق على ما اتفقتْ .

فأوّل من رأى (ذلك) الكتاب وعايَن الخطاب نواويرُ فصلِ الربيع

التي هي خيرةُ الوردِ في الوطن وصحابتُه في الزَّمن . فلما قرأَته أكبرتْ ما فيه وبَنَتْ على هَدْم مبانيه وبعض معانيه وعرَّفت الوردَ بما عليه فيما نُسب إليه من استحقاقه ما لا يستحقُّه واستنبهاله ما لا يستأهلُه وقالت له : « من مَدح امرءًا بما ليس فيه فقد بالغَ في هجائه » وبيَّنت ذلك له بياناً رأى الرّشْدَ فيه عِياناً وأجمعت على مُجاوبة مُكاتبيها ومراجعة مُخاطبيها بما بدا لها من سوء تدبيرها وضُعف رأيِها (٣٠و) ثم رأتْ أنَّ مخاطبةَ من أخطأَ تلك الخطيَّة ، وأدنَى من نفسه تلك الدنيَّة ،تدبيرٌ دَبريٌّ والتخلّي عنه رأْيٌ غير مرْضيّ . فكتبت إلى الأُقحوان والخيريّ الأَصفرِ إذهما يجاوران تلك في أوطانِها ويصاحبانِها في أزمانها .

ونسخة الكتاب :

من نواوير فصلِ الربيع الأزهر إلى الاقحُوان والخيريّ الاصفر ، بِسْم الله الرحمن الرحيم . وصلَت إلينا بيْعة اشتَرى بها مَن سعَى فيها وفَغَر عن فيها خُسرانَ الدنيا والآخرة ذلك هو الخسرانُ المبين . ولو استحقَّ الورد إمامة أو استوجب خلافةً لبادَرَ بها آباؤنا واعقَدها أوائلُنا التي لم تَزل تجاورُه في مكانه وتجيءُ معه في أوانه .

وأما من عقد تلك البيعة وكتب تلك الصحيفة فلم ير له قطُّ صُورة ، ولا تلا من ذمّه سورة ، فإذ قد جهلَت قدره ولم تعلم أمره ، هلَّا شاورتْ

مُصاحِبيه، واستخبرت مختبريه حتى تقف على حقيقة خُبْره، وتعلم جليَّة خيْره، فبأي شيء أوجبت تقديمه، ورأتْ تأهيله لما غيْره أشكلُ له وأحقُّ به وهو نورُ البَهارِ البادي فضلُه بُدُوَّ النهارِ والذي لم يزلْ عند علماء الشُّعراء وحكماء البُلغاء مشبَّهاً بالعيونِ التي لايحول نظرُها ولا يحورُ حَوَرُها (٣٠ ظ) وأفضلُ تشبيهٍ للوَرْدِ الخدّ عنْد مَنْ تشيَّعَ فيه وعني به وأشْرَفُ الحواسّ العينُ إذ هي على كلّ مُنَوَّلٍ عونٌ وليْسَ الخدّ حاسَّةً فكيف تَبلُغه رياسة:

أَيْنَ الخُدودُ من العيونِ رِياسةً ❀ ونفاسة لَوْلا القياسُ الفاسدُ[1]

وأصحُّ تشبيهٍ للوردِ وأقربُهُ من الحقّ قول الحكيم ابن الرُّوميّ في شِعرِه الطائِيّ لقد وافقَ ووفَّق وشبَّه وحقَّق. فَقنا وفَّقكُما الله ولا أخْلاكُما من هُداه بالنَّواوير المخاطبةِ لنا المسخنةِ لاعيُنِنا واعْرِضا علَيْها مطْلَبَنا وبيِّنا لها مَذْهبَنا وأَنّبا البَهارَ مفْرداً تأنيباً يقيمُه ويُقْعِدُه ويقْصِدُهُ فيُقصِدُه على مشاركتِهِ على نفسه وسعايتِهِ في إبطال حقِّه فلولا استجابتُهُ لها وكوْنه معها ما تحصّن لتلْك مُرادٌ ولا تحسّن لها مَرادٌ وحيِّياه عنّا بالسلام الأثير بعد الملام الكثير ووالله العظيم حقّه الواسعِ رزقُهُ لو جاورناهُ في وطَنٍ أوصحِبْناه في زمن لبايعناه مُنْذُ مدَّةٍ مُبايعةَ العبيدِ وتفدّيه لفضلِه علينا بالطريف والتليدِ وراجعانا بعد هذا

(١) هذا البيت لابن الرومي (راجع ديوانه لكامل كيلاني ص ٣٨٩).

بالمذْهبِ التي تَبْني عليه وتجري إليه فإنْ وافقْت لم يشذَّ عنّا من النّواوير إلا مَنْ لم تَشْهر عينه ولا يُعدّ فينا صيته وأينه ، مع أنّ جماعتنا تعلمُ فضْلَ ما صنعْناه ، وتُوالي من ولّيْناه ، وإن خالفت لم تستضرَّ (٣١ و) مخالفتها ولم نضطرّ إلى مخالفتها فنحن جُلُّ النّواويرِ وعمْدة الازاهيرِ نعقدُ للبهارِ ونقدّمهُ على جميع الانوار .

فوصل كتابُها إليهما وورد خطابُها عليهما وعندهما البنفسجُ والخيريّ النّمّام والنّرجسُ مشاورة لهما ومستمدّة بآرائِهما في الخروج عمّا دخلتْ فيه والتخلُّصِ ممّا اكتسبت به سوءَ الاثر وقبيحَ الخبر من تقديم الوردِ على البهارِ على أنّه مَلكُ الأنوارِ . والخيريُّ الاصْفرُ والأُقْحوانُ يُكثرانِ تأنيبهُما ويُسفّهان آراءها ويجدِدانِ الشُّكرَ لله على استنقاذِها ممّا ورّطها فيه وتأخيرِها عما ألحقَها به .

فلمّا وصل كتابُ النّواويرِ الربيعيّةِ وهي متّصلةٌ من تِلْكَ الخطيّة وقع منها مواقعَ الماءِ من ذي الغُلّةِ الصّادي وقالت الآن يُصْقَلُ من اذْهاننا الصّادي وأعادَ الخيريّ الاصفرُ والأُقْحوانُ التأنيبَ لها والتّعديدَ عليْها فقالت :

لا تكثِرا لومَنا ولا تُطيلا تأنيبَها فلو لم تكن لنا سقْطةٌ ولا نُسبَت إلَيْنا غلطةٌ ، لخرجنا عن الامرِ المعلوم والحدّ المعروف . فلا بدَّ لِلكُلّ من تدبيرٍ دبريّ ورأيٍ غيرَ مرضيّ وقد قيل اللبيبُ من عُدّت سقطاته

والاريبُ من حُصّلت هفواتُه . وإذ قد استيقظْنا من نومة الجهلِ فأَغمدْ عنّا سيْف العذْل ووالله إنّنا لأحقّاء (٣١ ظ) بالتأْنيبِ أحرياءُ بالتّثريب إذ عجلنا عظيمةً لم نُنْعِمِ النَّظَر فيها وأَنفذْنا كبيرةً لم نُعانِ عَويصَ معانيها وقديماً حُمِدَ التأَنّي وذُمّتِ العجلةُ . ومن أَمثالهم : رُبَّ عجلةٍ تبعث ريثاً ورَحمَ اللهُ القائلَ : وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ لكنّنا نصْفعُ قفا الحوبةِ بيَد التَّوبةِ ونجلو دُجى الاقترافِ بصُبْح الاعتراف .

فسُرّ الخيريّ والأُقْحُوانُ بما بدا منها من الاقرار بذنوبها والاعتذارِ من خَطاياها وبنَت معاً على مُجاوبةِ الانوارِ الربيعيّة بإنفاذِ ما رَغبته واكمال ما ابتدأَتْهُ ثمّ خرَجت بأَسرها إلى البَهارِ معْتذرةً إليه مُتنَصّلةً مما جَنتْهُ عليه وسأَلتْهُ العفوَ عن ذنوبها والامساكَ عن تأْنيبها والطاعةَ لها بالتّقدُّمِ عليها والتّملُّكِ لجميعِها .

فأَجابَها إلى رغبتِها وأطْلَبَها في طَلِبتِها وأنشَدَها قولَ ابن المعْتزّ (خفيف) :

ديةُ الذّنب عندنا الاعتذارُ[1]

ثم قرأ عليه الأُقْحوانُ والخيريّ الاصفرُ كتابَ النواويرِ الربيعيّة إليهما فلما وصلا إلى الفصل الذي سأَلوهما فيه التعديدَ عليه والتأْنيبَ له قال : والله ما دخلتُ معهم في ما أحدثوهُ ولا تابَعْتهم على ما صنعوهُ إلّا

(١) هذا المصراع لا يوجد في ديوان ابن المعتز المطبوع ببيروت سنة ١٣٣١ .

حياءً من تعريفهم بما لا يجهلُه الجاهلُون ولا يَغْلَط فيه الغالطُون ولَيْس مَنْ تَرَكَ حقَّهُ ملوماً إنَّما (٣٢ و) الملومُ من تسوَّر على غير حقّه وادّعى سِوى واجبِه ولَوْلا بُدُوُّ ذلك لجميعِكمُ وظهورُه إلى رفيعِكمُ ووضيعِكمُ ورغْبَتِي في استنقاذِكم من رِقّ الضَّلالة وفكّكِم من رِبْقِ الجهالةِ ما أطَعْتُ فيما رغبْتُموهُ ولا صبَرتُ لما اردتُّموه ولا عرَّفْتُكُم من فضْلي بما سكتُّ أوَّلاً عليهِ ولا ندبْتُكم من حقّي إلى ما لم اندبْكُم قبلُ اليه .

فقالت :

مِثْلُكَ انقادَ إلى رغْبةِ مؤمِّليهِ وأيَّدَ سالِفَ أياديهِ وغفرَ ذُنوبَ عشيرتِهِ وصَفَحَ عن جيرتِهِ وجَرى على أخْلاقِ الملُوكِ في الصَّفْحِ عن المَمْلوك .

وجاوب الأُقْحُوانُ والخيريُّ الاصفر نواويرَ الربيعِ الأزْهَرِ ، بما نفذَ من حُسْنِ القَدَرِ .

ونسخة كتابهما :

بسم الله الرحمن الرحيم – وصل إلَينا كتابكُم وورد علينا خطابُكُم تُبَيِّنون فيه ضُعْفَ مَيْز مقدِّمِي الوردِ ومبايعتِهِ وسوءَ رأيِ مُوَلِّيهِ ومؤمّليه وتلك قصّة غابت عنّا وبَعُدت بفضلِ الله منّا وقد ظهر ضُعْفُها إلى من تولّى وتبيّن سُخْفُها لمن ولّى واذ وقَّفْتُموها فوافقْتُمونا فهِي

النّعمةُ الجزيلة والمنّةُ الجليلةُ ونحنُ على مُبايَعة البهار والكتاب إلى جميع الأَنوار . وسيَصِلُ إليكمُ ويَرِد عليكمُ .

فلما نفَذ هذا الكتابُ إلى النواويرِ الربيعيَّة بِتَمام القضيَّة المرضيَّة قالَت للبَهار :

من تَمامِ (٣٢ ظ) كَرَمِك وكَمال نِعَمِك إباحةَ العقْدِ لك بالاتّفاق عليك وإنْفاذُهُ إلى صنوفِ الأَنوار وضروب الأَزْهارِ .

فأباح لها ذلك وكَتبَتْ بَيْنَ يدَيه هنالك :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا كِتابُ مبكّرِي الأنوار وسابِقِي الأزهار إلى مَن غابَ عنها بِشَخصِه ولم يَحْضرها بنفْسِه .

أما بعدُ فإنّا نحمدُ إليكمُ الله الذي لا إله إلا هو مستَنقذنا من الفَعلةِ القبيحة والدنيَّة الصريحة التي نفَذَ بها كتابُنا إليكم وورد بإكمالها خطابُنا عليكم وتلك غلْطة ظَهرت لكم وسقْطةٌ لم تغب عنكم ولعمرُ الحقّ الذي اليه نرجعُ وبه في أَمْرِنا نقطَعُ لقد ظَهر إلينا فسادُ ما خُصِصْنا عليه وقبْحُ ما نُدِبنا إليه بعدَ إنفاذِه وإكماله والتدبُّر لجميع أَحواله ولم نسقُطْ إلّا بتعجيلِ التدبير ولا خيرَ في الرّأْي الفَطير واذْ قد اجتَمعَ الرّأْيُ من سَراتكم ومنّا وصدَر الاتّفاقُ عن كُبرائِكم وعنّا فهي النّعمة التي بها تَنْتظمُ أُمورُنا ويُراعى أَميرُنا وقد بايَعْنا البَهارَ الباهرَ جمالُه الظاهرَ كمالُهُ على ما رَضِيتُمْ بِهِ ورَغِبْتُم فيهِ وقدْ وَضَعْنا شهادتنا على صِدْقٍ من نِيّاتِنا .

وكان كاتبُ الصحيفةِ البَنفْسَجُ فقيلَ لهُ : ابدأْ شهادتَكَ .

شهادة البَنفْسَج : ـ النَّثْرُ : (٣٣ و) والله ما أضعف أمَلي وضاعف عِلَلي وأَوْهَنَ سُوقي منّي وقلّلني في كلّ سوق إلّا الدخول في تِلْك الوُحولِ والبُعدُ عن الخُلْقِ الكَريم والصّراطِ المستقيم في تأْخير هذا المَلِكِ العظيمِ الذي بتَقْديمِهِ الآنَ أَرْجو انّ داأِي قدْ لانَ .

والنَّظْمُ له : (كامل)

أمَّا البَنفْسَجُ فَهْوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ❁ مُتَذَمّمٌ ممَّا جَنَى مُتَنَصِّلُ

مُتَبّرِيءٌ من بَيْعَةِ الوَرْدِ الَّتي ❁ لَمْ يَبْرَ مِنها داؤُهُ المُتأَصِّلُ

مُتَبَيّنٌ فَضْلَ البَهارِ وَعالِمٌ ❁ أَنَّ البَهارَ هو المَليكُ الأَفْصَلُ

شهادَة النَّرجس : ـ النَّثْرُ : تبّا لِتِلْكَ الفَعْلةِ الدَّميمة والقضِيَّةِ الذميمة التي جَلْبَبَتْني جِلْبابَ السَّقَم ، وَسرْبَلَتْني سِرْبالَ الهَرَم ، ولولا بِداري إلى نَسْخِها وتحَيُّلي في فَسْخِها لذَهَبَ نَفَسِيَ الأَرِجُ الذي به ابْتَهِج .

والنَّظْم له : (رمل)

أَشْهَدَ النَّرجِسُ أَشْهادَ مُحِقْ ❁ أَنَّ بَدْرَ الوَردِ في المُلْكِ مُحِقْ

وَرَأَى أَنَّ البَهارَ المجْتَلَى ❁ في سَماءِ الحُسْنِ بالمُلْكِ أَحَقْ

فَمَتَى كُذّبَ قَولٌ أَبَداً ❁ قِيلَ في قَوْلَتِهِ هَذي صَدَقْ

شهادة الخيريّ (النمّام) : ـ النَّثْرُ : والله ما أَرَّقَ بَصَري وأَرَقَّ

بَشَري وأَغاضَ نهاراً ماءَ (٣٣ ظ) بِشري وأَغمدَ فيهِ سيفَ نَشْري إِلَّا معصية الحقّ في تلك القضيَّة وطاعةِ الهوى في تلك الخطيَّة فالحمدُ لله الذي أَحالَ الحالَةَ الموبِقَةَ لي لا محالَةْ .

والنَّظْمُ له أَيضاً : (رمل)

أَشهدَ الخيريُّ أَنَّ الخيْرَ في ❀ نَقْضِ ما أخطأَ فيه أوَّلا
موقِناً أنَّ البَهارَ المُرْتَضى ❀ بَهَرَ الاملاكَ حالاً وحِلا
فَهُوَ المُوقظُ أنوارَ الرُّبا ❀ مِن سِنات سَنَّها فيها البِلا

شهادة الأُقْحُوان : ـ النَّثْرُ : إن رُمْتُ أَداءً شكْرِ اللهِ على فَضْلِه المتناهي في اسْتِنْقاذِه لي مِنْ تلْكَ القبيحةِ والدنيَّةِ الصَّريحة لم أُؤَدِّ الفَرضَ ولا استطعتُ القَرضَ فالاقرار بالعجز نهاية والاعتراف بالقُصور غاية فاستثنائي هناكَ وسكوني إِذ ذاكَ أنبتا ورَقي ورِقا ، وجعلا فَلِقي فَلقا .

نَظْمُهُ : (منسرح)

أَشهدَ الأُقْحُوانُ أَنَّ جناهُ ❀ كافرٌ بالَّذي سِواهُ جناهُ
قائلٌ قولَ مَنْ تَبَرَّأَ قدْماً ❀ مِنْ هوى من قضى عليه هواهُ
إِنَّ نَورَ الرُّبى عبيدٌ وكُلٌّ ❀ لِلْبَهارِ الْبَهيّ يَقْضي وَلاهُ

شهادة الخيريّ الاصْفرِ : ـ النَّثْرُ : الحمدُ لله الذي عصمني من تلْك الدنيَّة ولم يُخَيِّبْني عن هذه النيَّة وبها بَقِيتْ غَضارتي وتأَكَّدت نَضارتي ووُهبَ لِيَ الذهبُ (٣٤ و) الابريزُ ملبساً ، والمسكُ النفيس نفَساً .

النَّظْمُ لَهُ : (رمل)

أَصْفَرُ الخِيريّ يَشْهَدْ ❀ أَنَّ عقدَ الوردِ قد رُدْ
ويَرى انَّ البَهارَ الـمُنْتَقى أَغلى وأَمْجَدْ
مَلِكٌ يقظَان يَأْتِي ❀ وَصُنوفُ النَّوْرِ هُجَّدْ

هذا يا مولاي ما استطعْتُ عليه وانتهتْ مَقْدُرَتي إليه فإن وافقكَ فَبِفَضْلِكَ المشهور أَو كانت الاخرى فبِالْباعِ المنزور ولَكَ المَنُّ على الوجْهَيْنِ والطَّوْلُ في الحالتَيْن أَبقاكَ الله لاحوالِنا تُصْلِحُها ولآمالِنا تُنْجِحُها وصنَع لكَ وبلَّغكَ أملَكَ.

* * *

ولابي جَعْفَر بن الابّار في عِدَّةٍ من الأَنوارِ أوصافٌ ساطعةُ الأَنوار في رسالةٍ كتب بها إلى صاحب الشُّرطة أَبي الوليد بن العُثماني وكان سببُها أَنّي خرجْتُ مُتَنَزّهاً في فصْل الربيع لأُشرِفَ على منْظَرِه البديع وكان أبو جعفر بن الابّار في جُمْلة مَنْ صَحِبَني وخاصّةِ مَنْ تبِعَني وتخلّف أبو الوليد لعُذْرٍ لحقَهُ أوجب تخلُّفَه.

فلمّا انصرَفْنا سال أَبا جعفر وصفَ نزاهتِنا وذِكْرِ راحتِنا وإِيرادَ ما اطَّلَعنا عليه ونظَرْنا إليه ممّا تأَسَّف على البُعد منه والانتزاحِ عنه.

فكَتب إليه بهذه الرّسالة وفيها فُنونُ الرقّة والجذالة ووصَلَها بمدح الحاجبِ ـ وصل الله حُرمتَهُ (٣٤ ظ) وادامَ عزَّته ـ وهي بعدَ صدْرِها:

كَتَبْتَ تسئَلُني ـ لا خاب سائلُكْ ولا حُرِمَ آمِلُكْ ـ كيف كان

تنزُّهُنا وتوجُّهُنا مع أبي الوليد شاكرِ خُلَّتِكَ، وحامدِ صُحْبتك. أراد – أبقاه الله ووقاهُ – التنزُّه إلى بعض ضِياعه في فصل الرَّبيع عند ما أشفقَ من انصرامهِ وضياعهِ وكُنتُ في جُملَةِ مَنْ اصطَحَبَ لا في صفْوَةِ مَنْ انْتخب. فأمكنتْ من السيرِ غرَّتُه والصبحُ قد شدَخَت غُرَّتُه، وجبينُ الجوّ طلْق، وغلائلُ السماء زُرْق، وحاجبُ الشمْس مُتطلّع، وجيدُ الأنْس متتلّع، وريقُ العيش خَضر، وبُردُ الارض خَضر، قد فُوّفَ من الزَّهر، بمثْل الأنجُم الزُّهر، والرّياضُ راضيةٌ من الحيا متبرّجةٌ بعد الحياء أهدَتْ لها المُزنُ دررَها، فأبْدَت يواقيتَها ودُررها، وخَشيَت بالكَتم عُقوقَها، فاستنفدَت زُمُرُّدَها وعقيقَها، إن حيَّتكَ بالشقائقِ فكاللّداتِ الشَّقائقِ مُغَلَّفاتِ العَصائبِ، مُنشَّراتِ الذَّوائبِ، أَو بالنرجسِ والورد فكالعُيونِ النَّواظِرِ، الى الخُدود النَّواضِرِ، بلْ ذاكَ صبْحٌ مشتملٌ على شمس أصيل، وهذا خجلٌ مستَوْل على خدّ أسيل، أو سَفرت عن البَنَفْسج الانيق، فكلابِسٍ ثوبَ المسْك الفتيقِ، وكأنّما كَستْه لَعَسها الشّفاهُ، فإذا تنسّمه أو توسّمه (٣٥ و) المحزونُ شَفاهُ، قد شَرِقَت بالطَّلِّ مُقَلُها، وضُمّنت بالمسك حُلَلُها، فما زلنا في أحسن مَراد، وأقرب غايةِ مُراد، من التماح يانع ذلك الزَّهر، حتى احتلَلْنا قرية بشاطىء النَّهر ولسان الهجير قائلَه، لا تخطئْكم بها القائلة، فأَرحنا الجياد من البُهر، ونِمنا بها إلى صلاة الظُّهْر، ثمّ قضَيْنا الفرضَ وشددْنا الغرَض، نَوُمُّ

جانب الشَّرَفِ مُتَيامنين ، ونقصدُ سَمْتَه مُتبادرين ، حتَّى أرتْنا غُرَّتُه جمالها ، وكَستْنا أشجارُه ظِلالها ، فما زِلنا نستعرض قراهُ إلى أن دعانا إلى قِراه بواسطةٍ منه ومُقلَةُ الشَّمس غَضيضه ، وحُشاشَتُها مريضه ، فأَجبناه إلى رغبتِه ، وحلَلْنا بعقْوتِه ، وبِتْنا نَتفدَّى بالنُّفوس ، ونَتعاطى نُخَب الكؤوس ، من مُدام الآداب ، لا من مدام الاعْناب ، يتضوَّع عنها خَلوق الشّيَم ، ويضحك عليها حَبابُ الكَرم ، ورُبَّما مزجناها بماء المِزاح من غير لَغوٍ ولا جُناح ، فما زِلْنا نأخذُها بالآذان ونشرَبُها بالأَذهان حتَّى تبسَّمَ اللَّيلُ عن صُبحِه وقُصَّ جناحُ جِنحه فاشْتملنا بُرد الائتلاف ، واتَّفقَت آراؤُنا على الانصِراف ، إلى حضرة المجد العُليا مَقرِّ عماد الدين والدُّنيا إسمعيل بن محمد بن عبَّاد خَيْرِ واطِئٍ للصَّعيدِ ومُرْوٍ للصِّعادِ مَن بَخَّلَ (٣٥ ظ) نداه وقيَّد البرقَ مداه ، وضَمَّخ الآفاق ثَناؤُهُ ، وبَهرَ العُيونَ سناؤُه ورجَحَ بالجمال حِلمُه ، وأحاطَ باللَّيالِ علمُه ، ـ أدامَ اللهُ له العِزَّ ووصل له التَّأييدَ والحِرزَ .

قوله : مُتتلِّعٌ متفعِّل من التلع وهو الاشرافُ يقال : تَلَعَ جيدُ الظَّبْي إذ أشرف . وقوله : عن الحيا وبعدَ الحياء الاوَّلُ منهما مقصورٌ والثاني ممدود وهو الاستِحْياءُ . وقوله : مِنَ البُهْرِ البُهْرُ الكَلَلُ .

واتَّدعْنا افتعلْنا من الدَّعَةِ وقوله : مُرْوٍ للصِّعاد الصعاد جمع صَعدة وهي القناة النابتة مُستقيمة .

قال ابو الوليد

ومِمّا يصلحُ أن يكونَ في هذا الباب ما وقَع في النَّواوير من تفضيلٍ وتغْليبٍ أو جرى بيْنها من تفاضُل وتفاخُر . فإنَّ تلك القِطَعَ تشتملُ على مدحِ نَورٍ وذَمّ آخرَ فهُما مَوْصوفان ولم تتفرَّدِ القطعةُ بنَوْرٍ وانَّما اشتملَت على نَوْرَيْن وتضمَّنَت وصف شيْئَين . وأكثرُ ما وقع هذا قديماً في الوَرد والبَهارِ وانا ذاكِرٌ ما وقع إليَّ في ذلك من المخْتار وقد وقع إليَّ في غيْرِهما قليل وكُلُّه يقَعُ هنا إن شاءَ الله .

فما وقَع إليَّ في الرَّد على ابن الرومي في تَفْضيلِه البَهار على الوَردِ قولُ أبي عثْمان سعيد بن (٣٦ و) فرج الجيَّانيّ وقول ابن الرومي في ذلك كَثيرٌ ومذهبُه مشْهور وقصيدُ أبي عثمان ردٌّ على قصيد ابن الرومي الذي أوَّله : (كامل)

خجلَت خدودُ الوَرد من تفضيله ❀ خَجَلًا تورُّدُها عليه شاهدُ(١)

وهو من أوَّله إلى آخرِه اعني قصيد أبي عثْمان : (كامل)

عنّي إلَيْكَ فما القِياسُ الفاسدُ ❀ إلّا الذي أدَّى العِيانُ الشَّاهدُ
أزعَمْتَ أنَّ الوردَ من تفْضيلهِ ❀ خجِلٌ وناحِلُهُ الفَضيلَةَ عانِدُ
إنْ كانَ يَستَحْيِي لفَضْلِ جمالِهِ ❀ فحَياؤُهُ فيهِ جمالٌ زائدُ

(١) راجع ديوان ابن الرومي ط . كامل كيلاني ص ٣٨٩ .

والنَّرْجِسُ المصْفر أَعظَم رِيْبَةً ❀ مِن أَن يَحول عليه لَوْنٌ واحِدُ
لَبِس البياضَ لِصفرةٍ في وجهه ❀ صِفَةٌ كما وُصفَ الحزينُ الفاقِدُ
والآنَ فاسْمَعْ لِلبَراهين الَّتي ❀ قطعَتْ فلَيْس يَحيدُ عنها حائِدُ
الوَرْدُ تِيجانُ الرَّبِيعِ فَأَيُّما ❀ اخْتارَ الفخارُ مُتوَّجٌ أَو ساجِدُ
ولمن يكون الفضْل في حكم العُلا الـ ـموْعودُ عنْهُ أَو النَّديمُ الوَاعِدُ
مَهْلًا فما هُوَ بالتَّقدُّم قائِدٌ ❀ كَلَّا وَلَا ذا بالتَّأَخُّر طارِدُ
وانظُر إِذا اعتدل الزمان وغنَّت الـ ـأَطْيارُ فهْو لشَجْوِهنَّ مُساعِدُ
مُوفٍ على الغصنِ النَّضير كأَنَّهُ ❀ في مِنْبَرٍ بَيْنَ الحَدائِقِ قاعِدُ
والنَّرجِسُ المُنْحَطُّ إِمَّا راكِعٌ ❀ ذُلًّا إِلى عَفرِ الثَّرى أَو ساجِدُ
وجَعلْتَ للأَسْماء حظًّا زائداً ❀ مَهلًا فما هذا سبيلٌ قاصِدُ
اسمُ الَّذي فضلْتَ إِنْ فتَّشْتَهُ ❀ وخَرمْتَ أَوّلَهُ فرِجْسٌ راكِدُ
(٣٦ظ)والورد كيف خرمته وخبنته ❀ وُدٌّ تَوَدُّ بِهِ وَرَدٌّ عائِدُ
وَدع البَقاءَ فما تَرى مِنْ جُملةٍ ❀ إِلَّا وأَفْضلُها يكونُ البائِدُ
يَفْنى خيارُ الخَلْق في الدُّنْيا ❀ وما شيءٌ سوى إِبْليسُ فيها خالِدُ
والضِّدُّ كلُّ الضِّدِّ قوْلُكَ إِنَّهُ ❀ يَنْهى النَّديمَ بلَحْظه ويُساعِدُ
فَأَعَرْتَهُ عيْنَ الرَّقيبِ فللعَمى ❀ والسَّمْلِ طَرفٌ للاحبة راصِدُ
وإِذا فخَرت على الخُدود بمُقْلَةٍ ❀ يَرقانُها بادٍ فأَصْلُكَ فاسِدُ
ولَو انَّ فعلًا للكواكب في الثَّرى ❀ رَبَّى الرِّياضَ كما يُرَبِّي الوالِدُ

وَتَنازَعَ النُّوّارُ شِبْهَ صِفاتِها ❀ ما كانَ غَيْرَ الوَرْدِ فيها الماجِدُ
الوَرْدَ وَقّادُ التَّوَقُّدِ ناضِرٌ ❀ والنَّجْمُ نارِيٌّ مُضيءٌ واقِدُ

قَوْله : ولمن يكُونُ الفَضْلُ في حُكْمِ العُلا البَيْتَ رَدٌّ على قول ابن الرومي : (كامل)

(شتّانَ بيْنَ اثنَيْن) هذا مُوعِدٌ ❀ بتسلُّبِ الدُّنْيا وهذا واعِدُ(١)

فجعل الوردَ لتأخره مُوعداً بانقضاء الربيع والبَهارَ لتبكيره واعداً به وردُّ الجيّانيّ عليه مقْنِعٌ لانَّ المَوْعودَ به أَجلّ من النَّذيرِ الواعِدِ عنه .

وقوله : يَفْنى خِيارُ النّاس البيْتَ رَدٌّ على قوله :

وإذا اختَفَظْتَ به فأَمتعُ صاحِبٍ ❀ ببَقائه لَوْ أَنَّ حَيًّا خالِدُ(٢)

لانَّ البَهار يبْقى بنضرته أياماً والوردُ أَسرعُ ذُبولاً . وقول الجيّانيّ :

وجعَلت للاسماء حظًّا زائداً ردٌّ على ابن الروميّ في قوله :

أُطلب بعيْشك في الملاح (٣٧و) سميّةً ❀ أبداً فإنَّكَ لا مَحالَةَ واجِدُ(٣)

جعل من محاسنه التَّسمّي به عندهم فنرجسٌ في أسمائهم كثيرٌ وذلك لا حجّةَ له ولا عليه . وقوله : ولو انَّ فعلاً للكواكب في الثّرى الابْيات رَدٌّ على بَيْتي ابنِ الرُّوميّ وهُما :

هَذي النُّجومُ هيَ الّتي رَبَّتْهُما ❀ بِحَيا السَّحابِ كما يُربّي الوالِدُ

---

(١) راجع ديوان أبي الرومي ص ٣٨٩ .
(٢) راجع ديوان ابن الرومي ص ٣٨٩ .
(٣) راجع ديوان ابن الرومي ص ٣٨٩ .

فانْظُر إلى الاخَوَيْنِ من أدْناهما ❀ شِبْهاً بوالِدِه فَذاكَ الماجدُ[١]

شبَّه البَهارَ بالنجوم .

ولصاحب الشرطة أبي بَكْرِ بْنِ القوطيَّة في المعنى والقافية قصيدٌ مُسْتَوْل على غاية الكَمالِ مسْتَوْفٍ نهايَةَ الجمال مَوْصول بمَدْحِ ذي الوزارتَيْن القاضي الاجلّ الرفيع المحلّ . وهو من أوله إلى آخره : (كامل)

كسفَت خدود النرجس المصفرّ من ❀ حسَدٍ وقد يدوى العدُوّ الحاسدُ

واصْفرَّ حتّى كاد أن تقضي أسىً ❀ لمَّا رأى الوَردَ الَّذي هو واردُ

هيْهاتَ للوَرْدِ الفَضائلُ كُلُّها ❀ وإنِ ادَّعى التَّكذيب فيه معاندُ

فَصْلُ القَضيَّة أنَّ هذا مُمْتِعٌ ❀ فَصْلَ الرَّبيع وكُلُّ نوْرٍ بائدُ

يأْتي ونوَّارُ الرُّبى مُتزحْزِحٌ ❀ وكذا الرئيسُ من المَشابِهِ واحدُ

هذا مُقِرٌّ للسَّماء بِفَضْلِها ❀ في ما غَذَتْهُ بِهِ وهذا جاحِدُ

وتَرى تبايُنَ ذاكَ في وجْهَيْهِما ❀ باللَّوْنِ والنَّشرِ الَّذي هو شاهدُ

كم بيْنَ مُصْطَنَعَيْن هذا كافرٌ ❀ إفْضالَ سَيِّدِهِ وهذا حامدُ

(٣٧ ظ) هذا له خَلَقُ العجوز وهذه ❀ عَذْراءُ في حُمْرِ المجاسِدِ ناهِدُ

وكفى افْتخاراً أنَّ هذا نافقٌ ❀ غضًّا ومُبْتَذلاً وهذا كاسدُ

لَوْ لم يَكُنْ لِلوَرْدِ إلَّا أنَّهُ ❀ يَفْنَى ويَبْقَى ماؤُهُ المتعاهِدُ

وله مَنافِعُ لا تجَمَّل كَثْرَةً ❀ ومَرافِقٌ مشْكُورَةٌ وفوائِدُ

(١) راجع ديوان ابن الرومي ص ٣٨٩ .

والنَّرجسُ المُصفرُّ لَيْس بِنافعٍ ❀ ميْتاً ولا في الرَّوض إذ هو وافدُ
هذا عقِيمٌ لَّا يُشادُ بذِكرِه ❀ أبداً وعَقْبُ الوَرْدِ باقٍ خالدُ
أخَوانِ مَغزُوّانِ لمْ يتَنازَعا ❀ شِبْهاً وبيْنَهما إخاءٌ تالِدُ
هذا يُبَشِّرُ بالحَياةِ وذاكَ يُنْـ ❀ ـذرٌ بالْممَاتِ إذا أتاهُ العائدُ
أينَ الحياةُ من الْمَماتِ نَفاسَةً ❀ وَرِياسَةً لَوْلا القِياسُ الفاسِدُ

ومن هُنا دخل إلى مَدْح ذي الوزارتيْن القاضي الجليل فقال : (كامل)

يا أيُّها القاضي المُصفَّى جَوْهَراً ❀ والسَّيِّد النَّدب الشَّريف الماجدُ
أحكمُ فإنَّ العدْلَ شِيمتُكَ الَّتي ❀ أوْصى بِها جَدٌّ إلَيْكَ وَوالدُ
فَغدَوْتَ طفلًا في المهادِ وأنت لِلْـ ❀ ـحُكمْ الذي أعْيَ البرِيَّةَ ماهدُ

قولهُ أيْن الحياة من الممات البيْتُ هُـو لابنِ الرُّوميّ وأتقَنَ الرَّد عليه فيه وبيْت ابن الروميّ : (كامل)

أيْن العُيُونُ من الخدود نَفاسةً ❀ ورِيَاسة لَوْلا القياسُ الفاسدُ

وأنشد لنفسه الشيخُ أبو عبد الله بن مسعود قطعةً بديعةً تضَمَّنتْ أوصافاً مطبوعةً يصف البَهار (٣٨ و) ويُفضّلُ الورد عليه . وهي : (رجز)

ولابِسٍ ثوْبَ الضَّنَى ❀ من حَسَدٍ قد اكْتأَبْ
كأنَّما أحْداقُـهُ ❀ أقْداحُ تِبرٍ مُنْتَخبْ
مِـنَ الحيـا مُتْرَعَة ❀ أجَلُّ مشْروبٍ شُرِبْ

يَسعَى بها مُحتسِباً ❀ بلا أذًى ولا نَصَبْ
ساقٍ على ساقٍ لَهُ ❀ تُزْهى بمُخْضرٍّ قصَبْ
زَبرْجَدٌ مُبتَهِجٌ ❀ يَكادُ لِيناً يَنْقَضِبْ
إِذا الصَّبا عَنَّتْ له ❀ وماسَ عن ثِقْلِ الحَبَبْ
صَبَا لِبعضٍ بعْضُهُ ❀ فَيلْتَقي ويَصْطَحِبْ
يقولُ لِلوَرْدِ أنا ❀ بِرٌّ حبِيبٍ يَقْتَرِبْ
قال له الوَرْدُ لَقدْ ❀ أَخطَأْتَ يا من لم يُصِبْ
أَنتَ إذا ما صَحَّفُوا ❀ وأنصفُوا بيتٌ خَرِبْ
أَنَا الَّذي لم أَخْتَلِقْ ❀ ما قُلتُهُ ولَم أُحِبْ
أَشبَهُ شيءٍ بالخُدو م دِ الزُّهْرِ ريعَتْ من كَثَبْ
وأَنتَ عيْنٌ دهْرَها ❀ في مِثلِ دهْرٍ قد كَلِبْ
فانْشَعَبَتْ أَسْرابُهُ ❀ خوْفاً بِدمعٍ منْسَرِبْ
واصفَرَّ من هَمٍّ كما ❀ يفعلُ مخْضُومٌ غُلِبْ
الفَضلُ للوردِ وإنْ ❀ أَبَى عَليٌّ وحَرِبْ
(٣٨ظ) طِيبٌ وطِبٌّ وشذاً ❀ ومنظرٌ ينفي الكَرَبْ
سلطانُ الأنوارِ على ❀ رغمِ الغَبِيِّ المضطَرِبْ
كما ابنُ عَبَّادٍ حِمَى الـ ـــإسلامِ سُلطانُ العَرَبْ

قوله: بِرّ حبيبٍ هو تصحيفُ نَرجِسٍ. وبيتٌ خرِبْ تصحيفُهُ

مقلوباً أيضاً. وإن أبى عليٌّ هو ابن الروميّ لما فضّل البهارَ على الورد. وحرِبَ مثل غضِب ومنه قيل: ليثٌ مُحرَّبٌ أي مغضَّبٌ. وقوله: طِيبٌ وطِبٌّ وشذاً الشَّذا العَرْفُ والريحُ الطَّيِّبةُ.

وقال بعض الأندلسيّين يردُّ على ابن الروميّ بَيْتَيهِ الطائيَّيْن وأَحدُهما: (بسيط)

وقائلٍ لِمْ هجَوْتَ الوردَ معتمداً ✿ فقلت من قبْحِ ما فيه ومن مَعَطِهْ(١)

ويقبحُ ذكرُ البيت الثاني وهو مشهورٌ. والردُّ عليه للأندلسيّ:

لعائبِ الورد قُل ما أَنت من نَمَطِهْ ✿ قد قلت هجراً فتُب في القول من غلطهْ

الورد خدُّ حبيبٍ حين تَلْثِمُهُ ✿ فيغتَدي أَثَرُ الاسنانِ في وسَطِهْ

ولأبي جعفر بن الأبَّار في إقرار البهار بفضل الورد قطعةٌ حسنةُ السَّرْد موْصولةٌ بمدح ذِي الوِزارتيْن القاضِي سيف الحقِّ الماضي وهي: (رمل)

طَلعَ النَّرْجِس في أَكفانِهِ ✿ قائلاً للورد قد بُرِّحْت بي

لَم تَزَلْ تُورِثُ جِسْمِي سَقَماً ✿ مُبكياً عيْنِي بدمعِ الحَبَبِ

(١) رواية كتاب سكردان السلطان لابن أبي حجلة (على هامش اسرار البلاغة للعاملي في آخر كتاب المخلاة للعاملي) ص ١٩ : (بسيط)

يا مادح الورد لا ينفك عن غلطه ✫ ألست تبصره في كف ملتقطه

كأنه سرم بغل حين سكرجه ✫ عند البراز وباقي الروث في وسطه

ورواية كتاب رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة لابي القاسم الغرناطي ج ١ ص ١٥٥ : (بسيط)

وقائل لم هجوت الورد منفردا ✫ فقلت من قبح ما فيه ومن معطه

كأنه سرم بغل حين أبرزه ✫ عند الخراءة باقي الروث في وسطه

(٣٩ و) كيف خلّطت وغلّبت على ❀ سيّدِ الأنوارِ يا لَلْعَجَبِ
إِنَّما اسْمي تحتَ شكْوايَ فلا ❀ تُوقِعوني تحت رَيْبِ الرِّيَبِ
أَنا لَوْلا طمعي أَنْ نلتَقِي ❀ مـا أَقَلَّتْنِيَ حيناً قُضُبي
فضلُهُ فضلُ ابن عبَّادٍ أَبي الْـــقاسِمِ القاضي قَرِيعِ العَرَبِ
ملكٌ لوْ لَم يُمجَّدْ بالثَّنا ❀ قال للعالَمِ حَسْبِي حَسَبي

قوله : إِنما اسمي تحت شكْواي يعني بَرَّحْتَ بي لأَنَّ بَرَّحْتَ بي تصحيفُ نَرجسٍ .

وله أَيضاً في تصحيفهِ مُفَضِّلاً للورد بيْتان استَوْلى فيهما على غاية الاحسان وهُما : (مُجْتَثّ)

الوَرْدُ أَحسنُ وِرْدٍ ❀ يَرَوْى به لحظُ عيْنِ
ونرجسُ الرَّوضِ مهْما ❀ صحَّفْتُهُ بَرحُ بيْنِ

هذا ما انتهى إِليه ذِكري في التَّفاضُل بيْن البَهار والوردِ .

وكتب الوزير الكاتبُ أَبو مرْوَان عبد الملكِ بن إِدريس الجزيريّ إِلى المنصور بن أَبي عامر ـ رحمه الله ـ عن بَنَفْسَجِ العامريَّة يومَ الاضحى سنة ثلاث وثمانين وثلاثِ مائةٍ رسالةً موصولةً بشعر جمالها باهِر ، وكمالها ظاهر ، احتجَّ له فيها احتجاجاً طَريفاً ، وعَضَده به عَضْداً ظَريفاً ، وآثَرَهُ على النَّرجس والبَهار بإشاراتٍ جليلة المقْدار .

والرسالة :

مَنح الله مولاي صدْقَ النَّظَر ، وعرَّفه جليَّة الخبر ، وأَطال مدَّته (٣٩ ظ) ووصل سلامته وعزَّته إذا ترافعَت الخُصوم – أيّد الله المنصورَ مولاي في مذاهبِها وتنافرَتْ في مفاخرها فإِليك مفْزَعُها وأَنت المُقْنع في فصل القضيَّة بيْنها لاستيلائك على المفاخر بأَسْرِها وعِلْمك بسرِّها وجهْرِها وقد ذَهَب البهارُ والنَّرجسُ في وصْف محاسِنهما والفَخْرُ بمشابِهِهما كُلّ مذهب وما منهُما إلا ذو فَضيلَةٍ غير أَنَّ فَضلي عليهما أَوضَحُ من الشَّمس الَّتي تعْلونا وأَعرَف من الغَمام الذي يسْقِينا. فإن كانا قد تَشبَّها في شعريْهما المرتفعيْن إلى مولاي – أَبقاه الله وأَيده – ببعض ما في الأرض من جواهر الأرض ومصابيحِ السَّماء وهي من المَوات الصَّامت فإِنّي أَتشبَّه بأَحسن ما زيَّن الله به الانسانَ وهو الحيوانُ النَّاطقُ من أَدَوات خلْقه وأَنْفسِ ما رُكِّب فيه من موادِّ حياته مع إِنّي أَعطرُ منهما عِطْراً ، وأَحمدُ خُبْراً ، وأَكرمُ إِمْتاعاً شاهداً وغائباً ويانعاً وذابلاً وكلاهُما لا يُمتعُكَ إلَّا ريْثَ ما يبدو للعيون ويَسْلم من الذُّبول ثم تَسْتكْرِه الأُنوفُ شمّه ، وتستدفع الأكُفُّ ضَمّه ، فأَيْن هذه الحالُ من الاسْتمْتاع بي رطْباً وادّخاري في خزائن المُلوك جافًّا وتفضيلي على أَلسِنةِ الحكماء وتصريفي في منافع الاعْضاء وإنْ فَخَرا باستِقْلالِهما على ساقٍ هي (٤٠ و) أَقوى من ساقِي فلا غَرْو أَنَّ الوَشْيَ

ضعيفٌ ، والهوى لطيفٌ ، والمِسْكُ خفيفٌ . « وليس المجدُ يُدْرَكُ بالصراعِ » كما قال حكيمُ الشُّعراء وقد أَوْدَعْتُ - أَيَّدَ اللهُ المنصورَ - قوافي الشِّعر من وصف مُشابِهي ما أودعاه من وصف مشابِهِما وحضرتُ بنفسي لِئَلَّا أغيبَ من حضرتهما . فقديماً فضَّلوا الحاضر وإن كان مفضولاً ولهذا قالوا : « أَلَذُّ الطَّعام ما حضر لوقته » و « أَشْعَرُ النَّاسِ من أَنْتَ في شعره » ولمولاي - أيَّدهُ الله - ان يعدل باختياره الصَّحيح ويَفصل بحكمه العدل إن شاء الله .

والشعر : (كامل)

شَهِدَتْ لنوّارِ البنفسج أَلْسُنٌ ✿ مِنْ لَونه الأَحْوى ومِنْ أَنبائهِ

بمَشابِهِ الشَّعَرِ الأَثيثِ أعارهُ ✿ قَمَرُ الجبين الصَّلْتِ نور شُعاعهِ

ولَرُبَّما جَفَّ النَّجيعُ منَ الطُّلَى ✿ بِصَوارِمِ المَنْصورِ يومَ قِراعهِ

فحَكاه غيرَ مُخالفٍ في لَونهِ ✿ لا في رَوائحهِ وطيبِ طِباعهِ

مَلِكٌ جهلْنا قَبْلَهُ سُبُلَ العُلا ✿ حتَّى وَضَحْنَ بِنَهْجهِ وشِراعهِ

أمَّا نداهُ فَهْوَ صِنْفٌ لِلْحَيا ✿ في صَوْبهِ لمْ أعْنِ في إقْلاعهِ

في سَيْفهِ قِصَرٌ لِطُولِ نِجادِهِ ✿ وكَمالِ ساعِدِهِ وفُسْحَةِ باعِهِ (١)

قال ابو الوليد

ووقع بيْن الوزير أبي الاَصْبغ بن عبد العزيز وصاحب الشُّرطَة أبي

(١) توجد هذه الابيات في نفح الطيب للمقري ط ليدن ج ١ ص ٣٤٩ - ٣٥٠ وج ٢ ص ٤٦٥ .

بكر بن القوطيّة قطعتان يفضّل أبو الاصبغ الخيريّ وأبو بكر البنفسج وقطعة (٤٠ ظ) أبي الأصبغ موصولةٌ بمدح ذي الوزارتين القاضي ـ حرس اللهُ حوباءه وأطال بقاءه ـ وهي : (كامل)

ما لِلبنفسج يدّعي التّفضيلا ❀ مُتحاملاً ويَعُدّ ذاكَ جميلا
هيهاتَ قدْ برحَ الخفاءُ فعُدْ إلى ❀ حُكمْ التّناصف واترُكِ التّخييلا
الفضلُ لِلخيريّ إلّا أنّهُمْ ❀ جهلوا ولمّا يُحسنوا التّأْويلا
قهرَ البنفسجَ منظراً ويفوقُهُ ❀ في الشّمّ بالمسْك الذّكيّ دليلا
ورأى التّستُّرَ بالنّسيم لِصُبْحِهِ ❀ ظَرفاً فعطّلَ صُبْحَهُ تعطيلا
وإذا أتى اللّيلُ البهيم بِنشْرِهِ ❀ أبدى بهِ لِلزّائرينَ قبولا
كمهذّبِ الأخلاق يهجر بالضُّحى ❀ خِلّاً ويُدْني بالمَساءِ خليلا
أو شاربٍ تركَ الصّبوحَ تحفُّظاً ❀ فإذا أتى ليلٌ أساغَ شمولا
هو فاتكُ الافعال يدّرع السُّرى ❀ وتراهُ يَطْلُبُ بالنّهارِ خمولا
والخيْر في الخيريّ حتّى في اسْمِهِ ❀ هو فاضلٌ فاسْتأْهل التّفضيلا
يا أيُّها القاضي الّذي مِنْ عدلِهِ ❀ أضحى الزّمانُ بِغُرّةٍ محجُولا
أنتَ الشّهيدُ لهُ وعِلْمُكَ حاكمٌ ❀ عدْلٌ وحسْبُكَ شاهداً مقبولا
فاحكُمْ على مَنْ قد تعاطى ظُلمُهُ ❀ واعقدْ بما تقضي لهُ تسْجيلا
الرّأيُ منكَ مهذّبٌ مستحكِمٌ ❀ والعِلْمُ فيكَ ويُحكِم التّأْويلا
مَنْ كان إسماعِيلُ والدهُ الرّضى ❀ فكفاهُ فخراً أنْ يكونَ سليلا

أَنْتُمْ حُلِيٌّ لِلزَّمانِ مُحَسِّنٌ ❀ قَدْ كانَ عُطِّلَ قَبْلَكُمْ تَعْطِيلَا

(٤١ و) وقصيد أبي بكر (ابن القوطيّة) في الرَّدّ عليه ممتزجٌ بمدح الحاجب ـ أطال الله عُمْرَه وأَبْقى علينا سِتْره ـ وهو : (كامل)

نَبُلَ البنفسج فاحْتوى التَّفْضيلَا ❀ وكَذا البنفسجُ لَن يَزالَ نَبِيلَا

لمَّا شأى نَوْرَ الرَّبيعِ بِطِيبِهِ ❀ وحوى من الشَّرف الصريح أثيلَا

فَضَلَ النُّوارَ فَحازَ دونَ جميعه ❀ قَصبَ السِّباقِ ولم يكُن مفضولَا

مُتَشَبِّهاً في سَبْقِه بالحاجِبِ الْـ ❀ ـأَعْلى عِمادِ الدِّين إسْماعيلَا

مَلِكٌ عَلا غُرَّ المُلُوكِ المُعْتَلِيـ ❀ ـنَ أَباً وَجِدًّا في العُلا وَقَبِيلَا

كَمْ طَاوَلُوهُ في الفخارِ فَفاقَهُمْ ❀ عَرْضاً إلى المجدِ التَّلِيدِ وطُولَا

مُتَشَبِّهينَ بِما يُمَثِّلُهُ لَهُمْ ❀ لَوْ أَحْسَنوا التَّشْبِيهَ والتَّمْثِيلَا

كَتَشَبُّهِ الخِيرِيّ بالمَزْرِي بِهِ ❀ لِيَحوزَ مِنْ تِلْكَ الخِصالِ فَتِيلَا

وإذا اعتزى فإلى البنفسج يَعتزي ❀ وإِلَيْهِ يُنْسَبُ كَيْ يعزّ قليلَا

ما لِلكُرُنْبِيّ الخليقة يَبْتَغي ❀ فَضْلَ الرَّئيسِ المُعْتَلي تخييلَا

أَوما دَرى أنَّ البنفسج لم يَزَلْ ❀ فَوْقَ الاكُفّ جلالةً محمولَا

مِنْ أَيْنَ لِلخيري اللَّئيم طَلاقَةُ الـ ❀ ـسَّمح الكريم ولَن يزالَ بَخيلَا

مُتَسَتِّرٌ طولَ النَّهارِ بِعَرْفِهِ ❀ كَيْ لا يُرى لِنَسيمِهِ مَسْؤولَا

حتَّى إذا طَرَقَ الظَّلام سَخا بِهِ ❀ إذْ لا يَرى إلَّا القليل سؤولا

زَهِمُ المَشَمّ إذا تقادَمَ قَطْفُهُ ❀ شيئاً قليلًا أَوْ أَحَسّ ذُبولَا

وإذا قَرأتَ منافعَ النّوّار للـــحُكماءِ أَصبَحَ بينَهــا مجْهُولا

(٤١ ظ) والنَّفعُ غضًّا إنْ تشأْ أَويابساً ❀ هُوَ للبَنَفْسجِ كلّهُ محْصُولا

لا يَستَحيلُ نسيمُهُ في الحالتَيْـــنِ ولا إذا استَنْشقْتَهُ مَعْمُولا

وذخيرَةُ الخُلَفاءِ والأملاكِ لا ❀ يَخْلُونَ منْهُ مُجنّساً مَفْصُولا

فَلْيَحْظَ بالقِدحِ المُعلّى فاخِراً ❀ ولْيَرجِعِ الخِيريُّ عَنْهُ ذَليلا

وللوزير أَبي عامرِ بن مسلمة قِطْعة بديعة مطبوعةٌ أشار فيها الى تفضيل البهار على النرجس وهي : (مجْتثّ)

ونَرجِسٌ هَبَّ يرْنو ❀ بمُقْلَةٍ لَيْسَ تَطْرِفْ

مِثْلَ النُّجوم تَساقَطْـــنَ في رِداءٍ مُفَوَّفْ

يَحْكِي البَهارَ ولكنْ ❀ بَهارُنا منْهُ أصْلَفْ

لَهُ فَضيلَةُ سَبْقٍ ❀ لِغَيْرِهِ لَيْس تُعْرَفْ

فَعُجْ علَيْهِ فَدَتْكَ الـــنُّفوسُ واشربْ لتَظْرُفْ

وللفقيه أَبي الحسن بنِ عليّ قطعةٌ سرِيّةٌ يُفضِّل فيها الخيريَّ الاصفر على النَّمام وهي : (طويل)

أرى أصفرَ الخيريِّ يُبدي من الضّنى ❀ تَباريحَ مكْلُومِ الفُؤادِ سَقيمِه

ويُكذِبُهُ سِحرٌ بأَعينِ نَوْرِهِ ❀ وقُضْبٌ لَهُ تَنْدى بماءِ نَعيمِه

وعرفٌ ذكيٌّ يقصُرُ المسكُ دونَهُ ❀ ولا يبلُغُ الكافورُ طيبَ شَميمِه

يُساجِلُ آفاقَ السَّماءِ بِرَوْضَةٍ ❀ وأَنْجُمها حُسناً بصُفْرِ نُجُومِه

وذي هفوة قد ظنّ أنّ شقيقهُ ✽ وحارسهُ قد بذّه بنسيمه

(٩٤٢) فقلت اتئدْ في الظن واسمع لمنصف ✽ بصير بتحبير النظام عليمه

أفي القدْر مخدوم لديك وخادمٌ ✽ وذو كرمٍ في المجد مثل لئيمه

وسيّان طيباً ليلُهُ ونهارُهُ ✽ وليس خصوص الخير مثل عمومه

وما تفلٌ في يومه مثل عاطرٍ ✽ ولا لحقٌ في الفخر مثل صميمه

فقال بحقّ قلتَ وهي مقالتي ✽ وللحقّ نورٌ لائحٌ في أديمه

وللوزير أبي عامر بن مسلمة أبياتٌ محكمة في تفضيله أنشدنيها موصولةً بمدح ذي الوزارتين القاضي - أدام الله علوّه وكبت عدوّه - وهي : (رمل)

أصفرُ الخيريّ عندي ✽ أرفعُ الخيريّ قدْرا

فهوَ لا يمنع عرْفاً ✽ وهو لا يحميك عطْرا

مثل لون الذهب الخا م لصِ لكن فاقَ نشْرا

وغدا يحكي اليواقيـــت إذا ما كُنّ صفْرا

مثلُه استوجبَ منّي ✽ أبداً شُكراً وسُكْرا

مثل ما استوجب قاضي الْــعدلِ من ذا الخلق شكْرا

ملكٌ غُرٌّ أياديــهِ على الأسماعِ تترا

ملكٌ مّا زالَ يولِيـــنِي تقريباً وبرّا

قارَض اللهُ أياديـــهِ مطيلًا منه عُمْرا

ولأبي جعفر بن الأَبَّار أَبياتٌ جليلة المِقْدارِ أَشار (٤٢ ظ) فيها إلى تفْضيلِه وهي : (كامل)

أَصْباهُ حُبُّ سَمِيِّهِ ❀ فَغَدا الضَّنى من زَيِّهِ
وهَوى الهوى بفُؤادِه ❀ فاصفَرَّ غضُّ جَنِيِّهِ
مُثْنٍ على المَلَوَيْنِ لا ❀ كَشَقيقِهِ وسَمِيِّهِ
حَسْبُ الزَّمانِ تفاؤُلاً ❀ بالخَيْرِ مِنْ خيرِيِّهِ
فاحْثُثْ كُؤوسَ مُدامةٍ ❀ تلْقَ الغليلَ بِرِيِّهِ
صفْراءَ قلَّدَها المِزا ❀ جُ لِشَرْبِها بِحُلِيِّهِ

قوله : على المَلَوَيْن يعني اللَّيلَ والنهارَ . لا كشقيقه وسَمِيِّه يعني الخيريَّ النَّمامَ . وفي هذا البيْت فضْل الأَصفرَ .

ولصاحب الشُّرطَة أَبي بكْر بن القُوطيَّة في تفْضيلِه أبياتٌ بديهيَّةٌ سريَّةٌ وهي : (بسيط)

وأَصفرٍ نَرجِسيِّ اللَّوْن نمَّامِ ❀ مُبَرَّإٍ من صنوف النَّقص والذَّامِ
زَها اعتِلاءً على النَّمام يَجْمَعُه ❀ به اسْمُهُ فِعْلَ ذي لُبٍّ وإلهامِ
فقال لي الفَضلُ إنّي في النهار وفي ❀ ليْلي أَنِمُّ وفي صُبْحي وإظْلامي
وأَنت يامُدَّعي اسمي طول يومك لا ❀ تُدنى اطِّراحاً إلى خيْشوم شمّامِ
وإنَّ لونَك من لون النَّحاسِ ولو ❀ ني في مَلاحته ضرْبٌ من السَّامي

قال أبو الوليد

لما كثر الكلام في تفضيل الخيريّ الأصفر صنعت قطعة رُبما كان فيها بعض الرّدّ على مَن (٤٣ و) فضّله وبخس النّمامَ أكثر حقّه ولم يَرْعَ حُسْنَ خَلْقه وخُلْقه . وهي : (كامل)

يامن يذمّ خلائقَ النّمامِ ❀ ويحُطّه عن خُطّة الاكرامِ
قدْكَ اتّئدْ عن لومه جهلًا به ❀ فجماله زارٍ على اللُّوّامِ
هو أشهر الخيريّ حُسناً فاحْبُهُ ❀ من بيْنه بتحيّةٍ وسلامِ
مُتنزّهٌ عن أنْ يُرى مسْتهتِراً ❀ إلّا إذا اكْتحلَ الورى بمنامِ
مستطْرَفٌ في خَلْقه مستظْرَفٌ ❀ في خُلْقه مُستحسَن الالمامِ
لم يرْضَ إلّا المِسْكَ مَسْكاً جسْمُه ❀ وبه يبُوحُ إليكَ في الاظْلامِ
والمنْتَمِي أَبَداً إليه قُصارُه ❀ في الفَضْل أنْ يعْزى إلى النّمامِ
اِصفرّ من حَسَد له وكآبةٍ ❀ لمّا شآهُ بحُسنه البَسّامِ
أَيُقاسُ منفردٌ بظَرْف مُعجِزٍ ❀ بمشاركٍ أَخلاقَ نَوْرِ العامِ
لو كانتِ الشّمس المنيرةُ سرمداً ❀ لم تُلْقَ بالاجلالِ والاعظامِ

قوْلِي : إلّا المِسكَ مَسكاً المَسكُ الجِلْدُ والغَرضُ تشبِيه لوْنِه بلوْنِ المِسكِ .

— الفصل الثالث —

في القِطَع المنفرِدَة كل قطْعةٍ منها بنور على حدةٍ .

قال ابو الوليد

يجب أن نبْدأَ بأَوَّل الأنوارِ وأَبْكَر الأزهار وهو من النَّواوير الربيعيَّة نَوْرُ البهار ولكن ما كان من النواويرِ باقياً في كلّ وقْت وثاوياً مع كلّ فصْل هو أَوَّل على الحقيقة (٤٣ ظ) وصدْرٌ في هذه الطريقة كالآسِ والياسمين فأَمَّا الآسُ فقَد فُضِّلَ قديماً على ضُروبِ الأنوارِ وصُنوفِ الازهار وصِيغَت في ذلك حِسانُ الاشعار إِذ شَجَرُه يقوم مَقام النوّار ثم يزيده نُوَّارُهُ جمالا ثانياً ويُضيف اليه كمالا زائداً وأَمَّا الياسمينُ فإِنَّ نَوْرَهُ لا ينْقَطع أَبداً كُلُّهُ ولا يذْهَب جميعُه . فنبدأُ بهما ثم نذكر النواوير على أَزْمِنَتها .

— الآس —

قال أبو الوليد : من حَسَنِ ما قيل فيه ما أَنْشَدَنيهِ لنفسه الشيْخ أبو عبد الله بن مسعود وهو : (رجز)

الآسُ آس لِأَسَى ✿ كلّ فؤاد مكْتَئِبْ
في كلّ فَصْلٍ زاهِرٌ ✿ وما سِواهُ مُنْقَلِبْ

إذا سرى منهُ الشَّذا ❀ في آخر اللَّيلِ وَهَبْ
أَهْدى لأَرْواحٍ بِهِ ❀ أرواحَ رَوحٍ وطَربْ
كأَنه في جَنَّةِ الـــخُلْدِ نَما ثمَّ اقتُضِبْ
لَوْ نافَرَ النَّوْرَ إلى ❀ عدلٍ صحيحِ المعتقَبْ
وَصُحِّفَتْ نصْبَتُهُ ❀ جاءَ نَبِيًّا فَغَلَبْ

قَوْلُهُ : أَرواحَ رَوْحٍ الأَرواحُ هُنا جمْعُ ريحٍ والرَّوحُ الراحة والأَرواح الأوّل جمْع رُوح . وقوله : جاءَ نبيًّا يعْني انَّ نبيًّا هذا اللَّفظَ تَصْحيف آسٍ مقلوباً .

وممَّا فيه من حُسنِ التَّشْبيهِ (٤٤ و) قوْلُ أَبي عمر الرَّماديّ في قِطْعهٍ تضمَّنَتْ وصْفَ غيْره وهو : (طويل)

خُلوفٌ من الرَّيحان راقت كأَنها ❀ وإنْ حَسُنت في لحظنا لِمَمٌ شُعْثُ

وممَّا يقْرُبُ مِنْ هذا وإن كانت فيه زيادة بيْتُ أَبي الحسن بْن أبي غالب : (طويل)

فما شِئْتَ مِنْ آسٍ تفتَّح نَوْرُه ❀ كما أَخلستْ هامٌ لَها شعَرٌ جَثْلُ

يُقالُ أَخْلَسَ الرَّأْسُ إذا بدا شيْبُهُ .

ومن الفائتِ الفائِقِ والرائعِ الرائِقِ في وصْفه قِطْعةٌ خاطبني بها الوزيرُ أَبو عامرِ بْن مَسْلَمَةَ وبعث معها مُطيَّباً وهي : (كامل)

يا واحِدَ الأُدَباء والشُّعَراء ❀ وابنَ الكِرامِ السَّادَةِ النُّجباء

إنّي بَعثتُ مُطَيَّباً نمّقتُهُ ❀ مِنْ روضِ داري دارِكَ الغنَّاء
مِن آسه لا زلتَ تأسو عاطِراً ❀ وتُبيدُ ما يَعْدو مِنَ الأعْداء
يحكي بطَيّبِ عَرفه وبحُسْنه ❀ خُلُقاً خليقاً منْكَ بالاطْراء
هو كالسَّماء إذا بدتْ مخْضرَّةً ❀ لاحتْ عليها أنجُمُ الجَوْزاء
فاقْبلْهُ مِن صبٍّ بحُبِّكَ وُدُّهُ ❀ ألّا تزالَ أخا علًا وعَلاء

قال ابو الوليد

فجاوبتُهُ عَنْ هذه الألْفاظ البديعة والمعاني الرفيعة بما يُمْكنُ أنْ يدخُل في هذا الباب ويوافِق بعْض غَرَضِ هذا الكتاب وهو : (كامل)

يا مَن حبوْتَ بوُدّه حوْباء ❀ وهي الفِداء له من الأسْواء
(٤٤ ظ) وصلَ المطيَّبُ مغرِباً عن طِيب مَن ❀ أهْداه مُكتئباً مِنَ الاهْداء
أظمَيْته من بعد ما أرْويتَهُ ❀ بمُدامَةٍ فيها دَواءُ الدَّاء
ما كان أشهرَ طيبَهُ لوْ لم يكُنْ ❀ متَستّراً بالقطْعة الغرَّاء
أرْبى عليه نظمُكَ الحُلْوُ الحُلَى ❀ فانحطَّ بعد الرُّتبة العَلْياء
إن كان نَوْرُ الآسِ في وَرَقاته ❀ نُوراً بدا في لَيلةٍ ظلْماء
فجمال خَلْقِكَ حين ينظِم عقدَه ❀ كالبدْر ينظِمُ أنجُمَ الجَوْزاء

ومن المستحسَن المستغْرَب والمستطاب والمستعذب ما أنشدنيه لنفسه فيه صاحب الشُّرطة أبو بكر بن القوطيّة وهو : (سريع)

أَما تَرى الرَّيحانَ أوراقُهُ ❀ تلتفُّ تجعيداً ولا تَنْبَسِطْ
دقيقَةُ اللِّمّاتِ في رُؤْسِها ❀ كأنَّهُ أَسْوَدُ جَعْدٌ قَطَطْ
وقد غدا تنويرُهُ جَوْهَراً ❀ في الموامي والرُّبى يُلتقَطْ
حتّى إذا ما مَلَّ مِن مكْثِه ❀ في عودِه المُشرق فيه سقَطْ
مكْتشِفاً(١) عن ثمرٍ أَسوَدٍ ❀ كأنَّه من نَفْضِ حِبرٍ نُقَطْ

قَوْلُه: المَوامي جَمْعُ مَوْماةٍ وهي القَفْرُ ويُقال بَوْباةٌ فيها أَيضاً. والرُّبى جمع رُبْوة وهو ما ارتفع من الأرض.

ومن المُشْرِقِ جمالُهُ الموبِقِ كمالُهُ المعدومِ مثالُهُ ما أَنْشدنيه لِنَفْسِه أبو جعفر بن الابّار وهو: (وافر)

وآسٍ كانسِمِه لِلْهَمِّ آسٍ ❀ تَتيهُ به حُلى الزَّمَنِ القَشيبِ
(٤٥و) وأَرسلَ كالغذاءِ مُرْسَلاتٍ ❀ بها قَطَطٌ ونَمَّ بِكُلِّ طيبِ
وكُتِّمَ نَوْرُهُ فَبَدَتْ لآلٍ ❀ مُدَحْرجةً لها عَرْفُ الحبيبِ
كأَنَّ الصُّبْحَ شَقَّ به جيوباً ❀ فغادَرَ فيه أَزرارَ الجُيوبِ
ونافَسَهُ الوَرى شَغَفاً وحُبّاً ❀ فعَوَّدَ سُودَ حبّاتِ القُلوبِ

هذا الوصْفُ مستَوعِبٌ لجميعِ أَحوالِ الآسِ لانَّ نَوْرَهُ أَوّلاً مُبْيَضٌّ ثمَّ يَسْوَدُّ.

وله أَيضاً فيه وصْفٌ يُوازي هذا ويضاهيه. وهو: (بسيط)

---

(١) في الاصل: متكشفا.

لأيئس الآس هامي السكب مدرار ❁ فَهْوَ الوفيُّ وكلُّ النَّنورِ غدَّارُ
تكاد تُثمر نفسُ الصَّبِّ من جزلٍ ❁ إذا بَدا ثَمَرٌ مِنْهُ ونُوَّارُ
كأنَّما ألْبَسَتْهُ المزنُ خُضرَ حُلىً ❁ لها من المسكِ والكافورِ أزرارُ

هذا ما وقع إليَّ في الآسِ وحين اكملْتُه أبدأُ بما ورد عليَّ في الياسمين.

— الياسمين —

قال أبو الوليد : أَبدَعُ ما قيل فيه وأَبرَعُ ما شُبِّه به وأرفعُ ما أَمَلَّ عليَّ لنفسه فيه ذو الوزارتَيْن القاضي حَرَسَ اللهُ حَوْباءه وصانَ ذكاءَه وهو : (سريع)

وياسمينٍ حَسَنِ المَنْظَرِ ❁ يفوقُ في المرْآى وفي المخْبرِ
كأَنَّهُ مِن فَوْقِ أَغْصانِهِ ❁ دراهمٌ في مِطْرَفٍ أَخضرِ

قال أبو الوليد : هذا التَّشبيه معدوم الشَّبيه.

(٤٥ ظ) وممَّا يوازيه دِقَّةً ويضاهيه رِقَّة قوْلُهُ أمَلَّهُ عليَّ أبقاهُ الله وهو : (سريع)

وياسمين حَسَنِ المجْتَلَى ❁ كأَنَّهُ في قُضْبِهِ الضَّافِيَهْ
زَمُرُّذٌ رُصِّعَ ما بَيْنَهُ ❁ مداهنٌ مِن فِضَّةٍ صافِيَهْ

وأَمَلَّ أَعزَّهُ اللهُ وأحسن ذكراه عليَّ فيه لَهُ قِطْعَةً قوِيَّةَ الوصف سَرِيَّةَ الرَّصْفِ وهي : (سريع)

سُبْحانَ مَن أنشأَ ذا الياسمينْ ✿ خَلْقاً بَديعاً لِلنُّهى والعُيُونْ
كأنَّما الأَغْصانُ مِن تحتِه ✿ والورقُ المَخْضُوضرُ المستبينْ
زُمُرّدٌ نُضّدَ فَوْقَ الرُّبَى ✿ وهْو على أعْلاهُ دُرٌّ مَصُونْ
آياتُ صِدْقٍ شاهِداتٌ بأَنْ ✿ لَيْسَ لِمَن أبْدَعَها مِن قَرينْ

وهذه التشبيهات كلُّها والصفاتُ بأسْرِها إنَّما هي فيه وهو في شَجَرِه ولَوْ لم يكُن كذلك لم تشبَّهْ خُضرتُه وأكثر ما وُصِف في هذه الحال. ولم يَقَعْ إليَّ في نُوّاره مُفْرَداً إلّا قولُ أبي عُمَرَ الرَّمادِيّ وهو من الصفات المطبوعة والتشبيهات البديعة : (بسيط مخلّع)

أُنْظُرْ إلى رَوْضِ ياسَمِينِ ✿ لم يَرِدِ الوَرْدُ وهْوَ وارِدْ
كَأَنَّهُ عِدَّةً وَلَوْناً ✿ أكُفُّ حُورٍ بلا سَواعِدْ

وقال أبو عُمَرَ أحمد بن فرج يصف بقاءَه ويُقرّضُ وفاءَه : (خفيف)

(٤٦ و) ليس كالياسمين نَوْرُ الرياض ✿ هُوَ باقٍ والنَّوْرُ أجمعُ ماضي
فاقْضِ بالفَضْلِ لِلْوفاء على الغدْ ✿ رِ تكُن ان حكَمْتَ أعْدَلَ قاضي

ومن السِّحْر الحلال، المستوفي نهاية الكمال، قولُ ذي الوزارتَيْن أبي عَمْرو عَبّاد ـ أعزه الله ـ وقد دَخَلَ بُسْتاناً لي اكتسبتُه من نوافِلِ كَرَمِه وسَوابغِ نعَمِه. فرأى ياسميناً فيه فقال بديهة : (منسرح)

كأنّما ياسمينُنا الغَضُّ ✿ كَواكِبٌ في السَّماءِ تبْيَضُّ
والطُّرُقُ الحُمْرُ في جَوانِبِه ✿ كَخَدِّ عَذْراءَ نالَهُ عَضُّ

شبَّه النَّورَ بالكواكِب وخُضرةَ وَرَقِه بِخُضرةِ السَّماء ولم أسْمَع لأَحَد قبلَه وصْفَ حُمْرتِهِ وهي تكثُرُ عند قلَّة الياسمين في زمن الشتاء وتَقِلُّ عِنْد كثرته.

وللوزير أبي عامرٍ بن مَسْلَمَةَ فيه وصْفٌ رائقٌ وتَشبيهٌ رائعٌ وَصَلَه بِمَدْحِ ذي الوزارتَيْنِ المذكور - أعزَّهُ الله وأسبغ عليه نعماه - وهو : (رمل)

وذكيُّ العَرْفِ لاقَا ۞ م نا على كُرْسِيّ ملْكه
أَرْضُه الخضراءُ بحْرٌ ۞ نَورُه فيه كَفُلْكه
ياسمينٌ قَدْ غدَتْ أنْـ ۞ ـوارُنا طَوعاً لِملْكه
طَوْعَ حُرِّ الشِّعْر عبًّا ۞ م داً وقد أومى لِسلْكه
ماجِدٌ يَنْقادُ مِنْه الْـ ۞ أَدَبُ الغضّ لِمَلْكه
(٤٦ ظ) مالُه يوقِنُ منْهُ ۞ ومُناوِيه بِهُلْكه

ومن المعاني الدقيقة في الألفاظ الأنيقة ما أنشدنيه لنفسه فيه الوزير الكاتب أبو الاصْبَغ بن عبد العزيز وهو : (منسرح)

وياسمينٍ بِعَرْشِه أَشْرَفْ ۞ عرَّفَهُ العَرْفُ قبل أن يُعرفْ
تكامَلَ الطّيبُ والجمالُ لَهُ ۞ فهو منَ الفضل فوق أن يُوصفْ
كأنَّما خلْقُهُ البَديعُ إذا ۞ تَزاحمَ النَّورُ قبلَ أَن يُقْطَفْ
سَريرُ مَلْكٍ عَلَيْه مُشْمَلَةٌ ۞ خَضراءُ والقُطْنُ فوقَها يُنْدفْ

ومن التَّشْبِيه السَّرِيّ والتَّمْثِيلِ السَّنِيّ قول الفقيه أبي الحَسَن بْن عَلِيّ وشبَّه مَجْلِسَ الأُنْسِ بالحَرْب وهو : (وافر)

وشَرْبٍ أَدْلَجوا للأُنْسِ لمَّا ❁ أُصِيغَ على يَدِ الشَّجَرِ الذّمارُ
سَرَتْ بِهِم إلى ثغرِ التَّصابي ❁ رِكابٌ لَّا يَخافُ لَهَا عِثارُ
فَحَلُّوا آمِنِينَ على الأَماني ❁ فكانَ لهمْ مِنَ الشَّجَرِ انْتِصارُ
عَريشُ الياسِمِينَ لهمْ سَماءٌ ❁ وخُضْرَةُ أَرْضِهِ لهمُ قَرارُ
بِهِ حَجَفٌ مِنَ النُّوَّارِ بِيضٌ ❁ مُفَضَّضَةٌ وأَرْماحٌ صِغارُ
فَوَجْهُ نَهارِهِمْ بالظِّلِّ لَيْلٌ ❁ ولَيْلُهُمُ بأَنْجُمِهِ نَهارُ
فإنْ أُوحِشْتَ مِن شَمْسٍ تَبَدَّتْ ❁ عَلَيْكَ بِشَمْسٍ كُبْرِها العُقارُ
وما شَهِدَ الكِرامُ وَغَى حَرْبٍ ❁ جِراحُ المُقْصِدِين بِها جُبارُ

قولُه : جُبار أيْ لا دِيَةَ فيها ولا مطالَبَةَ بها . وقوله : به حَجَفٌ (٤٧ و) الحَجَفُ صِغار التِّرْسَة . وأَرماحٌ صِغار يعني النواويل المتعلّقة منه أَوّلَ ما تبدو .

ومن الصفات السَّرِيَّةِ وصفُ صاحب الشُّرطة أبي بكر بن القوطية وهو : (وافر)

وأَبْيَضَ ناصِعٍ صافي الأَديمِ ❁ تَطَلَّعَ فَوْقَ مُخْضَرٍّ بَهِيمِ
نَزِيهُ النَّفْسِ هِمَّتُهُ المَعالي ❁ ذَكِيُّ العَرْفِ مِسْكِيُّ الأَديمِ
فَلَسْتَ تَراهُ إلَّا عِنْدَ مَلْكٍ ❁ وإلَّا عِنْدَ خاصِّيٍّ كَرِيمِ

شأَى النَّوَّارَ فارْتفعَ اعتِراشاً ❀ عَلَيه كَهَيْئَةِ المَلِكِ العَظيمِ
كَأَنَّ ثِمارَهُ المَجْنِيَّ مِنْها ❀ سَماءٌ قَدْ تَحَلَّتْ بالنُّجومِ

وأنشدني لنفسه فيه أبو عليّ إدريس بن اليَمانيّ قطعةً حسنةَ التشبيه وهي : (وافر)

أَميرُ النَّوْرِ يأْمُرُنِي بِشُرْبٍ ❀ ولستُ أُطيقُ عِصْيانَ الامير
فَخُذ كأسَ السُّرورِ فَسَقِّنيها ❀ على وُدِّ الأَميرِ على السَّريرِ
نُجُومٌ مِنْ لُجَيْنٍ تَجْتَليها ❀ سَماءُ زَبَرْجَدٍ خَضِلٍ نَضِيرِ
تَزيدُ على الأَقاحي في ابْتِسامٍ ❀ كما زادَ الكَبيرُ على الصَّغيرِ
يَنْخفِضُ الشَّذَا المسكيّ عنها ❀ كما انخفضَ الصغيرُ عن الكبيرِ

قال أبو الوليد : هذا ما وقع إلي في الياسمين البُستانيّ وعثَرتُ على قِطَعٍ في الياسمين البرِّيّ وهو الظَّيَّان وليس يَبْقى مُدّة العام إنّما هو ربيعِيٌّ ولكن قدمتُهُ على الربيعيّةِ لِتَسمّيهِ باسْمِ المتقدّم وانتِسابِهِ به (٤٧ ظ) فوصلْتُ ذِكْرَهُ بذكرِه . وما قيل فيه ممّا قيل فيه مع أنَّ وصْفَهُ لم يكْثُر وذِكْرَه لم يتكرّرْ فليس يَحْتَمِلُ افراداً وإنّما يجبُ أَنْ يكونَ لهذا تبعاً وخَلْقُ شجره ونَوْرِهِ كخلق البستاني إلا أنَّ نورَه أصفر .

فمِن أَطْبَعِ ما قيل فيه وأبدعِهِ وأَعْلَى ما شُبِّهَ بِهِ وأرفَعِهِ أبياتٌ لذي الوزارتَيْنِ القاضي الجليل المنقطعِ المثيل أمْلَّها عليَّ وهي : (طويل)

ترى ناضِرَ الظَّيَّانِ فوقَ غُصونهِ ❀ إذا هو مِن ماءِ السَّحائبِ يغْتذي

وحَفَّتْ بهِ أوراقُهُ في رِياضهِ ❀ وقدقُدَّ بعضٌ مثلَ بعضٍ وقدحذي

كصُفرٍ من الياقوت يلمعْنَ بالضُّحى ❀ مُنضَّدةٍ من فوق قُضْبِ الزبرجدِ

وله ـ أَعلى اللهُ ذكرَه وأيَّد أمرَه ـ في صُفْرَتِه خاصَّةً تشبيهٌ بديعٌ وتمثيلٌ رفيعٌ أَملَّهُ عليَّ وهو : (منسرح)

كأنَّ لَوْنَ الظَّيَّانِ حين بَدا ❀ نُوَّارُه أصْفراً على وَرَقِهْ

لَوْنُ محبٍّ جَفاه ذو مَلَلٍ ❀ فاصفرَّ من سُقْمِه ومن أَرَقِهْ

وأَنشدَني فيه لنفسه الوزير الكاتب أبو الأَصْبَغ بن عبد العزيز أَبياتاً مُعْجِبَةً تضمَّنَتْ أَوصافاً مغربة وهي : (سريع)

فضائلُ الظَّيَّانِ مَعْروفَةٌ ❀ تَرُوقُ في المنظَرِ والخُبْرِ

فاقَ النَّواويرَ معاً أَنَّهُ ❀ مُنَزَّهٌ يأْوي إلى البَرِّ

وإِنَّهُ يأْنفُ ان يُقْتَنى ❀ على سبيلِ المِلْكِ والقَسْرِ

(٤٨ و)فآثرَ الصَّحْراءَ مُستأْنساً ❀ في لَيْلِه بالأَنْجُمِ الزُّهْرِ

مَتى تَزُرْهُ تَلْقَ مِن عَرْفِهِ ❀ ماشئْتَ من طِيبٍ ومن عطْرِ

أَبْرادُهُ خُضرٌ ولكنَّها ❀ مخْصوصَةٌ باللَّبَنِ الصُّفْرِ

وللفقيه أَبي الحَسن بن عليٍّ فيه وصْفٌ رائعٌ وتشْبِيهٌ بارِعٌ في قطعةٍ موْصولة بمَدحِ ذِي الوزارتيْن القاضي وهي : (طويل)

إِذا نَوَّرَ الظَّيَّانُ في خُضرٍ قُضْبِهِ

وراحَ بشْوبٍ من دُجَى الرِّيّ قد حُذِي

لهُ طالِعاتٍ في سَماء زُمُرُّذٍ ❀ أفادَكَ من صُفْرِ اليَواقيتِ أَنْجُماً
بِحُسْنِ ابْنِ عبَّادٍ ورَيَّاه مُحْتذِي ❀ كأَنَّ سَناهُ في الرِّياضِ وحُسْنه

قال أبو الوليد

وحينَ أَوردتُّ ما وقع إِليَّ في الآس والياسمين من بديع الشِّعْرِ الموزون نذكُر الأنوار على أزمِنتها ونبدأ بالأَوَّل منها وهو نورُ البهار .

— البهــار —

وقال أبو الوَليد : ويُسمَّى البَهارُ النَّرْجِسَ وأكثر أشْعار المَشْرِقيِّين اسْمه فيها النَّرجسُ وأَمَّا الأَندلُسيِّين فاستعملوا الاسْمَيْن وذكَروا اللُّغتَيْن .

فِمن أَبدَعِ تشبِيهٍ وقع إِليَّ فيه قول احمد بْن هِشام بْن عبد العزيز ابن سعيد الخَير بن الامام الحَكَم وقد بَعثَ به إِلى الامامِ عبد الرَّحمن النَّاصر لدين الله وهو : (خَفِيف)

يا مَليكاً من المُلوكِ مُصَفًّى ❀ والَّذي جَلَّ أَنْ يُحدَّدَ وصْفا
(٤٨ ظ) عبدكَ الشاكرُ المؤملُ أهوى ❀ نَرجِساً كالعَبِيرِ نشْراً وعَرْفا
في دُجى اللَّيْلِ عاطِرٌ زارَ إِلْفا ❀ كُلَّما فاحَ نَشْرُه قُلتَ إِلْفٌ
ظُ خَليعٍ قد مالَ سُكْراً فأَغْفى ❀ وإذا ما لَحَظْتَهُ قُلْتَ أَلحا م
نِ ومنه مثْلُ الجُمانِ المُصَفَّى ❀ منه مثْلُ الابْريزِ في صُفْرة اللَّو م

فكأَنّي بِما أُقَلّبُ منه ❀ صَيْرَفيٌّ أَضحى يُحاوِلُ صَرْفا

وقَوْل إسْمَعيل بن بَدْر وهو حَلالٌ من السِّحْرِ : (بسيط)

أُهْدي إليكَ من النّوّار أَحسَنَهُ ❀ قد ضَلّ في وصْفه من قبْليَ النّاسُ

كأَنها نُقَرٌ من فضّةٍ وُضِعَتْ ❀ فيها من الذّهب الابْريز أَكْواسُ

على الزُّمُرُّذِ قامَتْ عنْدَ منْبَتِها ❀ في كُلّ نُوّارةٍ مفْتُوحة كاسُ

وقال الحَاجب أبو الحسن جعْفر بن عُثْمان المُصْحَفيّ يصفُهُ بأَلْفاظ رطْبَة ومعانٍ عذْبَة وأشار في أَوّلِ بيْتٍ إلى مَمْدُوحٍ لم يُسَمّه . وهي : (طويل)

بِنفْسي وأَهْلي طالعٌ خلْتُ أَنّهُ ❀ بأَخلاقِ معْشُوقِ العُلَى يتَخَلّقُ

حكى الفضّةَ البيضاءَ والتّبْرَ منظَراً ❀ ولَكنّه بالنّفْسِ أَلْطى وأَعْلَقُ

فَصيحٌ إذا استَنْطقْتَه عن زمانه ❀ وماخلْتُ أَنّ النّورمن قبلُ ينْطقُ

يَبثُّكَ أَنفاسَ الحَبيبِ وإنّها ❀ لَأذْكَى من المِسك الذكيّ وأَعْبَقُ

أَتانا علَى عهْد الشّتاءِ مُبَشّراً ❀ بعهد يَرُوقُ النّاظِرين ويُونِقُ

وقال أبو عُمَرَ احمد بن فَرَج وقيلَ أَخُوه عبد الله يصفه : (سريع)

(٤٩ و) ونرجِس تطْرِفُ أَجْفانُه ❀ كَمُقْلَةٍ قد دَبّ فيها الوَسَنْ

كأَنّهُ مِن صُفْرَةٍ عاشِقٌ ❀ يَلْبَسُ لِلبَيْن ثِيابَ الحَزَنْ

قال أبو الوليد : جَرَى في "ثِياب الحُزن" على مذهب الأنْدلُسِ إذ ثياب حُزنِهم بِيضٌ . وهو تشبِيهٌ بديعٌ وتمثيلٌ رفيعٌ ومعنًى مطبوع .

ومن التشبيهات العُقْم التي تدلُّ على يقظة الفهم قول ابن القُرَشيّة عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله — رضيَ الله عنهم — وهو : (طويل)(١)

كأنَّ الثَّرى سِترٌ تمُدُّ خلالَهُ ❁ بأكواسِ راحٍ راحَهُنَّ الكواعبُ
يُستِّرنَ من فرط الحياء مَعاصِماً ❁ بأكْمامهنَّ الخُضرِ عمَّن يراقِبُ

جعل قُضْبَه الخُضرَ معاصِمَ مستورةً بأكمام خُضر وجعل أكفَّها مُبْيَضّةً وكُؤوسَها مُصْفَرَّةً .

وأنْشدني الفقيه أبو الحسن بن عليّ الاشجعي النحويّ يصف بَهاراً أخرجَه إليه أحدُ بني بَخْتٍ وسأله وصْفه . فقال على البديهة : (بسيط)

ما للبَهارِ نظيرٌ في النَّواويرِ ❁ إذْ صار أوَّلَ مخصوصٍ بتبكيرِ
أما ترى الصَّبَّ والمعشوقَ قد جُمِعا ❁ في لونه بيْن تَبْييضٍ وتصفيرِ
كأنَّما رقَّ للعُشّاقِ منظرُهُ ❁ فعجَّل النَّوْرَ من بيْنِ النَّواويرِ
أحْبِبْ به فلقدْ أنْبا بطَلْعتِهِ ❁ عن السُّرورِ وإتْمامِ التَّباشيرِ

وكتب الوزير الكاتب أبو مَرْوان بن الجزيريّ إلى المنصور (٤٩ ظ) أبي عامر بن أبي عامر وهو بأَزْمِلّاطٍ عن بَهار العامريّة في كانون الأوَّل الكائن في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة :

بسم الله الرحمن الرحيم — أطالَ اللهُ بقاءَ المَنصور موْلايَ وأدامَ

(١) يوجد هذان البيتان في الحلة السيراء ط. دوزي ص ١٠٨ .

عزّهُ وهنّأَهُ سروره وسوّغَهُ نعَمه عنده - اني - أيّد الله المنصور مولايَ - لما استقلّتْ بِزهرتها مائلة قُضبي وتنبّهتْ من سِنتها نائمة جُفوني ، ونمّتْ بعطرها ساطعةُ روائحي وافترشتُ ديباج حديقة بكر وسْمِيّها وتتابع ولِيّها . فالتقى ثرياها وأخذت الأرضُ زُخْرُفها وازّيّنتْ وطاب صعيدُها حتى كان ترابها فتيتُ المسكِ أو سَحيقُ الكافور عنّ لي زهْوٌ بحُسْني وارتياحٌ لحالِي وإعجابٌ بمكاني وشاركتْ ذلك دواعي هزّةِ الشّوقِ إليك وشواجي لوعة البعْد عنكَ حين فارقتَ محلّي وآثرْت بالزيارة غيْري فحرّكن منّي ساكناً وبعثن لي على مُناجاة الشّعْر خاطراً . فأجابني منه ما ضمّنتُهُ غرائب وصفي وأهديْته إلى مولاي مع محاسنِ شخْصي الذي هو غرْسُ همّته وابْن نعمته لعلّ فعْلي أن يوافق منه قبولاً ويَقْسم لي منْ حسن تذكّرهِ نصيباً بواسع تفضّلِه وسابغ تطوّله وكريم تجاوره . والشعر : (كامل)

(٥٠ و) حدقُ الحسان تقرّلي وتغارُ ❀ وتضلّ في صفةَ النّهى وتحارُ
طَلعت على قضبي عيونٌ كمائمي ❀ مثل العيون تحفّها الأشْفارُ
وأَخصّ شيءٍ بي إذا شبّهتني ❀ دُررٌ تنطق سلْكَها دينارُ
أَهدت له قُضبُ الزُّمرُّذ ساقه ❀ وحباه أَنفس عِطرِه العطّارُ
أَنا نرجسٌ حقّاً بهرْت عقُولهم ❀ ببديع تركيبي فقيل بهارُ
إنّي لمن زمنِ الربيع تربّني ❀ قِطعُ الرّياضِ وتُلْقحِ الأمْطارُ

فأكون عطراً للأُنوفِ ومنظراً ❀ بهجاً تهافتُ نحوه الأَبصارُ

وتحيَّةً بين النِّدامِ تُحثُّ لي ❀ نُخَبُ الكؤوس وتنطِقُ الاوتارُ

وأقلُّ جودِ العامريِّ محمَّدٍ ❀ أَلفٌ حكت حدقي وتلك نُضارُ

عشرٌ تُعدُّ من المئين لأنمُلٍ ❀ عشرٍ يُصرِّفُها وهُنَّ بِحارُ

قولُهُ: ألفٌ حكتْ إنما أنَّثَ الألْفَ لصرفِها إلى الدراهم. وأمَّا الألف فمُذكَّرٌ. ولا نحتاجُ إلى ذِكرِ أَكثَرَ مِنْ هذا من المَدحِ كما لا يحتاج إلى إطراء النَّظْم والنَّثْرِ بأكْثَرَ مِنْ أنهما حلالٌ في السِّحرِ.

ومن الحَسَنِ السَّريّ قول أَبي عُمَرَ القَسْطَلِّيّ يصفه في قطعة موصولة بمدحِ المظفر بن أبي عامر. وهي: (متقارب)

دُعيتَ فأَصْغِ لراعي الطَّربْ ❀ وطاب لك الدَّهر فاشرَبْ وطِبْ

وهذا بشيرِ الربيع الجَديدِ ❀ يُبشّرُنا أَنَّهُ قد قَرُبْ

بَهارٌ يَروقُ بمسكٍ ذكيٍّ ❀ وصُنْعٍ بديعٍ وخلْقٍ عَجبْ

(٥٠ ظ) غُصونُ الزُّمُرُّذ قد أورقتْ ❀ لنا فضَّةً نوَّرتْ بالذَّهبْ

إذا جُمِعتْ في حِبالِ الحديد ❀ وقامتْ أَمامَكَ مثلَ اللُّعَبْ

فمِن حقِّها أن ترى الشَّاربين ❀ وقد نَفَقتْ سُوقُهم بالنُّخَبْ

وأن يَسئلوا اللهَ طُولَ البَقاء ❀ لِعبْدِ المليكِ مليكِ العَرَبْ

فلَوْلا مجالِسُهُ لم ترُقْ ❀ ولَوْلا شمائِلُه لم تَطِبْ

وأَنْشدنِي الفقيه أَبو الحسن بن ُعَليّ للفقيه أَبي عُثمان بن البرّ قريبه : (طويل)

أَلَا سقِّني رَوْحَ النُّفوس وأُنْسَها ❀ ولَيِّنْ بماء المُزْن في المزج مَسَّها
وشعشعْ لنا شمس الشَّمول ببَدرِها ❀ وأَجْرِ علَينا بالمسرَّة كأْسَها
فأَنتَ ترى أَقْمارَ نرجس روضنا ❀ خِلافَ السَّماويّاتِ جاوزْنَ شمسَها
محاسنُ لو وافت أَخا العِيّ باقلًا ❀ إِذًا بَزَّ سَحْبانَ البرايا وقُسَّها

وأَنْشَدني لنفسه فيه الوزير أَبو عامر بن مسلمة قِطْعةً غريبةَ التَّشْبيهات عجيبة الصفات وهي : (بسيط مخلّع)

قد جاءنا رائدُ الرَّبيعِ ❀ بِمنظرٍ رائقٍ بديعِ
هو البهارُ الَّذي تعلَّى ❀ وجلَّ في حُسنه الرَّفيعِ
كأَنَّهُ مُقْلَةٌ تشكَّى ❀ إِلى الحيا قِلَّةَ الهُجوعِ
أَكُفُّ كافورةٍ قد أَوْمتْ ❀ بِكأْسِ تِبْرٍ إِلى الرَّبيعِ
أَوْ شُعلة النَّارِ وسْطَ ❀ ماءٍ جُسِّدَ من ثوبه النَّصوعِ

(٥١ و) وله فيه قطعةٌ تُوازي هذه جمالاً وتُضاهيها كمالاً كتب بها إِلى أَبي - وقاهُ اللهُ بي - وبعثَ معها بَهاراً مُبكّراً : (متقارب)

أَيَا ماجِداً لم يَزلْ جُودُهُ ❀ يلُوحُ كما لاحَ ضوءُ النَّهارِ
ويا مَن أَحلَّ بأَمْوالِهِ ❀ سَماحاً أَخلَّ بصوبِ القطارِ
بعثتُ إِليك بِنور البَهارِ ❀ حكَى فِضَّةً حوْل محضِ النُّضارِ

هُو الدّرّ نُظّمَ مِن بَيْنِه ✿ يَواقيتُ فاقعـةُ الْاصْفِرارِ
أَوِ المـاءُ صُيّرَ مِن فوْقِـه ✿ إِذَا مـا تأَمَّلْتـهُ ضَوْءُ نَار
نَهـارٌ ولكـنَّـهُ باهِرٌ ✿ فعُوِّضَ من ذاكَ باسْمِ البَهار
كما بَهرتْ منْكَ سيما العُلى ✿ فالْبستَ البدْرَ ثَوْبَ السّرار
بَقِيت ووُقيتَ صرْفَ الرّدى ✿ فإِنَّكَ في كلّ أَمرٍ مُدارِي

ومما يُسْتحسَنُ فيه وتُسْتغْرَبُ معانيه قولُ صاحبُ الشُّرطَةِ أبي بكْرِ بْنِ القوطيَّة وهو : (بسيط)

زُمرُّذٌ أورقتْ أغْصانُهُ دُرَرا ✿ فَراحَ كالرَّاحة البيضاء منْفطِرا
يُقِلُّ ياقـوتَـةً صَفْراءَ فاقعَةً ✿ كأَنَّها التّبرُ من فوق اللُّجين جرى
هُو النَّهارُ ولكن رَدَّ نُقْطَتَهُ ✿ مكيدَةً تحْتَه النُّوّارُ إِذْ وَعِرا
ثُمّتْ دَعاهُ بَهاراً كي يُهَجِّنَهُ ✿ وقد حوى قَصبات السَّبقِ إِذ بَهَرا
كَمُقْلَةٍ دَبَّ في أَجْفانِها وسَنٌ ✿ فَدَنَّقَت غير أن لم يدرِ طعْمَ كرى

وأَهدى صاحِبُ الشُّرطة أبو بكر (بن القوطيَّة) المذكور مُطيَّب بَهارٍ (٥١ ظ) إلى الوزير أَبي عامر بن مسلمة وكتب معه أَبياتاً رائقة السِّمات فائقة الصفات . وهي : (خفيف)

قُلْ لِرَيحانَةِ العُلا والمكارِمْ ✿ والكريمِ النجّار وابنِ الاكارمْ
قَدْ بَعثْنا إِليْـكَ يا خَيْرَ ناشٍ ✿ بالدَّنانيرِ فَوْقَ مَحْضِ الدَّراهمْ
لم يَسُسْ طَبْعَ هذهِ جعْفَرٌ قَـطُّ ولا ضَرْبَ تلك راحةُ قاسِمْ

بِبَهـارٍ حكى جَمالَكَ حُسْنـاً ❀ وحكى عَرْفَكَ الذَّكيَّ لِناسِمْ
يَتشَـكّى الظما وفي يَدِكَ الرِّ م يُّ فَإِنْ لم تُرَوِّهِ كُنْتَ ظالِمْ
دُمْتَ لِلمِهْرَجانِ والعيدِ والنَّيْــــروزِ إِلْفاً مِنَ الحوادِثِ سالِمْ

فجاوبه الوزيرُ أبو عامِر بْن مسلمة بديهة بأبياتٍ تشاكلها براعة وتُشابِهها بزاعة . وهي : (بسيط)

في النّرجس الغضّ شبهٌ لا خفاءَ به ❀ لِلنَّيرَيْن يُرى في طالع الزّهَرِ
فصُفرةُ الشَّمس قد ردَّته صُفرتَها ❀ وقدُّ مُبْيَضِّه من صفحةِ القمرِ
كأَنَّ ياقوتَةً صفراءَ قد طُبِعتْ ❀ في غُصنه حوْلَهُ ستٌّ من الدّرَرِ
حُسْنٌ يَدُلُّ على إِتقانِ صانعِهِ ❀ سُبحانه مبدعِ الاخلاق والصُّوَرِ

وله أيضاً فيه قِطْعَةٌ موصولةٌ بمدْحِ ذي الوزارتَيْن القاضي أطال الله عُمْرَه ، كما أطابَ ذِكْرَهُ - وهي : (طويل)

أرى في البَهارِ النَّرجسيّ تلألُؤا ❀ عيونُ الورى مشْغوفَةٌ بالتماحِهِ
كأَنَّ الرّياض الخضرَ صُغنَ لباسَهُ ❀ بِشَكْلَيْنِ من ماءِ الغمامِ وراحِهِ
(٥٢و)أو الدهر رداه سرورا بشخصه ❀ رِداءَيْنِ من إِسْفارِهِ وصَباحِهِ
فَحُلَّتُهُ في لَوْنِها ذَهبيَّةٌ ❀ وفضّيَّةٌ أثناءَ عَقْدِ وِشاحِهِ
جمالٌ بِهِ حلَّ الرّبيعُ عِرارَهُ ❀ ومنْه كَسى لا شكَّ نورَ أقاحِهِ
كما قد تَحَلّى الدّهرُ من بعد عُطلةٍ ❀ بجُودِ ابنِ عبّادٍ وفَضْلِ سَماحِهِ
بِهِ نِيلَتِ الآمالُ في كلّ بِغْيَةٍ ❀ وبُوشِرَ بُردُ الأَمْنِ تحت جناحِهِ

ومِنَ البديع المختار فيه ما أَنْشَدَنيهِ لنفسه أَبو جعْفرٍ بن الابَّار وهو : (بسيط)

أما ترى الرَّوضَ راضاهُ الحيا فبدا ✿ للنَّرجس الغضّ فيه لحظُ مبْهوتِ
مِثْلَ العيونِ رنت أشفارُها دُررٌ ✿ لكِنْ أناسيّها صُفرُ اليَواقيتِ

الأناسيّ جمعُ إِنْسان وهو ناظِرُ العيْنِ وحدقَتُها .

....

— البنفسج —

وأنشدني فيه لنفسه أبو عليّ إدريس بْن اليمان بَيْتَيْن سابقين وهما : (كامل)(١)

شَهِدَتْ لنوّار البنفْسج أَلْسُنٌ ✿ من لوْنه الأحْوى ومن أَيناعِهِ
بمشابه الشَّعَرِ الأثيث أعارَهُ ✿ قَمرُ الجبينِ الصَّلْتِ نُورَ شعاعِهِ

وقال أَبو القاسم بن هانيء الأندلسيّ : (بسيط)

بنفْسجٌ جُمِعَتْ أنْوارُهُ فحكتْ ✿ كُحلاً تشرَّبَ دمْعاً يومَ تشتيتِ
أَولا تُقربُ زَورديَّة أَرْبت بزرقتها ✿ وسْطَ الرّياض على زُرق اليواقيتِ
كأَنَّ قُضْبانَهُ والرِّيحُ تحْمِلُها ✿ أَوائلُ النارِ في أَطراف كِبريتِ (٢)

---

(١) راجع ص ٧٩ . — (٢) هذه الابيات ليست لابي القاسم بن هانىء الاندلسي بل لشاعر مجهول لعله عاش في بغداد في العصر الأول من الدولة العباسية . وتروى غالباً لابن المعتز وروايته في الديوان المطبوع في بيروت ص ٣٠٤ :

بنفسج جمعت أوراقه فحكت ✿ كحلاء تشرب دمعاً يوم تشتيت

وللوزير الكاتب أَبي الاصْبَغ بن عبد العزيز فيه قِطْعةٌ أَغْنَيْتُ في الجمال فأَعْيَتْ أَهْلَ الكمال موصولة بمدْحِ الحاجِبِ ـ حجبهُ الله عن النَّوائبِ ـ وهي : (كامل)

وبَنَفْسجٍ أَرْبى على النُّوَّارِ ❀ وأَفادَنا عِطْراً بِلا عَطَّارِ
(٥٢ ظ) فكأَنَّما أَعلاه في فيروزَجٍ ❀ وبِساطُه في خُضْرةِ الأَشْجارِ
وافاكَ في وقْتِ الزِّيارَةِ قائماً ❀ وقد انحنى للْوحْيِ بالأَسرارِ
هُو مسْكةٌ خُلِقتْ لهاأَوْراقُها ❀ في لَوْنِها من صَنْعة الجبَّارِ
أَو رقْعةٌ زَرْقاءُ من كَبِدِ السَّما ❀ في يَومِ صحْوٍ فتْنةُ النُّظَّارِ
أَو لمَّةُ الحسْناء تَحْسبُ وسْطَها ❀ للزَّعْفرانِ مواضِعَ الآثارِ
أَو لُجَّةٌ كحلاءُ هزَّتْها الصَّبا ❀ فتكسَّرتْ لِيناً على مقْدارِ
إِو دِرْعُ حاجِبنا أَتتْهُ صقيلَةً ❀ وقد انْبرى للْفتْك بالكُفَّارِ
ملكٌ قُلوبُ الأُسْدِ بيْنَ ضلوعه ❀ وبِوجْهه قمرٌ من الأَقْمارِ
فإِذا سَطا فالصُّبحُ داجٍ مُظْلِمٌ ❀ وإِذا عَفا فاللَّيْلُ في إِسْفارِ

ومن المعاني الجزلة في الكلمات العذبة ما أَنْشدَنِي لنفسه فيه أبو عامر

كأنه وحقاق القضب تحمله ✡ أوائل النار في أطراف كبريت

وتعزى ايضاً لأبي العتاهية كما في مجموعة من النظم والنثر (مصر ١٩٢٧) ص ٤٧ :

ولا زوردية تزهو بزرقتها ✡ بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها ✡ أوائل النار في أطراف كبريت

كأن ابن هانئ الاندلسي جمع بين رواية ابن المعتز ورواية أبي العتاهية . واما نسبة الأبيات إلى أبي القاسم بن هذيل الاندلسي كما في نهاية الارب للنويري ج ١١ ص ٦٦٢ فخطأ محض لأن ابن هذيل الأندلسي يكنى ابا بكر فهذيل تصحيف هانئ .

ابن مسلمة وكتب به إلى ذي الوزارتين أبي أيوب بن عباد ـ أبقاه الله ـ في زمن البنفسج . وهو : (مجتث)

يا من تحلّى به الفخر والسناء يتوّج
ومن بجود يديه ✿ باب الغنا غير مرتج
ومن بطيب ثناه ✿ نار العلا تتأجّج
إذا انتشيت فعرّج ✿ على رياض البنفسج
تجد به روض حسن ✿ في ثوب أرض مدبّج
فثمّ فاعكف وباكر ✿ مدامة تتوهّج
(٥٣ و) ترى زمرّذ أرض ✿ منه اليواقيت تنتج
كأنّه لجّة البحر غاض فيها ملجّج
فأخرج الزرق لكن ✿ بغيرها لم يعرّج
حكى حسام أبي أيّوب المتضرّج

وأنشدني لنفسه فيه الفقيه أبو الحسن بن عليّ أحسن ابتداع وأغرب اختراع موصولا بمدح ذي الوزارتين أبي عمرو عبّاد ـ أدام الله عزّته ووصل حرمته ـ وهو : (طويل)

ألا حبّذا المحبوب نور البنفسج ✿ وأحبب بمرآه البديع وأبهج
حياة وروح للعليل نسيمه ✿ ومنظره أنس المتيّم والشّج
ونوّاره كالغصن في صدر غادة[1] ✿ لمختلس سهو الرقيب ومدمج

(١) في الاصل : أيكة وأعلاه : غيد .

وحُمرُ اليواقيتِ الوِضاءِ وصُفرُها ❁ تَآلَّفَتَا في لَوْنه المُتَضَرِّجِ
فلو نَظَمَتهُ الحالياتُ لأَشرقَتْ ❁ جواهرهُ في كلِّ قُرطٍ ودُمْلُجِ
محاسِنُهُ من حُسْنِ عَبَّادٍ الرِّضا ❁ ولأْلاؤه مِن وَجْهِهِ المُتَبَلِّجِ

وله أَيضاً فيه بيتانِ استَوْليا على أَمَدِ الاحسانِ وهُما : (طويل)

إذا ما نواويرُ البَنَفْسَجِ أَطْلَعَتْ ❁ جواهرَها في الروض نثراً بلا سلكِ
رأَيتَ سماءً وُشِّحت درعَ خُضرةٍ ❁ عليها نجومٌ طالعاتٌ مِن المِسْكِ

ولأَبي جَعْفرِ بنِ الابَّار فيه قطعةٌ جَيِّدَةُ الحَبْكِ حَسَنَةُ (٥٣ ظ) السَّبْكِ موصولةٌ بمدحِ الحاجِبِ ـ لا أَعْدَمَنا اللهُ جاهَهُ كما أَعدَمَنا أَشباهَهُ ـ وهي : (كامل)

صادِ الزَّمانَ وَرَوِّ غُلَّةَ صادِ ❁ بِمُدامَةٍ لَمْ تَعْدُ مولدَ عادِ
أَوَ ما ترى ثَغْرَ الثَّرى مُتَبَسِّماً ❁ لَكَ عَنْ مرادٍ مُونِقٍ ومُرادِ
وبَنَفْسَجُ الرَّوضِ الاغرِّ كأَنَّهُ ❁ في حُسْنِهِ لَعَسٌ عَلَيْهِ بادِ
لا بل كأَجْنِحَةِ الفَراشِ تأَلَّفَتْ ❁ نَسَقاً وقد خضبتْ من الفرصادِ
روضٌ يظلُّ اللَّحظُ يعبدُ حُسْنَهُ ❁ كَعِبادَةِ العَلْيا بَني عَبَّادِ
يُزْهي المحافِلَ والجَحافِلَ مِنْهُمُ ❁ أَسْنَى عَميدٍ للوَرى وعِمادِ
الحاجِبُ المحجوبِ طاهِرُ عِرضِهِ ❁ بِنَدى جَوادٍ في الرِّهانِ جَوادِ
صَلَتانَ ما زالَتْ حِدادُ سُيوفِهِ ❁ وقَناهُ تَكْسو الشِّرْكَ ثوبَ حِدادِ

قولُه : صادِ أَوَّلَ القِطْعَةِ أَمرٌ من صادَيْتَهُ إِذا دارَيْتَهُ . وَصادِ

الثاني اسمُ الفاعِلِ من الصَّدا وهو العَطَشُ . والفِرْصاد التُّوتُ . وقوله : في الرِّهان جَوادٍ معناه سابِقٌ وجَواد قبله بمعنى كَريم . وحِدادُ سيوفه معناه قاطعةٌ ماضية . وحِداد الثاني لِبسَة الحُزْن وهَيْئَتُه .

ولابي عَلِيّ إِدْريسُ بْن اليمانِي فيه قِطْعَة رفيعةُ الوَصْفِ بديعة الرَّصْفِ وهي : (كامل)

فُتِقَ الثَّرى من نَورهِ بكواكبٍ ❁ دُعْجِ النَّواظرِ والخُدود عجائبِ
فأَدِرْ عليَّ الكَأْسَ بَيْذَخْتِيَة ❁ في دَوْلَةِ النَّجْمِ الرَّفيعِ الثَّاقبِ
(٥٤و) طَبع الربيعُ على بشاشته به ❁ طَبْع الشيبَة فوق ثَدْيِ الكاعبِ

شبَّه لَوْنَه بِلَوْنِ أَطْرافِ الثَّدِيّ وهو من الاختِراع السَّرِيّ .
وبَيْذَخْتِيَّة مَنسوبة إلى بَيْذَخْت قرية بعَيْنِها .

وأَنشدني لنفسه أَيضا فيه بَيتَيْنِ أَنيقَتَيِ التَّشبيه وهُما : (كامل)

وأَريضَةٍ حاكَ الغَمامُ بُرودَها ❁ وسَقى بِريقِ الغانِياتِ بَرودَها
ضَحِكَ البَنَفْسَجُ فَوقَها فكأَنَّما ❁ نَثَرَتْ به خُضْرُ الحَمامِ عُقودَها

شَبَّهَهُ بِلَوْنِ أَطْواقِ القَماريّ وهي موضع العُقُودِ ممَّنْ يَسْتَعْمِلُها وهذا التَّمْثيل مفضَّلٌ لَهُ مُسْتَحْسَنٌ منه .

قال أبو الوليد

هذا ما عثَرْتُ عَلَيْهِ في البَنَفْسَجِ وحين اورَدْتُهُ أَبْدأُ بالخِيرِيّ النَّمَّام إذ يَقْرُبُ من حُسْنِهِ ويُشاركه في لونه .

— الخيري النمام —

أَطْبَعُ ما جاءَ فيه وأَبْزَعُ ما شُبِّهَ بِهِ قَوْلُ أَبي مَروان المُرادِيُّ وهُو : (طويل)

يَنِمُّ مع الاظْلامِ طِيبُ نَسِيمِهِ ❀ ويَخفى لَدى الاصْباحِ كالمُتَسَتِّرِ
كَعاطِرَةٍ لَيْلًا لِوَعْدِ مُحِبِّها ❀ وكاتِمَةٍ صُبْحاً نَسيمَ التَّعَطُّرِ

هذا المعنى ابْتَذَلَه الشعراءُ بَعْدَهُ وهو اخْتِراعٌ حَسَنٌ لَهُ .

ولِأَبي عُمَرَ يوسف بن هَرُون الرماديّ فيه تَشْبِيهٌ حَسَنٌ من قصيد بَديهِيّ وهو : (بسيط)

أُنْظُرْ غَرائبَ لِلْخيريّ ظَاهِرَةً ❀ عند الظّلام وعند الصُّبْحِ تستَتِرُ
كَأَنه سارِقٌ طِيباً تفَرَّقَ في الـ ❀ ـظَّلْماءِ فَهْوَ بِنَمّ الرّيح مُشْتَهِرُ

وقال أَبو عُمَرَ احمدُ بن دَرّاج القَسْطَلِيُّ يصِفُهُ في (٥٤ ظ) قِطْعَةٍ سَرِيَّةٍ مَوْصُولة بِمَدْحِ المظفّر ابْن أَبي عامر - رحمه الله - وهي : (متقارب)

غَدا غَيْرَ مُسْعِدنا ثمَّ راحا ❀ يُساعِدُنا طَرَباً وارْتِياحا
وخُيِّرَ فاخْتارَ شُرْبَ الغَبُوقِ ❀ ولجَّ فَلَيْسَ يَرَى الاصْطِباحا
فَإِنْ آنَسَ الصُّبْحَ نامَ وشحَّ ❀ وإِنْ آنَسَ اللَّيْلَ نَمَّ وَفاحا
كما خَيَّرَ اللهُ عَبْدَ المَليك ❀ فَأَخْتارَ في راحَتَيْه السَّماحا
وفي صَهَواتِ الخُيُول الرِّجالَ ❀ ومن أَدَواتِ الرِّجالِ السِّلاحا

فَعَمَّ القَرِيبَ نَدًى وَالبَعِيدَ ✿ وَرَوَّى السُّيُوفَ دماً والرِّماحا

ولابي القاسمِ بن شِبْراق فيهِ وصْفٌ بَديعٌ وتَشْبِيهٌ مَطْبُوعٌ في قطعة موصولة بمَدْح المَنْصورِ ابن أَبي عامر - رحمه الله - وهي : (كامل)

وبَنَفْسَجِيٌّ اللَّوْنِ يكْتُمُ طِيبَهُ ✿ عندَ الشُّروقِ وفي الظلامِ يَنِمّ به

فكأنّه ذو مَذهَبٍ أَلفَى الدجا ✿ ستراً وأمسكَ مُصبحاً عن مذهبه

أَوْ مُسْتَتِرٌ عَنْ غَرِيمٍ فاقَةً ✿ غَرِيَتْ لجَاجاً نَفْسُهُ بِتَطَلُّبِه

والصُّبْحُ من غُرمائهِ ولأَجْلِ ذ ✿ لك يستَتِرُ تَلَوُّذاً عن مَطْلبه

قَد كان يأخُذُهُ الصَّباحُ بغَفْلَةٍ ✿ لَوْ لم يَنِمَّ عليه مطْلِعُ كوكبِه

ككتائبِ الرعبِ الَّتي تتقدَّمُ الـ ✿ ـمَنصورَ وهْو بأثْرها في مَوْكَبه

فتَفِرُّ قَبْلَ حُلُولهِ عَنْهُ العِدَا ✿ عِلماً بِأَنَّ النَّصرَ أَمْرٌ خُصَّ به

ومن الباهر جمالُهُ الظاهر كمالُهُ قطعةٌ لِصاحب الشُّرطَةِ أَبي بكرِ ابن القوطيّة موصولة بمدح أَبي - أبقى اللهُ (٥٥ و) عَليَّ سِتْرَه ورزقني برّه - وهي : (كامل)

ومضرَّجِ الاثواب مسكيِّ النَّفس ✿ فكأنّما اشتُقَّت حلاهُ من الغلس

شرِكَ البنفسجَ في الاديم فلونُهُ ✿ مِن لَوْنه فكأنَّهُ منه اختُلس

يسري إذا طَرَق الظَّلامُ نسيمُهُ ✿ ويظلّ يكمن بالنهار كذي دَلَس

مُتَنَكِّراً حتّى المَساءِ وإنّما ✿ سُلْطانُه باللّيل فهْو من الحَرَس

جنْسٌ يخالف كلَّ جِنسٍ في التَّعـ ✿ ـرّي والتلبُّس والتوحُّش ولا أُنس

فَتَراهُ طُولَ نَهارِهِ مُتَجَرِّداً ❀ مِن عَرفِه ومع الدَّياجي مُلْتَبِسْ

وَتَراهُ طُولَ نَهارِهِ مُتَوَحِّشاً ❀ فإذا دَنا وقْتُ الظَّلامِ لَهُ أَنِسْ

أُنْسَ المَعالي بابْنِ عامرٍ الَّذي ❀ عَمِرَتْ بدوْلَتِه منازِلُها الدُّرُسْ

أَحْيِي الرياسةَ بالسِّياسَةِ فَهْو مُفْـــصِحٍ لُكْنِها.... (١) بعد الخرس

وعَلا فلَم يَرِثِ العُلَى والمَجدَ عَن ❀ جَدٍّ لَهُ نَكِسٍ ولا جَدٍّ تَعِسْ

نُورٌ تَوقَّدَ فاسْتَبانَ بِلَمْحِهِ ❀ ماكان أَشْكَلَ قبل ذلك والْتبسْ

ولِبَعْضِ الاندلسيّين فِيهِ مَغْزًى دقيق ومعنًى رقيق وقِيل إِنَّهُ لِعُبادَةَ بْنِ ماء السَّماء وهو : (خفيف)

وكَأَنَّ الخيرِيَّ في كَتْمِه الطِّيـــبَ فَقِيهٌ مُغْرى بِطُولِ رياء

يُظْهِرُ الزُّهْدَ بالنَّهارِ ويُمْسِي ❀ فاتِكاً لَيْلَهُ مَعَ الظُّرفاء

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة يصفُهُ بِأَبْدَعَ وأعرب وهو : (رجز)

وَرَوْضَةٍ مَحْفُوفَةٍ ❀ بِكُلِّ حُسْنٍ مُقْتَرَحْ

(٥٥ ظ) خيريُّها بخُلْقِه ❀ عَن كلِّ نَوْرٍ مُنْتَزِحْ

يَكْتُمُ أَسْرارَ الهوَى ❀ فَإِنْ أَتى اللَّيْلُ يَبُحْ

مُغْتَبِقٌ لَيْسَ يَرى ❀ في دِينِهِ أَنْ يَصْطَبِحْ

ومن التشبيه العليّ قَوْلُ الفقيهِ أَبِي الحَسَن بن عليّ وهو : (سريع)

ما أَكْرَمَ الخيرِيَّ في فِعْلِهِ ❀ يَنْهَرُ إِذْ نَوْرُ الرُّبى ناعِسُ

---

(١) بياض في الأصل .

كَأَنَّما خافَ عَلَيْهِ العِدا ❁ فَهْوَ لَهُ في لَيْلِهِ حارِسُ

وقال ابو عليّ إدريسُ بْنُ اليَمانِ يَصِفه بِوَصْفٍ مُتقدّمِ الاحْسانِ وهو : (رجز)

مَراشِفُ الخيريِّ حُوٌّ لُعْسُ ❁ كَأَنَّهُ قَدْ قَبَّلَتْهُ الشَّمْسُ

أَو نُفِّستْ لِلْمِسْكِ فيهِ نَفسٌ ❁ الطّيبُ في اللَّيْلِ عليْهِ حُبْسُ

وما لَهُ تَحْتَ النَّهارِ حِسٌّ ❁ كَأَنَّما الضَّوْءُ عَلَيْهِ حَبْسُ

قوله : قَبَّلَتْه الشمْس يَعْني أَنَّ لَوْنَهُ كَلَوْنِ مَنْ أَثَّرَتْ فيهِ الشَّمْسُ والى هذا أشارَ وإِليه اراد .

ولَهُ أَيْضاً فيه تَشْبِيهٌ عجيبٌ أَنْشَدَنيهِ وهو : (كامل)

أَهْلًا بِسارٍ طِيبُهُ لا سارِبُ ❁ أَضْحى هَواهُ مُضرَّباً بِضرائِبِ

يا ناجِمَ الخيريِّ جادَكَ كلّ ذي ❁ ثَغرٍ لجيبِ الدّجْنِ فوقكَ جائبِ

أُعطيتَ أَنْفاسَ الحبيبِ مُعَطَّراً ❁ وخُلقتَ من خِيلانِ ثوبِ الكاتبِ

ومِمَّا كَثُرَ شَغَفُ أَهْلِ المَيْزِ بِهِ واستِحْسانُ ذَوي الفَهْمِ لَه قَوْلُ أَبي (٥٦ و) جَعْفَرِ بْنِ الابّارِ وهُوَ : (سريع)

لا تَعْذُلُوا الخيريَّ في كَتْمِهِ الـــطّيبَ استِتاراً فهْوَ عينُ الصَّوابْ

الصُّبْحُ شِبْهُ الشيبِ في لَوْنِهِ ❁ فَعافَهُ والَّليْلُ شِبْهُ الشَّبابْ

وأَنشدني لنفسه فيه أبو بكْرِ بْنُ نَصْرٍ أَبْياتاً مطبوعةً تضمَّنَتْ أَوصافاً بديعةً وهي : (طويل)

أُحِبُّ من الاخوانِ نَدباً مُبادِراً ❀ نَقِيَّ الحُلى مِمَّا يُدنِّس طاهِرا
يُلِمُّ بِلَيْلٍ لِلمُدام مُنادِماً ❀ ويَنْفَضُّ عنّي حين يُصْبِح سائِرا
وَرَيحانُنا الخِيرِيّ مَحْضاً فإنَّني ❀ تَخَيَّرْتُه بَيْنَ النَّواوِيرِ ناضِرا
لِما انَّه يُضْحي من العَرْف عاطِلاً ❀ نَهاراً ويُمْسي مُدَّةَ اللَّيْلِ عاطِرا
كأَنَّ لَهُ لُفَّ الأَريبِ فما يَرى ❀ مُشاهَدَةَ اللذَّاتِ إِلَّا مُساهِرا

قال أبو الوليد : وبَعَثَ إِليَّ صاحِبُ الشُّرطَةِ أبو الوليد بن العثماني مُطَيَّبَ خِيرِيّ مُبَكِّرٍ وكتب معه قِطْعَةَ نَثْرٍ مُقْتَطَعَةً مِن السِّحْرِ وهي بَعْد صَدْرِها :

بعَثتُّ بخِيرِيّ جازَ حَدَّ التبكير بأُنْسِه فحازَ قَصَبَ السَّبْق في أَبْناء جِنْسِهِ مَنْظَرُه أَرْبى على المِسْكِ بِنَضرتِه ومَخْبَرُه قَصَّرَ عَنْ شِيَمِكَ على بَسْطَتِه . فاقْبَلْه بحقّ المَجْد عليك ووسائل الحمد إِليك بَهِجاً منظره أَرِجاً مَخْبَرُه إِذا دنا الظَّلامُ ونامَ الانام الَّا مَنِ اسْتَدْعى عَرْفَهُ واسْتَجْدى عُرْفَهُ .

فجاوَبْتُهُ (٥٦ ظ) والجوابُ بعد صَدْرِهِ :

فلمَّا تعاهَدَتْ خِيرِيَّكَ عِهادُ شِيَمِكَ ودامَتْ عليه دِيَمُ كَرَمِكَ بكَرَ مُتَنَعِّماً منها مُتَنَفِّساً عَنْها ولا نِدَّ لَهُ إِلَّا النِدّ ولا مِسْكَ لَهُ إِلَّا المِسْكِ وقد قَبَضْتُهُ مَشْغوفاً بِهِ مُسْتَلِذًّا بِقُرْبِهِ متعجِباً من حُسْنِ اخْتِيارِهِ لاستِتارِهِ باستِهْتارِهِ تَحْتَ جَناحِ الظلام لِيَسْلَمَ من الجُناحِ

والمُلامُ وقد صنعتُ فيه أبياتاً بديهيَّة متأخرة فأغضِ على ما فيها مُحسناً إلى مهديها . وهي : (سريع)

نهارُ خيريّك في ليلِهِ ✿ كذلك الليلُ نهارُ الأديب
ينمُّ فيهِ وينامُ الضُّحى ✿ تصاوُناً عن كلّ أمرٍ مغيب
كأنَّما اللَّيلُ حبيبٌ لهُ ✿ فهْو إذا حلَّ اكتسى كلَّ طيب
كأنَّما الصُّبحُ رقيبٌ لهُ ✿ فيرعوي عند طُلوعِ الرَّقيب

النِّد المِثْل والنَّدُّ الطِيبُ . والمَسْك الجِلْد .

قال أبو الوليد

أكثرُ ما وُصِفَ من الخيريّ هذا النَّمَّامُ وقلَّما ما وُصِفَ الاصفرُ وانا ذاكرٌ ما وقع إليَّ فيه .

— الخيري الاصفر —

من ذلك قول أبي عُمَر القسطلّيّ : (سريع)

أعارهُ النَّرْجِسُ مِنْ لَوْنِهِ ✿ تفضُّلاً وازْدادَ مِنْ طِيبِهِ
وناسَبَ النَّمَّامَ لَمَّا انتهى ✿ إلى اسْمِهِ الأدْنى وتَرْكِيبِهِ
وما يُجارِي واحِداً منْهُما ✿ إلَّا كبا في حِينِ تقْرِيبِهِ

(٥٧ و) وأحْسَن مِنْ هذا قَوْل الفقيه أبي الحسن بن عليّ وهو : (سريع)

كأنما الخيري مستهتر ❀ بالحب قد أنحله العشق
صفرته تنطق عن حاله ❀ ورب حال دونها النطق
أعاره المزن رداء الندى ❀ وصفرة المتشح البرق
ما أوجه اللذات محجوبة ❀ إذا تبدى وجهه الطلق

وحين أحضرنا ما في الخيري له أزهر نبدأ بالنرجس الاصفر .

— النرجس الاصفر —

قال الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور ـ رحمه الله ـ يصفه فأبدع وأعجب وأحسن وأغرب أنشدنيه له حفيده عبد الله .

وهو : (بسيط)

اصفر حتى كأن الالف يهجره ❀ وطاب حتى كأن المسك ينثره
واخضر أسفله من تحت أصفره ❀ فراق منظره الباهي ومخبره
يا نرجساً ظل قدامي تنم له ❀ ريح تذكرني شوقي فأذكره
زمرذ ماثل من فوقه ذهب ❀ معين نابه منه ومحجره
هيجت لي شجناً قد كان فارقني ❀ ذكرتني بالذي ما زلت أوثره

وكتب الوزير الكاتب أبو مروان بن الجزيري إلى المنصور أبي عامر ـ رحمهما الله ـ عن نرجس العامرية في أول يوم من كانون الآخر سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة فأبدع واخترع وهو : (كامل)

حيتك يا قمر العلى والمجلس ❀ أزكى تحيتها عيون النرجس

(٥٧ظ) زُهراً تُريك بشكلها وبلونها ❀ زُهْرَ النجوم الجاريات الكُنَّسِ
طَلَعَتْ مطالِعَها على مُخْضَرَّةٍ ❀ من سُوقها كُسيت بُرودَ السُّندسِ
فتزَيَّنت حُسناً أتمَّ تزيُّنٍ ❀ وتنفَّستْ طِيباً ألذَّ تنفُّسِ
وَملَكْنَ أفْئِدَةَ النَّدامى كلَّما ❀ دارَت بمجلِسهم مَدارَ الاكْؤُسِ
مَلْكَ الهُمامِ العامِري محمَّدٍ ❀ لِلمَكرمات وللنُّهى والأَنْفُسِ
لَبِس الزَّمانُ وأهْله مِنْ عهْدِه ❀ وفِعاله المشكور أكْرَم ملبسِ
فإذا ذهَبْتَ إلى الثَّناء فَقِفْهُ من ❀ بَيْنِ الأنامِ على عُلاهُ واحْبِسِ

ولابي عُمَرَ القَسطَلِّيِّ فيه قِطْعةٌ بديعةٌ تضمَّنتْ اوصافاً رفيعة موصولة بمدحِ المظفر ابن أبي عامر وهي : (كامل)

شكلانِ من راحٍ وروْضة نرجسٍ ❀ يتنازعان الشّبهَ وَسْطَ المجْلسِ
مُتَباهِيَيْنِ تَلَوُّناً بتلوُّنٍ ❀ مُتبارِيَيْن تنفُّساً بتنفُّسِ
فكأنَّها من حدّ سيفك تلْتظي ❀ وكأنَّه من طيبِ خُلْقك يكتسي
يا مَنْ علا من رُتْبَةٍ في رُتْبَةٍ ❀ حتَّى غدا وسْطَ النُّجومِ الخُنَّسِ
وابْنَ الَّذينَ هُداهُمُ ونُهاهُمُ ❀ أدبُ المُلوكِ واسْوةٌ لِلمُؤْتَسي

ومِن أنْفَسِ ما مُلِحَ به في النَّرْجِسِ قطعةٌ للوزير الكاتب أبي الأَصْبَغ بن عبد العزيز صَنَعها بَديهةً بَيْن يَدَيْ ذي الوزارتَيْن أبي عمرو عبّاد — اطال الله بقاءَه وأدام اعتِلاءَه — وكان يَلْبس ثوْباً رفيع القَدْر نَرْجِسِيَّ اللَّوْنِ وهي : (سريع)

(٥٨ و) رَأَيْتُ عَبَّاداً لَهُ مَلْبَسُ ❀ في حَشْوِهِ الجُودُ مَعاً والكَرَمْ
فَقُلْتُ سُبْحانَ العَزيزِ الّذي ❀ أَوْدَعَ ذا الثَّوْبَ رَفِيعَ الهِمَمْ
أَرْوَعَ في سُودَدِهِ سابِقاً ❀ أَبْيَضَ مثْلَ البَدْرِ بادي الشَّمَمْ
كَأَنَّما صُفْرَةُ أَثْوابِهِ ❀ وطِيبُها نَرْجِسُهُ إِذْ تُشَمْ
قَدْ كُنْتَ يا نَرْجِسُ مِن قبلِ ذا ❀ تَبْخَسُ مِنْ حَقِّكَ ما قَدْ عُلِمْ
فالآنَ فافْخَرْ في جَمِيعِ الوَرى ❀ على النَّواوِيرِ وحاشاكَ ذَمْ
بِعِزِّ مَنْ قَدْ حُزْتَ تَشْرِيفَهُ ❀ وفَضْلِ مَنْ لا فارَقَتْهُ النِّعَمْ

وأَنْشَدَني لِنَفْسه الفقيه أبو الحَسَن بْنُ عليّ في النرجس الكبير الذي تُسَمّيه العامّةُ القادوسِيَّ تَشْبِيهاً بالقادوس على لغتهم وصوابُه القَدَس أَبْياتاً رِقاقاً تضمَّنَتْ معانِيَ دقاقاً موصولةً بِمدْحِ الحاجب سِراج الدُّنْيا الثاقب وهي : (بسيط)

في النرجس القدَسيِّ النَّورو القصب ❀ حُسْنٌ يفوق به تِرْبَيْه في النَّسَبِ
لَهُ من التِّبْرِ كأْسٌ قاعُهُ لجِجٌ ❀ مُوَسَّعُ العُلْوِ قد أَبداهُ للعَجَبِ
مَشَمُّ طيبٍ إذا استنشَيْتَ زَهرَتَهُ ❀ وظرفُ أُنْس إذا ماشيت للنُّخَبِ
ومائلُ الجيدِ من سكْرِ النعيم بِهِ ❀ حكى ثنى الثَّمِلِ المشغوفِ باللَّعِبِ
كغادَةٍ ثوبُها من سُندسٍ طلَعت ❀ للشَّرْبِ في كفها كأْسٌ من الذهبِ
فكيف يعقل حظ النفس من طَرَبٍ ❀ مَن كان يلحظ هذا الحسن من كَثَبِ

ثمَّ دخل الى المدْح فقال : (بسيط)

(٥٨ظ) يا حاجباً رقمت في الكتب سيرته ❀ بالحبر وانتقشت بالتّبرِ في القضُبِ
ويا عماداً لهُ يوْماً ندى ووغىً ❀ ذا للأَيادي وذا للْبيضِ واليَلَبِ
إن دُمت للعجْم لم يُعجِم لها خبرٌ ❀ وأعربَ السّعدُ بالاقبالِ للعربِ

قوله: حُسْنٌ يفوق به تِرْبَيْهِ يعني النَّرجسَ الاصْفرَ المعروف والنَّرْجِسِ المُسمَّى بالبهارِ. وقوله: قاعهُ لجِجٌ الآّجحُ الضَّيِّق ولمْ أرَ لأحدٍ قَبْلَهُ في هذا الصّنفِ مِن النَّرْجِسِ وصْفاً وهو مَعْدُومٌ عندنا باشبِيلِيةَ.

وكان كَتَبَ إليَّ مع هذه القطعة بَيْتَيْن وهما: (بسيط)

اِسْئلْ أَبا عامرٍ عنْه ابْنَ مَسْلمةٍ ❀ تسئلْ خبيراً بمعنى الظَّرفِ والادبِ
إن صار قومٌ إلى قَصْفٍ على مهلٍ ❀ طواهُمُ بخُطا التَّقريب والخَببِ

وقال صاحب الشُّرطة أبو بكر بن القوطيّة يصفه في أَبياتٍ وهي: (بسيط مخلّع)

زَبَرْجَدٌ فَوْقَهُ نُضارُ ❀ مُخلَّصٌ لمْ تُذِبْهُ نارُ
كأَنَّما هبَّ مِنْ كَراهُ ❀ وَسْنانُ أَوْ شَفَّهُ انكسارُ
وطابَ عِنْدَ المشمّ حتّى ❀ لِلمسْكِ مِن بَيْنِه انْتِشارُ
قد شاركَ الدَّهرَ فهْو ليلٌ ❀ وافاهُ مِن صُبْحِه اصفرارُ
فأَوّلُ الخَلْقِ مِنْهُ لَيلٌ ❀ ومُنْتَهَى خلْقِهِ نَهارُ
أَبدَعَهُ في الرِّياضِ مُنْشٍ ❀ لهُ على الخِلْقَةِ اقْتِدارُ

شبَّه خُضْرَة سُوقِهِ بِسوادِ اللَّيْل والخُضْرَة والسوادُ عِنْد (٥٩ و) العُرْبِ بمنزلةٍ .

ويقْربُ مِن معنى هذه القِطعة ما أَنْشدنيه لنَفْسه فيه الفقيهُ أبو الحسن بن عليّ وهُو : (طويل)

أَرى النرجس التبْريّ يعنوله الفكرُ ❁ ويقصرُ عن أَوصافه النظمُ والنَّثرُ
كأَنَّ الدُجا قد صاغ خُضرةَ ثوبه ❁ وأَلْقى عليه حُسن صُفْرته الفجرُ
تخالُ به في الروض أَقيالَ معْشرٍ ❁ ثيابُهُمُ خُضْرٌ وتيجانُهُمْ صُفْرُ
يُحيّيكَ بالتّأْنيسِ رَوْنقُ حُسْنِهِ ❁ ويلْقاكَ مِنْهُ قبل رُؤْيتِهِ النَّشْرُ

قال أبو الوليد

ولي قِطْعَةٌ في النَّرْجِسِ موصولة بِمدْحِ ذِي الوزارتَيْن عبّاد ـ وصل اللهُ حُرْمتهُ وأَطال مُدَّتَهُ ـ وهي : (طويل)

وروضٍ أَريض لم يزلْ يغتذي بما ❁ يروحُ علَيْه من سحابٍ ويغتَدي
بدا النَّرجسُ المُصْفَرُّ فيه مُباهِياً ❁ بِلَوْنٍ كلَوْنِ المُسْتَهامِ المُسَهَّدِ
ترى كلَّ نَوْرٍ مِنْهُ فوقَ قضيبِهِ ❁ كلِمَّة تِبْرٍ فوقَ جِيدِ زَبَرْجَدِ
إذا ما سَرى مِنْهُ نَسيمٌ لِوالِهٍ ❁ سرى عنه جِلبابُ الجوى المتوقِّدِ
حكى منظراً نصراً وخبراً خلائقَ الـــــنَّجيبِ أَبي عَمْرٍو سليلِ مُحمَّدِ
فَداهُ عِداهُ كم لَهُ مِنْ فَضِيلَةٍ ❁ وفضْلِ ندىً يُغني به كل مُجْتدي

قال أبو الوليد

هذا ما جَمَعْتُهُ في النَّرْجِسِ ويَجِبُ أَنْ نَبْدَأَ بِذِكْرِ الوَرْدِ ونُورِدُ ما وقَعَ إِلَينا فيه من تَمْثِيلٍ حسنٍ وتَشْبِيهٍ.

— الورد —

لم يُوجِبْ تأخيرَ أَمْرِهِ ولا وَلَّدَ إرجاءَ ذِكرِهِ تأَخُّرُ مَنْزِلَتِه ولا انحطاطُ رتبتِه وإِنَّما بنينا أَنْ نُقدّم من تقدَّم به (٥٩ ظ) زمانُهُ ونبدأَ بِمَنْ بكَّرَ أَوانُه وقد مضت مشاهيرُ الانوارِ المبكِّرةِ التي كثُرَ القولُ فيها وتردَّدَ الوَصْفُ لها.

فمِنَ المُسْتَنْدَرِ في الورد قول الحاجبِ أَبي الحسن جعفر بن عثمان المُصْحَفيّ وقد أَهْدى اليه الوزيرُ زيادُ بن أَفْلَحَ وَرْداً سِيقَ إِليه من رَيَّةَ في شهر كانون الآخِرِ. وهو - اعني قولَ المُصْحَفِيّ - : (طويل)

لعمرُكَ ما في فِطرة الروض قدرة ❀ تُحيل بها مَجْرى الزَّمان عن الحَدِّ
ولكنَّما أَخلاقُكَ الغُرُّ نَبَّهتْ ❀ بِرَبْعِكَ في كانونَ نائمةَ الوَردِ
كأَنَّكَ قد أَمْطَرتَها ديمةَ المَجْدِ ❀ وأَجْريتَ في أَغصانها كرمَ العهدِ

فلما وصل هذا النظمُ المستَمْلح إلى زياد بن أَفْلَحَ بعثَ اليه بِوَرْدَةٍ كان احتَبَسها لِنَفْسه فكتب اليه ثانيةً بَيْتَيْنِ وهُما: (سريع)

فاجأَني كانونُ بالوَرْدِ ❀ فزادَني وجْداً إلى الوَجْدِ

وردُ العُلَى أَهْدى لنا وردةً ❀ يا حبَّذا الوردُ مِن الوَرْدِ

ومن السَّرِيّ السَّنِيّ قولُ الوزير الكاتب ابي مروان (ابن) الجزيري ـ رحمه الله ـ : (كامل)

أَهْدى إِلَيكَ تحِيَّةً من عنده ❀ زمنُ الربيعِ الطَّلْقِ باكِرَ وردِهِ

يَحكي الحبيبَ سرى لوعْد محبِّه ❀ في طِيبِ نَفْحته وحُمْرَةِ خدِّه

وكَتَبَ أَيْضاً أبو مرونَ (ابن الجزيري) الى الوزير أَبي مروان عبد الملك بن شُهَيْد في أُخرياتِ أَيَّامِ الوَرْدِ بِأَبْياتٍ أَنيقةِ الصِّفاتِ وهي : (بسيط)

قُلْ للوزير الَّذي جلَّتْ فضائلُهُ ❀ فسِّرْ لنا شرْحَ معنى سال سائلُهُ

(٦٠و)وأيّ وصْليه موجوداً ومفتقدىً ❀ أَولى وأَجْدرُ أَنْ تُرعى وسائلُهُ

وقد أَتاكَ لِتَوديعٍ على عَجلٍ ❀ خُضراً مقانعُهُ حُمْراً غلائلُهُ

فامنحهُ منك قبولا واقضِ نهمتهُ ❀ من الوداعِ فقدْ شُدَّتْ رواحلُهُ

لا زِلتَ دهرَكَ محبُوّاً زيارتَهُ ❀ إذا انْقَضى عامُهُ وافاكَ قابِلُهُ

وبَلَغَني أنَّ الوزيرَ ابن شُهيْدٍ جاوَبَهُ بأَبْيات لَمْ تَقَعْ إِلَيَّ ولا وَرَدَتْ عَلَيَّ .

وأَنشدني الوزيرُ أَبو عامِرٍ بْنُ مَسْلَمة للوزير أَبِيه ـ رحمة الله عليه ـ أبياتاً مطبوعةً كتب بها إلى الوزير عيسى بن سعيد يستَدْعيه إلى الفَصْدِ تضمَّنت وصفاً حسناً للوردِ وهي : (خفيف)

مَا يطيبُ التَّفجيرُ دونَ صديقٍ ❀ مُمْحضٍ مُخْلصٍ شقيقٍ شفيقِ
وقـدِ اخْتَرْتُهُ نَهاراً بهيّاً ❀ كَمُحيَّاكَ مُسْتَنيرُ الشروقِ
عندنا الوردُ قدْ تألَّفَ مِنْ لَوْ م نَيْنِ لَوْنَ المهى ولَوْنَ العقيقِ
كخُدودٍ تَبَرْقَعَتْ بحياءٍ ❀ فوْقَ ديباجِها الأَنيقِ الدَّقيقِ
فتفضَّلْ وخِفَّ نحْوَ صديقٍ ❀ أنْتَ في نفْسِه أجلُّ صديقِ

ونزل ابو عُمر يوسف بن هرون الرماديّ على بني أَرْقَم بِوادِ آش فقدّم إليه فيما أُكْرِمَ به طَبَقُ وردٍ وكان في فصل الشّتاء فاستَغْرَبَهُ ثمَّ أَخذَ منْه وردةً واحدةً وقال بديهةً : (رمل)

يا خُدودَ الحُورِ في إخْجالِها ❀ قد علَتْها حُمْرَةٌ مكْتَسَبَهْ
(٦٠ظ) اغْتربْنا أَنْتِ من بجّانةٍ ❀ وأَنا مُغْتَرِبٌ من قُرطُبَهْ
واجتَمَعْنا عِنْدَ إخْوانٍ صفاً ❀ بالنّدى أمْوالُهُمْ مُنْتَهَبَهْ
عُصْبَةٌ إنْ سُئِلَتْ عن نِسْبةٍ ❀ فإلى أرقمِها مُنْتَسِبَهْ
إنَّ لثْمي لَكِ قُدّامُهُمُ ❀ لَيْسَ فيه فَعْلَةٌ مُسْتَغْرَبَهْ
لاجْتِماعٍ في اغْترابٍ بيْنَنَا ❀ قَبَّلَ المُغْتَرِبُ المُغْتَرِبَهْ

وممّا يُسْتَحْسَنُ فيه وتُسْتَمْلَحُ معانيه قِطْعةٌ لابي عُمر احمد بن درّاج القَسْطَلّيّ موصولةٌ بِمدْحِ المظفَّر ابن أبي عامر — رحمه الله — وهي : (كامل)

ضَحِكَ الزَّمانُ لنا فهاكَ وهاتِهِ ❀ أَوَ ما رأَيْتَ الوردَ في شَجَراتِهِ

قَدْ جاءَ بالتَّاريخ مِنْ أَغْصانه ✿ وبخجْلَة المَعْشوق مِنْ وجَناته
وكَساهُ مَوْلانا غلائِلَ سَيْفِه ✿ يَوماً يُسَرْبِلُه دِماءَ عُداته
مِنْ بَعْدِ ما نفحَ الحيا من رَوحِه ✿ فيه وعَرْفُ المِسْكِ مِن نفحاته
إن كان أَبدعَ واصِفٌ في وصْفِه ✿ فلقدْ تقاصَرَ عَن بديعِ صفاتِه
كمديح سيفِ الدَّولة الأَعلى الَّذي ✿ أَعْيا فأَغْيا في مَدى غاياته
مَلِكٌ يَنِمُّ الجُودُ في لحظاته ✿ واليُمْنُ والإيمانُ في عَزماته
وحَياتِه إنْ كانَ أبقى حاجَةً ✿ لِمَنِ ارْتجاهُ غَيرَ طُولِ حياته

ولأَبي القاسِمِ بْن شبْراق في وَرْدَةٍ لمْ تفتَّحْ وَصْفٌ حَسَنٌ مُسْتَمْلَحٌ : (مُنْسرح)

خَجِلَتْ إِذْ تَأَمَّلَتْها العُيُونُ ✿ خَجَلًا في احْمِرارِها يَسْتَبِينُ
وَرْدَةٌ ورّدَتْ دُموعِيَ شَوْقاً ✿ لِلَّتي خَدُّها بِها مقْرُونُ
(٦١و) بنت غصن يقرُّ بالكَرمِ الدهـ ✿ ـرُ لها في رِياضِها والغُصُونُ
واسْتَسَرَّتْ عَنِ العُيونِ حَياءً ✿ وعَرا عَرْفَها الذَّكِيَّ سكُونُ
سَتَرَتْ وجْهَها بِبُرْقُعِها واسْـ ✿ ـتقبلَتْنا مِنَ الفُتونِ فُنُونُ
كالفَتاةِ الحَيِيَّةِ انْتَقَبَتْ كَيْ ✿ لا يُرى وجْهُها الجَميلُ المَصُونُ

وكَتَبَ الوزيرُ أبو عامِر بن مسلمة إلى ذي الوزارتَيْن أبي عَمْرو عبَّادٍ - أعزه الله وأحْسَنَ ذِكْراه - في زمن الوَرْدِ يصفه فأَحْسَنَ الوصْفَ وأبدعَ التشبيهَ أنشدنيه وهو : (رجز)

عَبَّـادُ يا خَيْرَ الوَرى ❀ ومَنْ بِهِ تُزهى المِدَحْ
يا قَمَرَ الأَرْضِ ومَنْ ❀ عَلا سَماءً وَرَجَحْ
أَما تَرى الوَرْدَ وَقَدْ ❀ رَنا بِطَرْفٍ ولَمَحْ
كَأَنَّهُ دَمٌ جَرى ❀ على طُلًى بِيضٍ وُضُحْ
أَوْ خَدٌّ غَضٌّ عَضَّهُ ❀ لَحْظُ مُحِبٍّ فانْجَرَحْ
كَأَنَّما نَسِيمُهُ ❀ عَنْ خُلُقٍ مِنْكَ نَفَحْ

وبعث الفقيهُ أبو الحسن بن عليّ بِوَرْدٍ مُبَكِّرٍ في سُباط إلى ذي الوزارتَيْن القاضي ـ أعزّهُ الله وأَذَلّ عِداهُ ـ وكَتَبَ معه : (متقارب)

لِيَهْنِئْكَ يا واحِدَ المَكْرُماتِ ❀ وأَهْدى المُلوكِ لقَصْدِ الصِّراطِ
جَنِيٌّ مِنَ الوَرْدِ قَدْ حَثَّهُ ❀ إِلَيْكَ تَوَدُّدُهُ في سُباطِ
وما ذاكَ أَيّامُ إِقْبالِهِ ❀ ولا وَقْتُ تُنْضيدِهِ في البِساطِ
(٦١ ظ) أَصابَ بإِسْراعِهِ فاحْبُهُ ❀ وَغَفْراً لِسائِرِهِ فَهْوَ خاطِ

وقال أيضاً الفقيهُ أبو الحَسَن (بن عليّ) يصفه في قِطْعَةٍ رائقة متضمّنةٍ لصفاتٍ فائقة موصولةٍ بمَدْحِ ذي الوزارتَيْن القاضي ـ أيَّدَ اللهُ يَدَه وحَصَدَ من حسده ـ : (كامل)

لِلْوَرْدِ فضلُ السَّبْقِ عند المَفْخَرِ ❀ بالمَنْظَرِ السّامي وطيبِ المَخْبَرِ
ورقٌ من الياقوتِ نُظِّمَ فَوْقَهُ ❀ شَذْرٌ من الذهب السَّبيكِ الاصفرِ
ونَسِيمُ فَوحٍ لَيْسَ يَبْلُغُ طِيبَهُ ❀ عَبَقُ العَبيرِ ولا دُخانُ العَنْبَرِ

نَقَصَ الزَّمانُ ضَنانَةً مِن عُمْرِهِ ❁ وكَذا النَّفيسُ القدرِ غيْرُ مُعمَّرِ

والنَّورُ غيرُ الوردِ ليس لِشَخْصِه ❁ دون السِّباطَةِ ذابلًا مِنْ مقْصرِ

والوَرْدُ يُرْفَعُ غَضُّهُ ويَبيسُه ❁ رفعَ الأكفِّ ظروفَ مسكٍ أذفرِ

عَمَّتْ مَنافعُهُ كما عَمَّ الورى ❁ جُودُ ابنِ عبَّادٍ فَريدِ الأعْصُرِ

وله أيْضاً فيه بَيْتانِ اسْتَوْلَيا على غاية الاحسان وهما : (مُنْسرح)

أُنظُرْ إلى الرَّوض غير مُتَّئِدِ ❁ تُبصِر جَمالًا يَصُوغُهُ الدَّهْرُ

كأنَّما الوَرْدُ فيه أطْباقُ يا ❁ قُوت عليها مَغالقٌ صُفْرُ(١)

ولصاحب الشُّرطة أبي بَكْر بن القُوطِيَّة فيه قِطْعَةٌ نَثريَّةٌ

موصولةٌ بمدح ذي الوزارتَيْن أبي أيُّوب بن عبَّاد أبقاه الله وأسْبَغ

عليه نُعْماه وهي : (بسيط)

نَوْرُ الرُّبى خَوَلٌ والورد سُلطانُ ❁ بذا قضى قَبْلَ آذارٌ ونيسانُ

(٦٢و) سَرطوته فصول العام حاسدةً ❁ لِفضْله إذْ لهُ السُّلْطانُ والشَّانُ

حتَّى إذا ما الرَّبيعُ الطَّلْقُ نمَّ به ❁ بَدا وقد ضاقَ عن مَثْواهُ كِتْمانُ

مُعالِجاً فَتْحَ أوْراقٍ تُطبِّقُهُ ❁ كما يُعالِجُ فَتْحَ العَيْنِ وَسْنانُ

حتَّى تَفَتَّحَ مِنْ أكمامِ بُرْدَتِه ❁ كما تَفَتَّحُ بَعْدَ النَّوْمِ أجْفانُ

أمَّا النَّسيمُ فَطِيبٌ لا أُكيِّفُهُ ❁ واللَّونُ حسناً به الألوانُ تُزدانُ

فما سِوى الوردِ في النُّوارِ مِن مَلِكٍ ❁ ولا كَمِثْلِ أبي أيُّوبَ سُلْطانُ

---

(١) بالهامش : أو « معالق خضر » .

ملكٌ يُريكَ اهتزازَ الرَّوضِ يتبعُه ❀ حلمٌ رَسا منه فوقَ الأرضِ ثَهلانُ

وللوزيرِ الكاتبِ أبي حَفْصِ بنِ بُرْدٍ فيه أبياتٌ بديعةٌ رفيعة التشبيه وهي : (كامل)

هذا الرَّبيعُ وكُنْتَ تَرقُبُه ❀ فانظُرْ بِعَيْشِك كيفَ تَصْحَبُه
قَدْ نُشِّرَتْ حُلَلُ النَّباتِ بِهِ ❀ فَبَدا مُفَضَّضُه ومُذَهَّبُه
والوَرْدُ قَدْ سَمَتِ الغُصُونُ بهِ ❀ تَجْلُوهُ والأبْصارُ تَخْطُبُه
والشَّمْسُ قد ضَرَبَ الضِّحاءَ بها ❀ في صِبْغِهِ فَذَكا تَلَهُّبُه
فَكَأَنَّ مَنْ يَهْواهُ يُخْجِلُه ❀ وكأنَّ رَيّاهُ تُطَيِّبُه

وكَتَبَ أبو جعفر بن الأبَّار الى الوزير أبي عامر ابنِ مَسْلَمَةَ في زمن الربيع يصف الوَرْدَ ويَحُضُّه على إيثارِ الأُنْسِ وجَلاءِ صَدإِ النَّفسِ فأَحسن إحْساناً يَقْرُبُ على مُتأمِّلِيهِ ويَبْعُدُ على مُتَناوِلِيهِ وَوَصَفَ الوَرْدَ بَعْدَ صَدْرٍ مُتَقَدِّمٍ من الشِّعْر : (كامل)

الوَرْدُ وِرْدٌ للعُيونِ مِنَ الظَّما ❀ فاذكُرْ أَذِمَّتَهُ الوكيدةَ واحفَظِ
(٦٢ظ) في لِبسةِ التقوى يروقك منظراً ❀ فامنحْهُ بالانصاف طَرْفَك والحَظِ
وإذا الهُجُوعُ نَأَى فَخَيْرُ مُنَوِّمٍ ❀ وإذا السُّرورُ دنا فأَحْسنُ مُوقِظِ
يا مُمْطِري بِفَعالِهِ ومَقالِهِ ❀ ومُحافِظي بِوِدادِهِ لا مُحْفِظي
أَفْطِنْ إذا أَبْدى الزَّمانُ تَبالُهاً ❀ وإذا تَواسَنَ جَفْنُه فاسْتَيْقِظِ
وبكلِّ صِرفٍ فاستَقِدْ من صَرفِه ❀ وافْظُظْ بِرِقَّتِها عَلَيْهِ وأَغْلِظِ

فالهمُّ يَفْرَقُ مِنْ لآلِئ فَرْقِها ❁ والحزنُ يطْفأُ عن سَناها الملْتَظِ
صَفْراءُ صفرُ الكأسِ مِن جُثْمانِها ❁ تَتَخطَّفُ الأبصارَ منها يُلحظِ
لا زلْتَ تَسلَمُ يا بنَ مَسلمةَ الرّضا ❁ مُعطى الأمانِ من الخطوبِ البُهَّظِ

قوله: في لِبْسَةِ التَّقْوى يعني الحياءَ من قول الله تعالى «وريشاً ولباس التقوى[1]» قيل الحياءُ. وقوله: محافِظي هو من الحِفْظِ والمُراعاة. ومُحْفِظي من الاحفاظِ وهو الاغضابُ. وقوله: فالهمُّ يَفْرَق يَرْتاعُ ويفْزَعُ والفَرْقُ لُغَةٌ في المَفْرِقِ من الرأس. وقوله: صِفْر الكأس من جُثمانِها الصِّفْر الخاليةُ والجثمانُ الجِسْمُ وفيه لُغتانِ: جثمانٌ وجُسْمان.

فَجاوَبَهُ الوزير أبو عامر بن مسلمة بِأَبْياتٍ بديعةِ الصفات بَزيعة الكلمات وهي: (كامل)

يا واحدَ الأُدَباءِ غيرَ مُدافَعٍ ❁ ومَنِ اغتدى في الفهمِ ناراً تلتظي
وافانِيَ الشّعْرُ البديعُ نِظامُهُ ❁ فَأَزاحَ عَنّي كلَّ أمرٍ مُحْفِظِ
(٦٣و) فخراً الوردُ الروضِ إذ حازَ المدى ❁ بِبَدائعٍ مِنْ ذِهنِكَ المُتَيَقّظِ
الوَرْدُ عندي في الخدود نفاسةً ❁ ورياسةً مهما يُقَسْ أَوْ يُلْحَظِ
هُوَ آخرٌ وله التَّقَدُّمُ أوّلاً ❁ كم آخِرٍ قد حازَ مفخرَ مَن حَظي
وقدِ اعْتَمَدتُ على الّذي خبّرتَه ❁ في نظمِكَ الزاري بلَفْظِ اللّفَظِ
وفضَضْتُها صفراءَ يُعْشي ضَوْؤُها ❁ حدقَ العيونِ الرّانياتِ اللُّحَّظِ

---

(١) سورة ٧ (الاعراف) آية ٢٥ .

قال أَبو الوليد وأَهدى إليَّ صاحب الشرطة أَبو بكر بن القوطيَّة ثلاث وَرْداتٍ ليلة المِهْرَجان وكتب إليَّ مَعها أَبياتاً أَنيقة المعْنى دقيقة المَغْزى وهي : (وافر)

بَعَثتُّ بِأَغْرَبِ الأَشْياء طُرَّا ❁ وأَعْجَبِها لِمُخْتَبرٍ ومُخْبِرْ
بِوَرْدٍ ناعِمٍ غَضٍّ نَضيرٍ ❁ يَروقُكَ ناسِماً طَوْراً ومُبْصِرْ
أَتى في المِهْرَجانِ فكان فَوْقَ الْـ ـبَكيرِ غَرابَةً وَهْوَ المُؤَخَّرْ
وإِغْرابُ المؤَخَّرِ عَنْ أَوانٍ ❁ يَجيءُ بِهِ كَإِغْرابِ المُبَكِّرْ
وَلَمَّا أَنْ غَشيتُ الرَّوْضَ مِنْهُ ❁ بِرَوْضٍ فيكَ مِن مِدحي مُنَوِّرْ
وقُلْتُ لَهُ اسْتَمِعْ لِحُلى كَريمِ الـ ـسَّجايا مُنْتَقًى مِنْ سِرِّ حِمْيَرْ
تَفَتَّحَ مِنْ كَمائِمِهِ وأَبْدَى ❁ مِنَ النَّفَحاتِ ما قَدْ كانَ أَضْمَرْ
فَماءُ ثَنائِكَ العالي سَقاهُ ❁ ومِنْ أَخْلاقِكَ العُلْيا تَفَطَّرْ
فَأَوسِعْهُ القَبُولَ ودُمْ عَزيزاً ❁ مَكيناً ما جَرى نَجْمٌ وغَوَّرْ

فلمّا وردَتِ الوَرْدُ الثلاثُ عليَّ ووصلتْ إليَّ بَعثتُ بِها (٦٣ ظ) إلى أَبي وقاه اللهُ بي وكتبْتُ إليه معها أربعةَ أَبْياتٍ بديهة : (كامل)

يا مَن تأَزَّرَ بالمكارِمِ وارتَدى ❁ بالمجْدِ والفَضْلِ الرفيعِ الفائقِ
أُنْظُرْ إلى خَدِّ الرَّبيعِ مُرَكَّباً ❁ في وَجْهِ هذا المهرجانِ الرَّائقِ
وَرْدٌ تَقَدَّمَ إذ تأَخَّرَ واغْتَدى ❁ في الحسْنِ والاحْسانِ أَوّلَ سابِقِ
وافاكَ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِ حَيائِهِ ❁ خَجِلًا لأَنْ حَيَّاكَ آخرَ لاحِقِ (١)

(١) وردت هذه الابيات في نفح الطيب للمقري ج ٢ ص ٢٩٠ .

وَلي أَيضا فيه قطعة موصولةٌ بِمدْح أَبي ـ أَبْقَى اللهُ عليَّ ظلَّه وقدَّمني إلى المنون قَبْلَه ـ وهي : (خفيف)

إنَّما الوَرْدُ في ذُرى شَجَراتهْ ❀ كَأَجَلِّ المُلوكِ في هَيْئاتِهْ
رائِقٌ مَنْظَراً وَخُبْراً وفَذٌّ ❀ في حُلاهُ الَّتي حَلَتْ وصِفاتِهْ
نَفْحَةَ المِسْكِ من شَذا نَفَحاته ❀ خَجَلَ الخَدِّ مِنْ سَنا خَجَلاتِهْ
مُزِجَتْ حُمْرَةُ اليَواقيتِ بالدُّ م رِّ فجاءَتْ بِهِ على حَسْبِ ذاتِهْ
مِثْلَما جاءَ مِنْ سَماحٍ وبَأْسٍ ❀ خُلْقُ الحِمْيَرِيِّ سُمَّ عُداتِهْ
إنْ يَعِدْ فالْوَفاءُ حَتْمٌ عَلَيْهِ ❀ فَرْضُهُ في صَلاتِهِ كَصَلاتِهْ

ولي قطعةُ نَثْرٍ كتبْتُ بِها إلى صاحب الشُّرْطَة أَبي الوليد بن العُثْمانيِّ وبَعَثْتُ مَعَها ورْداً مُبكِّراً :

بعثْتُ بخُدودِ المَعْشُوقَيْنِ قَدْ أَدْمَتْها أَلْحاظُ العاشقين وأَدْمَنَتْ علَيْها ناظِرَة ، فَتَساقَطَتْ هكذا ناضِرَة ، فاحْكُمْ على العُيُون للخُدودِ على أَنْ لا تَعُودَ إلى الصدُودِ . والسلام .

(٦٤ و) قال أَبو الوليد : وحين اسْتَوْفَيْتُ ما حَصَلَ عندي من الوَصْفِ للوَرْدِ أَبْدأُ بِذِكْرِ ما عثرْتُ عليه من المستحسَنِ في وَصْفِ السُّوسَنِ فهو صاحب الوَرْدِ في زمانه ومُشارِكُهُ في أَوانه .

— السوسن —

قال أَبو الوليـد : يقال سُوسَنٌ وسُوسانٌ بالالف ودونهـا وَقدْ تكرَّرتْ في الشِعْر اللُّغتانِ وتردَّدتْ التَّسْمِيتان .

فمن مليح ما جاءَ فيه وشُبِّهَ به قَوْل أَبي عُمرَ أَحمد بن فَرج الجيَّانيّ وهُو : (وافر)

بَعَثتُ بِسُوسَنٍ نَضْرٍ ✿ يَنِمُّ كَجُونَةِ العِطْرِ
كَأَكْؤُسِ فِضَّةٍ فِيها ✿ بَقايا شُهْلَةِ الخَمْرِ
أَوِ الوجَناتِ منكَ دنَتْ ✿ إِلَى وَجَناتيِ الصُّفْرِ

وللوزير الكاتب أَبي مَرْوان بن الجزيريّ فيه وصْفٌ مُفَضَّلٌ لَهُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْهُ وهو : (كامل)

ومُلَسَّنِ الطَّاقاتِ أَبْيَضَ ناصِعٍ ✿ يُزْهى بِأَصْفَرَ مِنْ جَناهُ فاقِعِ
أَعْدادُ زَهْرَتِه إِذا حَصَّلْتَهـا ✿ ستٌّ سوى عدد الرقيب السَّابعِ
سَكَنتْ قرارَةَ حِجْرِهِ كَلَفاً بهِ ✿ كالأُمّ تكْلَفُ بالصَّغيرِ الرَّاضعِ
صافي الأَديمِ إِذا تخلَّق صَدْرُهُ ✿ بِخَلُوقِ أَرْؤُسِها الذَّكِيّ المائعِ
أَهْدى الصَّبابَةَ والهوى بنَسيمِهِ ✿ وبَديعِ مَنْظَرِهِ الأَنيقِ الرَّائعِ
سَمَّوْهُ بالسُّوسانِ ظُلْماً واسْمُهُ ✿ في ما خَلا ساسانُ غَيْرَ مُدافعِ
(٦٤ظ) لماَّ استَذاعَ بفارس كَلِفت به ✿ أَمْلاكُهُ فَدَعَتْهُ باسْمٍ شائعِ

الرقيب هو القائِمُ في وَسَطِ السوسنة . وساسانُ اسمُ مَلِكٍ فارسيٍّ أراد بهذا التمليحِ التَّنويهَ به والترفيعَ مِنْ قَدْرِهِ .

ومن المُسْتَنْدَرِ المُسْتَحْسَنِ في وَصْفِ السُّوسن قَوْلُ أَبي عُمر الرَّماديّ وهُو : (خفيف)

سوسن كالسَّوالف البيض لاحت ✿ لِمُحِبٍّ مُتَيَّمٍ مِنْ حَبِيبِ
قَدْ أَعارَتْ عُيُونَنا كلَّ حُسْنٍ ✿ وأَعارَتْ أنوفَنا كلَّ طِيبِ
بَعْضُها عاشِقٌ لِبَعْض فَبَعْضٌ ✿ لِمُحِبٍّ والبَعْضُ لِلْمَحْبُوبِ
فالحبيبُ المُبْيَضُّ مِنها إذا اصْفَـــرَّ سِواه اصفِرارَ صَبٍّ كَئِيبِ
لَهُما ثالِثٌ أَنافَ كَواش ✿ قامَ يَحْكِي هَواهُما كالخَطِيبِ
فَهُما وَهُوَ في جميع المعانِي ✿ كَحَبِيب وعاشِق وَرَقِيبِ

ولابي بَكْر يحيَى بن هذيل فيه تَشْبِيه أَنيق و تَمْثِيلٌ دقيق وهو : (بسيط)

وَرُبَّ سُوسَنَة قَبَّلْتُها كَلَفاً ✿ وما لها غيرُ نشر المسك منْشُوقِ
مُصْفَرَّةِ الوسْط مبْيضٌّ جوانبُها ✿ كأَنَّها عاشِقٌ في حِجْرِ معْشُوقِ

ولأَبي بَكْرٍ هذا فيهِ قَبْلَ أَن يَتَفَتَّحَ وَصْفٌ اسْتُحْسِنَ واسْتُمْلِحَ وهو : (طويل)

فأَوَّلُ ما يَبدُو فَخَلْقُ سبِيكَةٍ ✿ مُخَلَّصَةٍ بَيْضاءَ أَتْقَنَها السَّبْكُ
بَنَتْ نَفْسَها فوق الزُّمرُّذِ واقِفاً ✿ فلاحت كمثل الدُّرِّ ضمَّنَه السِّلكُ

جَنى سُوسَنٍ لَوْلا سنا بَشراته ✿ لما زَيَّن الأفواهَ ثَغْرٌ ولا ضَحِكُ

(٦٥ ظ) ولِبَعْض شُعراءِ الأَنْدلُسِ وقد دَخَلَ على المنصور بن أبي عامر – رحمه اللّهُ – وبَيْن يدَيْهِ ثَلاثُ سُوسَناتٍ إِحْداها لم تفتّحْ . فسألَهُ وَصْفها فقال بَعْد أَبْيات لم أَحْتَجْ إلى ذِكْرِها : (بسيط)

تبدو ثلاثٌ مِنَ السُّوسانِ قائمةٌ ✿ وما تشكّى من الاعياءِ والكَسَلِ

فَبَعْضُ نُوَّاره بالحسنِ مُنْفَتِحٌ ✿ والبعضُ مُنغَلِقٌ عنهنَّ في شُغُلِ

كأنّها راحَةٌ ضَمَّتْ أَنامِلَها ✿ ممدودةٌ ملئتْ من جُودِكَ الخضِلِ

وأُخْتُها بَسَطَتْ مِنْها أَنامِلَها ✿ تَرجُو نداكَ كما عوّدتَّها فَصِلِ

وقال أَبو عُمَر احمد بن دَرَّاج القَسْطَلِّيّ يصفه فأَحْسَنَ وأَبدَعَ وأَغْرَبَ واخْتَرَعَ : (منسرح)

إن كانَ وَجْهُ الرَّبيعِ مُبْتَسِماً ✿ فالسُّوسَنُ المُجْتَلى ثَنَاياهُ

يا حُسْنَهُ سِنّ ضاحكٍ عَبِق ✿ بِطيبِ رَيَّا الحَبيبِ رَيَّاهُ

خافَ عَلَيْهِ الحَسُودَ عاشِقُهُ ✿ فاشْتَقَّ مِنْ ضِدّهِ فَسَمَّاهُ

وَهْوَ إذا مُغْرَمٌ تَنَسَّمَهُ ✿ خَلَّى على الأنفِ مِنْهُ سِيماهُ

كما يُخَلّي الحبيبُ غاليَةً ✿ في عارِضَيْ إِلْفِهِ لذكراهُ(١)

قَوله : خاف عليه الحسودُ البَيْت يعْني أَنّهُ سمّاه سُوءًا وهو حسَنٌ خَوْفَ العَيْنِ والحَسدِ وهو تمليحٌ مُسْتَحْسَنٌ .

---

(١) توجد هذه الابيات في كتاب الروض المعطار لابن عبد المنعم الحميري (ط. ليدن ١٩٣٧) ص ١٦٠ .

ولأبي عُمر (احمد بن درّاج القسطلّيّ) أيضا فيه وَصفٌ ثانٍ معدومُ المِثال موسومٌ بالجمال صحّ عِندي أنّ عُبادةَ بنَ ماء السماء كان يقول: لم (٦٥ ظ) يُخترَعْ بالأندلسِ في مَعْنًى من المعاني كاختِراع القسطلّيّ في السوسان . وهو في قطعةٍ مُطوّلةٍ كتب بِها إلى المظفّر بن أبي عامِر أنا ذاكرٌ منها ما تشبّثَ بِذكر السوسَنِ من المستحسن وهو: (كامل)

جهّزْ لنا في الرّوض غزوةَ مُحتسِبْ ❀ واندبْ إليها مَنْ يُساعدُ وانتدِبْ
واهزُزْ رِماحاً مِنْ تَباشِير المنى ❀ واسلُل سُيوفاً مِن مُعتّقة العنبْ
وانْصِبْ مَجانيقاً مِن النّسِيمِ الّتي ❀ أحجارُهنّ من الرّواطم والنُّخَبْ
لمعاقل من سوسن قَدْ شيّدَتْ ❀ أيدي الربيع بناءَها فوق القُضُبْ
شُرُفاتُها مِنْ فِضّة وحُماتُها ❀ حول الأمير لهم سيوف من ذهب (١)
مُترقّبين لأمْرِه وقدِ ارْتَقَى ❀ خَلَلَ البِناء ومدّ صفْحةَ مُرتقِبْ
كأميرِ لُونةَ قَدْ تَطلّعَ إذْ دَنا ❀ عبدُ المليك إليهِ في جيش لجِبْ
فَلَئن غنمت هُناكَ أمثالَ الدُّمى ❀ فهُنا بيوتُ المسك فاغنمْ وانتَهِبْ
تُحفاً لِشعْبانَ جلا لَكَ وَجْهَهُ ❀ عِوضاً من الورد الذي أهدى رجبْ
فاستوْفِ بهجتَها وطيبَ نَسيمِها ❀ فإذا دنا رمضانُ فاسجُدْ واقترِبْ

الشُّرُفات أوراق السوسَنِ والسيوف النواوير المصفرّة في أسْفَلِها

---

(١) يوجد هذان البيتان الآخران في كتاب عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد المغربي (ط . بولاق ١٢٨٦) ص ٥٩ وفي نفح الطيب للمقري ط . ليدن ج ٢ ص ١٣٢ ورواية ابن سعيد والمقري « ومعاقل » بدل « لمعاقل » .

والأمير القائمُ وسط السوسنة وهو من الاختراعات الشريفة والابتداعات البديعة .

ولأبي بَكْر عُبادة بن ماء السماء إلى صديق لَهُ يستهديه سُوسناً أَبْياتٌ وصفه فيها وصفاً مُستَحْسناً : (بسيط مخلّع)

دُمْتَ بإنعام وإحْسانْ ✿ إنْ أَنْتَ أَنْعَمْتَ بِسُوسانْ
(٦٦و) لو كانَ نفساً حيوانيَّةً ✿ ما كانَ ألأنْفس إنْسانْ
كَأَنَّهُ أَنْمُلُ حَسْناءَ لَمْ ✿ تَخْضِبْ يدَيْها خوفَ غَيْرانْ

وأنشدني لنفسه فيه الوزيرُ أَبو عامر بن مسلمة أَبْياتاً مطبوعةً مُحكَمَةً وهي : (بسيط)

وسُوسَنٍ راقَ مَرآهُ ومَخْبَرُهُ ✿ وجلَّ في أَعْيُنِ النُّظَّارِ مَنْظَرُهُ
كأَنَّهُ أَكْؤُسُ البِلَّوْرِ قد صُنِعت ✿ مُسَدَّساتٍ تعالى اللهُ مُظْهِرُهُ
وبيْنَها أَلْسُنٌ قد طُرِّفَتْ ذَهَباً ✿ مِنْ بيْنِها قائمٌ بالمِلْكِ تُؤْثِرُهُ
كأَنَّهُ خَلْقُ مِيمٍ في تَعقُّفِهِ ✿ مِدادُهُ ذَوْبُ عِقْيانٍ يُصَفِّرُهُ

وقال صاحب الشُّرْطَةِ أَبو بَكْرِ بن القُوطِيَّةِ يصفه بأَوْصافٍ سَرِيَّةٍ وهي : (رجز)

أَما تَرى الرَّوْضَ حسا ✿ م بيِّنًا نحا إقْليدَسَهْ
فَصوَّرَ السُّوسنَ مِنْ ✿ دائِرَةٍ مُسَدَّسَهْ
مُدْهُنَةً مِنْ فِضَّةٍ ✿ بِتِبْرِها مُلَبَّسَهْ

وَاضِحَـةٌ فَاضِحَـةٌ ✿ صَاحِبَهـا مُدَلِّسَـهْ
إِنْ رَامَ كَتْمَ لَثْمِهَا ✿ وَشَمَّهَا انْظُرْ مَعْطِسَهْ
تَجِدْ بَقَايَا طِيبِهِ ✿ بِأَنْفِهِ مُحْتَبِسَهْ
وَفَوْقَهَا رَقِيبَةٌ ✿ مِنْهَا لَهَا مُحْتَرِسَهْ
نَابِلَةٌ رَامِحَةٌ ✿ سَائِفَةٌ مُتَرَّسَهْ
كَانَ اسْمُهَا نَسُوسُ لَا ✿ كِنْ قُرِئَتْ مُنَكَّسَهْ

(٦٦ ظ) قوله : وفوقها رقيبة يعْني القائمة وسط السوسنة . نابلة ذات نَبْل جعل التي تحدقُ بالرقيبة في أَسفلها نَبْلًا وجعل أَيْضاً منها رماحاً في قوله : رامحة . وسائفة يحتمل أَنْ يجعل الوشائعَ الصُّفْرَ التي حوْل الرقيبةِ سُيوفاً ويحتمل أَن تكون السُّيوف الاوراقَ البِيضَ ومترَّسة ذات تُرْسٍ ولا شكَّ انه من الاوراق البِيض . وقوله : نَسُوسُ اراد مستقبل فعل الساسة وهو مليح فيه معْنى التنويه .

وللفقيه أَبي الحسن بن عليّ فيه أَوْصافٌ حسنةٌ وتشبيهات جيّدة فمنها قوله : (طويل)

أَرى صُفرة السُّوسان فوق بياضِه ✿ كَصَفْوِ مُدامٍ في اناءٍ مُفَضَّضِ
بدا مثل حُقِّ العاج في فرع غُصنه ✿ بأَكْرم ملْبُوس واجمل مِعْرَضِ
ولمَّا دنا وقْتُ النثار تَشَقَّقَتْ ✿ نواويرُه عن حَلْيِ حُسنٍ له نُضي
كذاكَ حِقاقُ الحلْي صَوْنٌ لما حوَت ✿ كِفاتٌ له من خاتِلٍ مُتَعرِّضِ

قوله : نُضي بمعنى جُرِد . كِفاتٌ له أي سِتْرٌ . قال الله عزّ وجلّ « الم نجعل الارض كفاتاً » أي سِتْراً . وخاتِلٌ بمعنى خادِعٌ .

وانشدني أَيْضاً لنفسه احسن تَشْبِيه موصولاً بمدح ذي الوزارتَيْن أَبي عَمْرو عبَّاد ـ حرس الله نفْسه ، كما قدّس غرسه ، ـ وهو : (بسيط)

(٦٧و) كأنما السوسن الدُّري أَلسنةٌ ❀ تُمجِّدُ الله مُجْري التِّبْرِ في غَرْبِهْ
أَندى النواويرِ إِن قبَّلتَ صفحتَه ❀ حباكَ من طِيبه حظًّا ومن ذَهَبِهْ
وما أَرى غيْرَ عبَّادٍ لهُ شَبَهاً ❀ في الحسن والفوْح والمأْثورِ من أَدبِهْ

ومن المُسْتَنْدَرِ المختار أَبْياتٌ كَتَبَ بِها أبو جعفر بْن الابَّار وهي : (كامل)

أَنْعِمْ فقد حَسُنَ الزمانُ وأَحْسَنا ❀ وتبالهت عنْك الخُطوبُ لِتَفْطُنا
أَو ما ترى بُرْدَ الرَّبيع مُفَوَّفاً ❀ يُصْبي العُيونَ بِمُجْتَلَى وبِمُجْتَنَى
والسوسنَ العَبِق الجُيوبِ تخالُه ❀ مِن ناصع الكافور صُوِّرَ أَلْسُنا
حَفَّتْ قُراضاتُ النُّضارِ مُجرَّداً ❀ مِنْهُ أَقَلَّتْها قَصِيراتُ الْقَنا
فكأَنَّما أَوْراقُهُ وكأَنَّهُ ❀ بِيضٌ سُلِلْن لِقَتْل جانٍ قَدْ جنى

المجرّد هو القائِمُ وسْطَ السوسنة . والقُراضات هي النواويرُ الصُّفْر في أَسْفلها وكأَنَّهُ في آخر بيْتٍ كِنايةٌ راجعة الى المجرَّد وهو تشبيه قِويٌّ وتمثيل سرِيٌّ .

ولأَبي جعفر ابن الابار أَيضاً أَبدع تشبيه وهو : (مجتثّ)

كأنَّما السُّوسنُ الْغَضُّ منْظَراً حين يُلْحظْ

فِهْرٌ بِهاوُونِ درٍّ ❀ مُشطَّبٍ قَدْ تَعَضْعَظْ

الفِهْرُ القائِم وسْط السوسنة والهاوُونٍ سائِرها . وتعضْعظ مالَ وعدل .

ولأبي عليّ إدريس بن اليَمانِي فيه أَوصافٌ مستطرفة وتشبيهاتٌ مستظرفة منها قوله : (وافر)

مُمهَّى الحسْنِ مشقوقُ الجيُوبِ ❀ لَهُ وجْهُ البَرِيّ مِنَ الذُّنوبِ

(٦٧ ظ) تفرَّجَ عن مناكبه قميصٌ ❀ تفرُّجَ لَوْعةِ الدَّنِف الكئِيبِ

وقد عُلّتْ عِمامَتهُ بِوَرْسٍ ❀ فقام بِلا خطابٍ كالخطيبِ

على أُنْبُوبِ كافورٍ يَراعٍ ❀ تَضمَّنَ بَطْنُهُ يَنْبوعَ طِيبِ

الممهَى المرقَّق . يقال امهيتُ السيْفَ أُمهِيهِ اذا ارهفْتهُ وجلَوْتَه . وبنَى القِطْعةَ كُلّها على وصْفِ القائِم وسْط السوسنة .

ولأبي عليّ ادريس بن اليماني أَيْضا قطْعةٌ بديعة التَّشْبِيهِ مُوافقة الوصْف لِكلّ ما فيه وهي : (رجز)

وضاحِكٍ كالْفَلَقِ ❀ عَنْ فَلَجٍ في رَوَقِ

على حِفافَيْ مِرْوَدٍ ❀ مُذَهَّبٍ مُنْدَلِقِ

كمُنْتَجٍ مِنْ غَرَقٍ ❀ وخارِجٍ مِنْ نَفَقِ

بَيْنَ اصْفِرارٍ فاقِعٍ ❀ على ابْيِضاضٍ يَقَقِ

كأنَّما كلاهما ✿ في راحةٍ أو طبقِ
بُرادةٌ من ذهبٍ ✿ في ورقٍ من ورقِ

الفلج الفُرجة بيْن الأَسْنان . والروق طولها . والخفافان الجانبان . وعَنى بالمِرْود القائم وسْط السوسنة . والمُنْدلِق الآتي المُنْدفع .

قال أبو الوليد : ولي فيه قطْعةٌ فيها اخْتراعُ تشْبيهٍ وصلْتُها بِمدْح الحاجب ـ حجبه اللّهُ بي عن النّوائب ـ وهي : (مُجْتثّ)

(٦٨ و) وسُوسنٍ يتهادى ✿ لِلأُنْسِ بالرَّاحتيْنِ
نِعْم المُواصِلُ لَوْ لم ✿ يَعُدْ بِنأْيٍ وبيْنِ
كأنَّما خَلْقُهُ الْفَذّ خَسَّةٌ مِنْ لُجَيْنِ
أَوْ أَنْمُلٌ بَضَّةٌ مَّا ✿ تركَّبتْ في يَدَيْنِ
وَبَيْنَهَا حارسٌ لا ✿ يَنامُ طَرْفَةَ عَيْنِ
عَلا وأَشْرَفَ مِنْها ✿ على جَمالٍ وَزَيْنِ
كما عَلا الحاجِبُ الْمُنْتقى على الشّعْرَيَيْنِ
مَلْكٌ بِهِ حالَ دَهْري ✿ بَيْنَ الخُطوبِ وَبيْنِي

قال أبو الوليد

ووقعتْ اليَّ في السُّوسنِ الأَزْرق وهو الخُرّمُ صفات مُحْكَمَةٌ وتشبيهات متقدّمة .

— الخرم —

فمن بديعها ورفيعها قول الوزير أبي عامر بن مسلمة وهو : (متقارب)

أَلَا حبَّذا السوسن الأَزْرَقُ ❀ ويا حبَّذا حُسْنُـهُ المُونِقُ
حكى لَـوْنُهُ لَـوْن فِيرُوزَجٍ ❀ جَرى وسطَهُ ذهبٌ مُشْرِقُ

وللفقيه أبي الحسن بن عليّ فيه أبدعُ اختِراع وأَغْربُ تشبِيه وهو : (خفيف)

لاح لي خُـرَّم الصَّحاري فَراق الـ ـعيْنَ تدبيجُهُ العَجيبُ وورِدُهُ
جـاءَ كالزَّائِرِ المُوافي لِوَعْدٍ ❀ بَعْدَ أَنْ طال بالأَحِبَّة عَهْدُهُ
(٦٨ظ) أَطْلعتْ حُلَّتاه وشْياً وتبراً ❀ زانَ ذا رَقْمُهُ وذا لَازَوَرْدُهْ
أيّ نَصل يَفري الحوادثَ لو دا ❀ م لِجانِيه ماؤُهُ وَفِرنْدُهْ

وله أيضاً فيه قطعةٌ موصولةٌ بِمَدْحِ أبي ـ وقاهُ اللهُ بي ـ وهي : (خفيف)

بَزَّ ثَوْبَ البَهاء والـلَّأْلَاءِ ❀ زَهَرَ الرَّوْضِ خُرَّمُ الصَّحْراء
عافَ ثَوْبَ البَياضِ لَونَ أَخيهِ ❀ وَتَردَّى بِحُـلَّةٍ زَرْقـاء
لِتَراهُ العُيُونُ في حُلَّةٍ يَحْـ ـكِي سَنا نورها أَدِيمَ السَّماء
لو حواها الطَّاؤُوس أَصبَحَ لاشَـ ـكَّ مُهنّا بِمُلْكِ طَيْرِ الهواء
عِـزَّةٌ في طِباعِـه وعُـلُوٌّ ❀ قَـدْ أَنافَ بِـهِ على العَلْياء
كَحَبِيبِ ابْنِ عامرٍ فَهْوَ فَذٌّ ❀ في اقْتِناء العُلَى وَكَسْبِ الثَّناء

ومن التشبيه السنيّ فيه والوصف السرِيّ له قولُ صاحب الشرطة أَبي بَكر بن القوطيَّة وهو : (بسيط)

ومغربِ اللَّونِ في مِسْلاخِ طاؤوسِ ✿ فَيْرُوزَجيّ بِصُنع اللهِ مغروسِ
كأنَّما اختُلِستْ قطعاً غلائِلُهُ ✿ مِنَ الغمائِمِ أَوْ فضلِ الحناديسِ
شَخْتِ المآزر لاذيّ الظَّهائر قد ✿ أَتاكَ يَرْفُلُ في ثوبٍ لَهُ سُوسي
كأنَّه كسْفُ أُفْقٍ ما لَهُ حُبُكٌ ✿ أَولا زورْدٌ أَواذنابُ الطَّواويسِ
كأنَّ رشْحَ سقيطِ الطَّلِّ أَوْسطَهُ ✿ نَضحٌ يَمُدُّ على آثارِ تَدْنِيس
لا زالَ في مَجْلِسي أَنا بِهَيْئَتِهِ ✿ ولا توخَّى اسْمُه شَمْلي ولا كِيسي

إِنَّما عمَّى في البيْتِ الآخر الخُرَّمَ اسْمَهُ دعا أَلَّا يتوخَّى الخُرَّمُ شمله ولا كِيسهُ . (٦٩ و)

قال أَبو الوليد : ولي فيه تَشْبِيهٌ طابَقَهُ وهو : (رجز)

وخُرَّمٍ حُلْوِ الحُلى ✿ يَبْدو لعَيْنَيَّ مَنْ لَمَحْ
تلَوُّناً وَمَنْظَراً ✿ كأنَّهُ قَوْسُ قُزَحْ

قال أبو الوليد

لم يقع إِليَّ في السوسنَيْن غيرُ ما أَوردتُّه . ومن النواوير المشاهير التي كثُر القَوْل فيها والوصْف لها نَوْرُ النَّيْلوفَرِ وأَنا مُودِعٌ بابه ما حصل عندي فيه من المستندَرِ .

— النيلوفر —

من السابق في ميْدان التفضيل الفائق عند أهل التّحصيل قول ذي الوزاتين القاضي الجليل أمـلّه عليّ وهو : (بسيط)

يا حُسن بهجة ذا النَّيْلوفَرِ الأَرِجِ ✿ وطيب مخبرِهِ في الفوح والأَرَجِ
كأنَّهُ جـامُ دُرٍّ في تألُّفِهِ ✿ قد أحكموا وسْطه فصًّا من السبج (١)

ولَهُ - أعزّهُ الله وأذلَّ عِداه - يصفه بوصفَيْن غريبَيْنِ ويُشبّهُهُ بتشبيهَيْن عجيبَيْن في قطعة واحدة وهي : (رجز)

كأنّما النَّيْلوفَـرُ الْـــمستحسَن الغضُّ البَهِجْ
مُقْـلَةُ خَوْدٍ مُلِئَتْ ✿ سحْراً وغُنْجاً ودَعَجْ
أَوْ خاتَمٌ مِنْ فِضَّـةٍ ✿ وفَصُّـهُ مِنَ السَّبَجْ

شبَّه في البيت الثاني بالعيْن في السواد الذي بين بياضه وهو أولى بهذا التشبيه وأحقُّ أن يصاغ فيه من كلّ ما (٦٩ ظ) شُبِّه بالعين من البهار وغيره الذي لا سواد فيه يؤيّد حقيقة تشبيهه وينصر صحّة تمثيله .

ومثل هذا التشبيه المعدوم الشبيه والتمثيل المنقطع المثيـل لو وقع لمشتاق بصناعة الشّعر عاكف على صناعة النَّظم مُجهِد نفسَه فيها مُعانٍ

---

(١) يوجد هذان البيتان في مطمح الانفس للفتح بن خاقان (ط . مصر ١٣٢٥) ص ١٢ . ورواية المطمح في المصراع الأول من البيت الأول « يا ناظرين لذا النيلوفر البهج » وفي المصراع الاول من البيت الثاني « تألقه » بدل « تألفه » .

لمعانيها لاستُغرب غاية الاستغراب واستُعجب نهاية الاستعجاب . فكيف ترى فضلَه وتُعاين نُبلَه وهو لا يعاني هذا ولا يتفرَّغ له . وإنما هو عفوُ سجيَّتِهِ وفيْضُ بديهتِه — صانَ اللهُ لنا حِذقَه كما أَوْجَبَ علينا حَقَّه — .

وقال أَبو عمر يوسف بن هرون الرماديّ يصفه فأَبدع بدَعاً في قطعة جمعت الجزالةَ والرِّقَّةَ معاً وهي : (منسرح)

إذا سَقى اللهُ رَوضَةً مَطَراً ❀ فَخَصَّ بالسَّقْيِ كلَّ نَيْلُوفَرْ
تَسْتُرُ أَوْراقُهُ زُمُرُّذَهُ ❀ لَيْلاً وَعِنْدَ النَّهارِ لا تَسْتُرْ
خافَتْ عليه اللُّصوصَ فاشْتَمَلت ❀ عليه لَيْلاً مِن خوفِ أَن يظْهَرْ
إذا الزَّنابيرُ مِنْ مَغالقِهِ ❀ لَمْ تَتَحَفَّظْ فَبَيْنَها تُقْبَرْ
كَأَنَّ أَجْفانَهُ جفونُ الَّذي ❀ أَهْواهُ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تسهَرْ
كَأَنَّها كُؤُسُ فِضَّةٍ فُرِشَتْ ❀ قِيعانُها بالزُّمُرُّذِ الأَخْضَرْ
تَنْعَمُ في حُسْنِهِ ونَكْهَتِهِ ❀ فَأَنْتَ في مَنْظَرٍ وفي مَخْبَرْ

الزنابيرُ جمع زُنْبُور وهي النحلُ وانما عنى بالبَيْتِ انْغلاقَ (٧٠ و) أوراقه ليلاً وقصد النَّحْلَ دون غيرها لأَنَّ النيلوفَرَ يُسَمَّى قاتِلَ النَّحل لطلبها أَبداً أَكْلَ ما داخِلَ أَوراقِهِ فربّما فعلَتْ ذلك وقْتَ انغلاقِهِ فامتنعت من الخروج .

ولم أَرَ لكلّ مَن صنع فيه وعني بوصفه ذِكْر أَمرِ الزَّنابيرِ إلَّا للفقيه أبي الحسن بن عليّ في قطعةٍ عجيبة أَنشدنيها وهي : (خفيف)

مـا لِنَيْلوفَرِ الحدائِق يَقْظـا م نَ مَعَ النّورِ هاجِعاً في ظَلامِه
أَشْبَهَ الإِنْسَ في تَصَرُّف حالَيْـه وَوَقْتَيْ سُهادِه ومَنامِه
وتوقّيه في الدَّياجي بإِغْـلا م قِ نَواوِيرِه وضَمِّ كِمامِه
لَقَّبُوه بِقاتِلِ النَّحْلِ لَمّا ❀ أَبْصَروا النَّحْلَ مَقصَداً لِسِهامِه
لم يجُرْ في القِصاصِ إذ ذلكَ لِصٌّ ❀ سارِقٌ بالنَّهارِ شُهْدَ خِتامِه

وللوزير الكاتب أَبي الاصبغ بن عبد العزيز في انْغِلاقِهِ تَشْبِيهٌ دقِيقٌ وتمثيلٌ أَنيق وهو : (متقارب)

ونَيْلوفَـر فاقَ في فَضْلِه ❀ صُنُوفَ النَّواويرِ مِنْ مِثْلِهِ
وفاتَهُـمُ بالَّذي حازَهُ ❀ كما قَصَّر الكُلّ عَنْ نَيْلِهِ
يُبِيحُ نَهاراً لِزُوّارِهِ ❀ مُحيًّا يُرَغِّبُ في وَصْلِهِ
ويَمْنَعُ باللَّيْلِ مِنْ وَجْهِهِ ❀ لِيَأْخُذَ بالحَزْمِ في فِعْلِهِ
كبائِعِ عِطْرٍ بِحانُوتِهِ ❀ ضِياءَ النَّهارِ إِلى لَيْلِهِ
فإِنْ جاءَهُ اللَّيْلُ أَفْضى بِهِ ❀ إِلى سَدِّهِ وإِلى قَفْلِهِ

(٧٠ ظ) وأَنشدني لنفسه فيه الوزير أبو عامر بن مسلمة أَبياتاً رائقة تضمَّنت أوصافاً رائعةً موصولةً بمدح الحاجب ـ لا أَعْدمنا الله جاهَه كما أعدمنا اشباهَه : (سريع)

يا حَبَّذا النَّيْلوفَرُ الطَّالِعُ ❀ ومُجْتَلاهُ النَّاضِرُ النَّاصِعُ
كأَنَّهُ مَخْزَنَةٌ مِنْ مَهًى ❀ في وَسْطِها زُمُرُّذٌ ساطِعُ

وحَـوْلَـهُ أَلْسِنَـةٌ سِتَّـةٌ ✿ مِنْ فِضَّةٍ أَتْقَنَهـا صـانِـعُ
كلّ لِسـان أَبْيَـضٌ ناصِـعٌ ✿ والطَّـرْفُ مِنْه أَصْفَـرٌ فاقِـعُ
قامَ على خَضْراءَ مِنْ سُوقِـهِ ✿ فَـكلّ إِبْرِيق لَهُ راكِـعُ
ركُـوعَ أَمْـلاكِ الوَرى لِلَّذي ✿ نَداهُ دانٍ والحيا شاسِـعُ
ذاكَ ابْنُ عَبَّادٍ سَلِيـلُ العُلى ✿ الحاجِبُ المُرْتَفِـعُ الرَّافِـعُ
دامَ دَوامَ الدَّهْـرِ في عِـزَّةٍ ✿ تَبْقى ويَبْقى الحـاسِدُ الخاضِـعُ

وللفقيه أَبي الحسن بن عليّ في تشبيه لَـوْنَيْهِ وصفٌ مُتَناهٍ ليس له مُوازٍ ولا مُضاهٍ وهو : (بسيط)

كأَنما زَهرة النَّيلوفَر اخْتَلَسَتْ ✿ قِطْعاً من اللَّيل قد حفَّ الصباح بهِ
فالنُّور منقطعٌ عن جزم عُنْصُرِه ✿ واللَّيْلُ مُمْتَنعٌ مِن حكمْ غَيْهَبِه
فِعْلٌ أَشْتَتْهما مِن أَصْلِ طَبْعِهِما ✿ ما ذا تأَلَّفَ مِن شَمْلِ الجمالِ بهِ

ولصاحب الشُّرْطَة أَبي بكر بن القُوطِيَّة في جميع أحواله وصْفٌ أَعرب عن كماله وهو : (رجز مشطور)

(٧١ و) وذاتِ جِسْمٍ كاللُّجَيْنِ المُنْسَبِكْ
مُبَيَضَّةَ الأَثْوابِ مِنْ نَسْجِ الـبِرَكْ
خُضْرٌ سَراوِيلاتُهـا خُضْرُ التِّـكَكْ
كَأَنَّما الـعَنْبَرُ فيهـا قَدْ فُـرِكْ
والمِسْـكُ في قِيعانِهـا امْتَسَـكْ

نَاسِكَةٌ نَهارَها مَعَ النُّسُكْ
حتَّى إذا اللَّيْلُ تَدانَى واشْتَرَكْ
وآنَ أنْ يَأْتيَ المُحِبُّ المُنْهَتِكْ
غَلَّقَتِ البابَ وقالَتْ هيتَ لَكْ

ومن السِّحْر المُنْتحَلِ والكلام المُنْتخَلِ في حالاتِهِ كلِّها وصفاتِهِ بِأسْرِها ما أَنْشَدَنيه لِنَفْسِه أبو جعفر بن الابّار مَوْصُولاً بمدحِ ذي الوزارتَيْن القاضي ـ أَدام اللهُ أَيَّامَهُ وأَسبغ علينا أَنعامَه ـ وهو : (منسرح)

وناصِعِ اللَّوْنِ أَسْوَدِ الحدَقَهْ ❁ جُفُونُهُ بالعِشاءِ مُنْطَبِقَهْ
كَذي دَلالٍ لم يَسْتَطِعْ أَرَقاً ❁ فَنامَ والنورُ واصل أَرَقَهْ
هامَ بِهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ مَعاً ❁ فَصَدَّ عَنْ ذا وَخَصَّ ذا مِقَهْ
لا تَمْتَروا في الَّذي تَضَمَّنَهُ ❁ تِلْكَ سُوَيْداءُ قلبِ مَن عَلِقَهْ
نَيْلُوفَراً أَحْكَمَتْ بَدائِعُهُ ❁ لا يَحْتَوي خُلْقَهُ ولا خَلَقَهْ
(٧١ ظ) طاهرُ ثوبٍ كأَنَّ خالقَهُ ❁ من عِرضِ قاضي القضاة قد خَلَقَهْ
سَليلُ عَبّادٍ الَّذي حَشَمَتْ ❁ مِنْهُ وُجُوهُ السَّحائبِ الغدقَهْ
المَجْدُ أُفْقٌ غدا لَهُ قمراً ❁ والحَقُّ حُقٌّ حَوى بِهِ طَبَقَهْ

ومِمَّا يُشاكِلُ هذا بداعةً ويشبهُهُ بَراعة قوله أيضاً فيه موصولا بمدح ذي الوزارتَيْن أبي عَمْرو عَبّادٍ ـ أَعزه اللهُ وأَحْسَنَ ذِكْراه ـ وهوَ : (متقارب)

إِذا النَّوْرُ خُصَّ بِمَدْحٍ فما ❁ لِنَيْلُوفَرِ الرَّوْضِ لا يُعْبَدُ
وأَوراقُه كَعْبَةٌ مِن لُجَيْنٍ ❁ تَوَسَّطَها الحَجَرُ الأَسْوَدُ
تَوَسُّطَ عَبَّادٍ المُرْتجى ❁ لظى الضَّربِ والحربِ إِذ تُوقَدُ
هُمامٌ إِذا هَمَّ أَضْحَتْ له ❁ مُتونُ الظُّبي والقَنا تُرْعَدُ
إِذا شِئْتَ وِجْدانَ أَفْضالِهِ ❁ وجَدتَّ وَشَرْواهُ لا يوجَدُ

قوله : وشرْواه الشَّروى المِثْلُ .

وأَنْشَدَني أيضاً لنفسه في تشبيه خَلْقِهِ وخُلْقِهِ بَيْتَيْنِ سَرِيَّيْنِ وهما : (منسرح)

كأَنَّ نيْلُوفَرَ الرِّياضِ إِذا ❁ ما اللَّيلُ أَدْجى أَوهمَّ أَن يُدْجي
رَوَّضَةٌ بَضَّةٌ مُنعَّمةٌ ❁ تَضُمُّ طِفْلاً لها مِنَ الزَّنْجِ

ومما شُبِّه أَيضاً فيه أَسْوَدُهُ بالزَّنجِيّ قولُ أَبي القاسم البَلِّيّ وهو تَشْبيهٌ مُفَضَّلٌ لَهُ مستحسن منه وهو : (خفيف)(١)

ونَيْلُوفَرٍ غَدا يُخْجِلُ الرَّا م ني إِلَيْهِ نَفاسَةً وغَرابَهْ
(٧٢و) كمليكِ الأُحبوشِ في قبة بيـ ـضاءَ يَرنو الدُّجى فيغلقُ بابَهْ
جِنحُ لَيْلٍ لما تَجَسَّمَ شَخْصاً ❁ قدَّ مِن صَفْحَةِ الضُّحى جِلْبابَهْ

الأُحْبُوش لُغَةٌ في الحَبَش .

قال أَبو الوليد : ولي في لونيه وصف ربما طابق وتمثيل عساه وافق وهو : (مجتث)

(١) في مبتدأ البيت الاول خرم .

ورَوضةٍ رَضِيَتْ عَنْ ❁ صوبِ الحيا المُستَمِرِّ
فأظْهَرتْ نَوْرَ نيلُو ❁ فرٍ منيرٍ أغَرِّ
كمَخْبَرٍ مِنْ لُجَيْنٍ ❁ فِيهِ بَقِيَّةُ حِبْرِ

قال أبو الوليد : قد اكملْتُ من النواوير ما وقعَ إليَّ فيه الوَصْفُ الكثير وبقيت نواوير وقعت إليَّ فيها أوصافٌ يسيرةٌ وقِطَع قليلة ولكنّي أذكرها على عِلّاتها وأُورِدُ منها ما حسُنَتْ تشبيهاتُه وجادت صِفاته فمنها نوْرُ اللوز .

— نور اللوز —

كاد أن يكون أبكَرَ النَّواوير وأوّل الازاهير ولم اعامِلْه بالتأخير إلّا لقلّة الوصْف له والقول وذلك كلّ ما ياتي ممَّا يبكّرُ وانما (عَرَضَ) له التأخير من أجْلِ قِلَّةِ القَوْل فيه والتشبيه له . فممّا(١) استُحْسِنَ في نَوْرِ اللَّوْز قِطْعَةٌ فائقَةُ الوَصْفِ رائقَةُ الرَّصْفِ أنْشدنيها لنفسه صاحب الشرطة أبو بكر بن القوطيَّة موصولة بمدح ذي الوزارتين أبي عمرو عبَّادٍ أعزَّهُ الله (بسيط)

(٧٢ظ)وأبيضِ اللَّونِ ذفليّ غلائله ❁ عَلَيهِ مِن نَسْجِ كانونَيْنِ أبرادُ
يقُولُ مُبْصِرُه سُبْحانَ فاطِرِه ❁ كيف استقلّت بهذا الحسن أفرادُ
يزورُ والنَّوْرُ لم تَفْتحْ كمائمُهُ ❁ ولا تقدَّمَهُ لِلزَّوْرِ ميعادُ

(١) في الاصل : فمن .

كأنَّهُ رائدٌ أو طالِعٌ نُجُداً ❀ أو قائدٌ وصُنُوف النَّوْرِ أجْنادُ
تُشبَّه الخوخُ في حُسن النوَّارِ به ❀ يا قوْمُ حتَّى من الاشجار حُسَّادُ
نورٌ حَوى قَصَبَ المضمار منفرداً ❀ كما حوى قصباتِ السَّبْقِ عَبَّادُ
الطَّاعِنِ الخيلَ قُدماً والقنا قَصِدٌ ❀ والسيف منقصف والرُّمْحُ مُنْآدُ
والموقد النَّار جوداً للضُّيوف وقد ❀ جف المَراد وخف الرحلُ والزادُ

وللوزير أبي عامر بن مَسْلَمَة فيه أَبْياتٌ حسنةُ السَّبْكِ جيّدة الحبك وهي : (سريع)

يا زَهَرَ اللَّوْزِ لَقَدْ فُقْتَ في الْـإحْسانِ والحُسنِ فأنْتَ البَديعْ
قد حُزْتَ حُسْنَيْنِ وحازَت نوا ❀ وير الرُّبى حُسناً فأنتَ الرَّفِيعْ
تَعْلُو بهارَ الرَّوض حُسْناً فَقَدْ ❀ أصبحْتَ مخصوصاً بحُبّ الربيعْ
قَدْ أَمَّكَ الوُصَّافُ إذ شَبَّهُوا ❀ غَيْرَكَ بالخدّ وجارَ الجَمِيعْ
.... كالمَشْرَب في خَمْرَةٍ (١) ❀ مَنْ يَرَهُ أصْبَحَ لا يَسْتَطِيعْ
.... قُلْتُ إذا عايَنُوا ❀ جمالَكَ النُّورَيْنِ عِنْدَ الطُّلُوعْ
...... النَّواوِيرَ اغْتِلاءً فما ❀ في زَهْرِها غَيْرُ سَمِيعٍ مُطِيعْ

قال أبو الوليد

وقع إليَّ في نَوْرِ الأُقحوان (٧٣و) قطع تستولي على ميدان الاحسان أنا ذاكرٌ جُملَتَها ومُورِدٌ جميعها .

---

(١) بياض في الاصل .

— الاقحوان —

قال أبو الوليد : أنشدني لنفسه فيه الوزير أبو عامر بن مسلمة بيتين بديعين في التمثيل رفيعين في التّشبيه وهما : (سريع)

وأُقحوانٍ راقَني نَوْرُهُ ❁ إذ ظلَّ يرنو بعيُون حسانْ
كأنَّهُ مُدْهُنَةٌ مِنْ مَهًى ❁ محكمَةٌ في وَسطها زَعْفرانْ

وللفقيه أبي الحسن بن عليّ فيه قِطْعَةٌ معجِبَة تضمَّنَتْ أوصافاً مغربةً موصولةً بمدح ذي الوزارتين القاضي ـ أطال الله بقاءه وادام في درج العزّ ارتِقاءه وهي : (طويل)

إذا مُيِّزَتْ أَنْوارُ كلّ خَمِيلَةٍ ❁ فَنورُ الأَقاح الغَضّ منها ثغورها
تألَّفْنَ دُرًّا فوق أغصان سُنْدُس ❁ ونكْهَةَ طِيب بالصَّبا تستَثِيرُها
شكت قَضَفاً بيْنَ النَّواوير فاتَّقَت ❁ وجاءَت إلى غُدْرانِها تَسْتَجيرُها
بنُور ابن عبَّاد أضاءَت وأشرَقَتْ ❁ ومن وجهه السَّامي تألَّف نورها
ولَوْ أمَّلَتْهُ واسْتَجارَتْ بِقُرْبِهِ ❁ لَذلَّ مُناويها وَعزَّ نَصيرُها

قوله : شَكَت قَضَفاً القَضَفُ الرّقّة . وهو تمليحٌ مليحٌ في صحبتِها الغُدُر ور بما كانت في غيْرها .

ومن المستطرف المستظرف قوله : (مُجْتَثّ)

كأنَّ نَوْرَ الأَقاحي ❁ دُرٌّ تَضَمَّنَ عَسْجَدْ
أو لُؤْلُؤٌ حَوْلَ صُفْرٍ ❁ مِنَ اليَواقِيتِ نُضِدْ

(٧٣ ظ) وقد بدا في غُصُون ❀ مُخْضرَّة كالزَّبَرْجَدْ
تُهْدي لكَ المِسْكَ فَوْحاً ❀ مَعَ الأَصائلِ والنَّدْ
يَزيدُهُ اللَّحْظَ حُسْناً ❀ والعَيْنُ نوراً مُجَدَّدْ

ومن السابغ بُرد كماله، السائغ ورد جماله، قول أبي جعفر بن الابار في بِركَةٍ على جوانبِها أُقحوانٌ وهو : (منسرح)

وبِركَةٍ بالأَقاحِ مُحْدَقَة ❀ تخالُ رِيحُ الصَّبا بِها صَبَّهْ
يَحُلُّ فيها الحبابُ حُبْوَتَهُ ❀ إذا جَرَتْ للصَّبا بِها هَبَّهْ
كأَنَّها راحَةٌ بِها غَضَنٌ ❀ حَفَّتْ مِن الدُّرّ حَوْلها لَبَّهْ

شبَّه تكسُّر الماء براحة وهي الكفّ فيها غَضَنٌ والغضَنُ التَّشَنُّجِ والتكسُّر . وشَبَّهَ ابيضاضَ الأُقحوانِ واتّصالَه وإحداقَهُ بالبركة بلَبَّةِ دُرّ . واللَّبَّة العقد العالي سُمِّي بموضعه من الصَّدْر .

ولأَبي القاسم البَلَمِيّ فيه تشبيهٌ حسنٌ أنشدنيه وهو : (خفيف)

راقَ عيْنَيَّ منْظَرُ الأُقحُوانِ ❀ بِنَفيس اللُّجَيْنِ والعِقْيانِ
كفُّهُ بالجبيبِ سَوَّكَ فاهُ ❀ بعدعُودِ الأَراكِ بالزَّعفرانِ

قال أبو الوليد : ولي في بِركَةٍ عليها أُقحوانٌ تشبيهٌ تضمَّنه بيتان وهما : (متقارب)

(١) .... بالثَّرى صَيْرَفيٌّ لَهُ ❀ نُطُوعٌ مِن اللاَّزَوَرْدِ البَديعْ

---

(١) بياض في الاصل .

(٧٤ و) . . . . ب فيه مِن الأُقحوا ❀ ن درهمٌ مِن ضرب كفٍّ الربيعْ

هذا ما عثرتُ عليه وانتهيْتُ باجتهادي إليه في نَوْر الاقحوان من التَّشبيهات الحِسان .

وحين أَكملتُهُ أُورِدُ ما وقع إليَّ من المستندَر في الشَّقِرِ .

— الشقر —

ويُسمَّى شقائِقَ النُّعمان وسأَذكُرُ ما رأَيتُ مِن التَّشبيه في هذا الباب إن شاء الله .

فمن جيّدِ التشبيه فيه وحُسْن التمثيل له قول الفقيه أبي الحسن بن عليّ موصولا بمدح ذي الوزارتين القاضي ـ كبتَ الله أعداءَهُ وأدلّ عليهم إعداءه ـ وهو : (بسيط)

إنَّ الشَّقائق مِن حُمرِ الخدود قد اشـــــتقَّت ومسْودُّها من حالك اللّممِ
كأنها في المُروجِ الخضرِ أَبْنِيَةٌ ❀ حمرٌ قد اصطُلمت من قانئ الأدمِ
يابْنَ الّذي قد حَماها في منابِتِهـا ❀ فلم تَزل في حِمىً مِنْهُ وفي حَرَمِ
مَعْرُوفَةٌ باسْمِه في كلّ مُطَّلعِ ❀ مَحفُوظَةُ المُنْتَهى مَرْعِيَّةُ الذّمِمِ
جدِّدْ لها من وكيد العهد حُرمتَها ❀ وصِل لها مُحدَثَ الاكرام بالقِدمِ

قوله : يابن الذي قد حماها يخاطب ذا الوزارتين القاضي ـ أعزه الله ـ لانه ابن النعمن الملك الذي نُسبِتْ إليه الشقائِقُ وجاء في الخبر قال :

خرج النعمن يوماً فمشى حتّى انتهى إلى الظُّهر وقد اعتَمَّ بِنَبْتِه مِن أَحْمَرَ وأَصْفَرَ وإذا فيه من هذه الشقائق شيءٌ لم يُرَ مثلُه . فقال : احموها فحَمَوْها فَسُمِّيَتْ شقائق النعمان بذلك حكى هذا أبو حنيفة ورفعه إلى أعْشَى (قيس الذي)(١) (٧٤ ظ) كان حاضِرَ النعمان يومئذ .

وله أيضاً فيه أبياتٌ عجيبةٌ ضمَّنها هذا المعنى وهي : (خفيف)

أصبَحَتْ طُلَّعُ الشَّقائِقِ نَهْباً ❀ لِجُنـاةِ الـوَرى بِكلِّ طَريـقِ
لَوْ أُعيـدَ النُّعْمَنُ حَيًّا لَراعى ❀ غيْرَ وانٍ لهـا مضاع الحقُوقِ
وكأنَّ السَّـوادَ فيهـا غـوال ❀ بُسِطَت في مَداهنٍ من عَقيقِ
أوْ نَثيرٌ من طَيِّب المسك محضٌ ❀ صُبَّ بالعَمد في كؤوس الرَّحيقِ

ومن الصِّفات السَّنيَّةِ المحكمةِ قول الوزير أبي عامر بن مَسْلَمَة وهو : (خفيف)

يا نَديمي قُم اصْطَبِـحْ ❀ وعلَى العُودِ فاقْـتَرِحْ
إنَّمـا العَيْشُ بالـسَّما ❀ عِ وبالنَّـأْيِ والقَدَحْ
وتَأمَّلْ حُسْنَ الشَّقـا ❀ ئِقِ تَنْشَطْ إلى المدَحْ
مِثْلَ كَأْسِ العَقيقِ في ❀ قاعِهِ المِسْكُ يُلْتَمَحْ

ومن الصِّفات المسْتَحْسَنَة فيه قول صاحب الشرطة أبي بَكْر بن القوطيَّة وهي : (رجز)

---

(١) بياض في الاصل .

وحالكِ اللَّوْنِ كَلَوْنِ المِسْكِ ❀ كأنَّما أحداقُهُ مِنْ سُكِّ
مُدَّرِعٍ ثَوْباً دقيقَ السِّلْكِ ❀ كأنَّما صِباغُهُ بالدَّكِّ
أَزْرَى بلَوْنِ الوَرْدِ لو ما يَحكي ❀ نَسيمُهُ كانَ بِغَيْرِ شَكِّ
ما بَيْنَ أَنْوارِ الرُّبى كالمَلْكِ

قال أبو الوليد : ولي فيه بيتان رُبَّما انفردا بتَشْبيه وهما : (طويل)

رِياضٌ يُحَيِّيها الحيا بانْسِكابِهِ ❀ فتَسْفِرُ للنُّظَّارِ عن مَنظَرٍ نَضِرِ
. . . تْ فيها الشَّقائِقُ خِلْتَها ❀ شعورَ العذارى لُحِنَ في الخُمُرِ الحُمْرِ [1]

. . . . . .[2] الشَّقائِقِ على غَيْرِها أَوْرَدتُّ ولا وجدتُّ في وصفها سِوى (٧٥ و) ما ذكرت .

ووقَعَتْ إليَّ في نَوْرِ الباقِلاءِ صِفاتٌ جَيِّدَةٌ وتشبيهاتٌ حسنَةٌ أذكرها بأَسْرِها وأُوردُ جميعَها .

— نور الباقلاء —

فمن بديع ما قيل فيه ورفيعِ ما شُبِّهَ به قول صاحب الشرطة أبي بكر ابن القوطيَّة وهُو : (خفيف)

وبَناتٍ لِلْباقِلاءِ تَبَدَّتْ ❀ كعُيونٍ تَفَتَّحَتْ مِن رُقادِ
فَبَياضٌ مِنها مكانَ بَياضٍ ❀ وسَوادٌ مِنها مكانَ سَوادِ

(١) بياض في الاصل . لعل النص : « اذا نورت » . — (٢) بياض في الاصل .

وقال أبو جعفر بن الابّار يصفه في قطعَة موصولة بمدح أبي ـ أطال الله لي عُمْرَه ، ورزقني بِرَّه ، فاستكمل الصِّفاتِ بِأَبْدَعِ تشبيهاتٍ وأرفع تمثيلاتٍ والقِطْعَةُ : (رجز)

وباقِلاءٍ باقِلٍ ❁ يُعْجِبُ حُسناً من رمقْ
كأَنَّما نُوَّارُهُ ❁ إِذْ راقَ خَلْقاً وخُلُقْ
أَذْقانُ بِيضٍ غُلِّقَتْ ❁ لِمُبْصِرٍ ومُنْتَشِقْ
أَوْ أَعْيُنٌ حُورٌ جَرَتْ ❁ إِلى مَآقِيها الحَدَقْ
وهُدْبُها مُسْتَنْبِطٌ ❁ في وَرَقٍ مِنَ الوَرِقْ
أَوْ جِنْحُ لَيْلٍ بَقِيَتْ ❁ مِنْهُ بقايا في فَلَقْ
أَوْ سَبَجٌ في دُرَرٍ ❁ أَوْ ثُنَنٌ بِها بَلَقْ
كأَنَّ لِلْمِسْكِ بِها ❁ مَشْقاً بُنَيَّاتِ طُرُقْ
وعَرْفُهُ مُعَرِّفٌ ❁ بِأَنَّهُ فِيهِ فُتِقْ
(٧٥ ظ) كأَنَّ جُلَّ عامرٍ ❁ مِنْ خلْقِه طِيباً خُلِقْ
مَلْكٌ إذا صالَ عفا ❁ حِلْماً وإِن سيلَ اندفَقْ
إِنْ بَخِلَ الغَيْثُ سَخا ❁ أو عَنَفَ الدَّهْرُ رَفَقْ

قوله : جرتْ إِلى مآقيها الحَدَقْ بديعٌ غريبٌ لأَنَّ السَّوادَ الذي جعله حَدَقَةَ العَيْنِ هو في ناحيةٍ من النَّوْر وليس مُتَوَسِّطاً له . فكأَنَّ الحدَقَةَ قد جرت إلى الماق وهو طرف العين مِمَّا يلي الأَنفَ . وهُدْبُها

مستَبْطِنُ البيْتَ وهو مما أكمل به الوصف وتمم التشبيه لأن في الورقة التي ظاهِرُها تلك الصفة المتقدّمة خُطُوطاً سُوداً جَعلَها هُدْباً لِتلْكَ العيون وهي التي عنى بقوله: كأَنَّ المسْك به مَشْقاً بنيات طُرُق. وقوله: أَو ثُنَنٌ بها بَلَق جمع ثُنَّةٍ وهي الشَّعر التي يكون على مؤخّرِ الرسغ.

قال أبو الوليد

ولي فيه تَشْبِيهٌ رُبَّما يُوافق وتمثيلٌ كأَنَّهُ يطابق وهو: (طويل)

أرى الباقَلاءَ الباقِلَ اللون لابِساً ✿ بُرودَ سَماءٍ مِنْ سَحائِبِها غُذي

ترى نَوْرَهُ يلْتاحُ في ورقاتهِ ✿ كَبُلْق جِيادٍ في جِلال زُمرُّذِ(١)

ودخلْتُ بُسْتاناً لي مع الفقيه أبي الحسن بن عليّ وكان بها باقلاء قد نَوَّر فأَخذ من نَوْرِهِ وصنع مِصراعاً وسألني إجازَتَهُ ففعلْتُ وزِدتُّ بيتاً آخر. ومصراعُهُ: (رمل)

سبَجٌ في كأْسِ دُرّ

أَوْ كُسُوفٌ وسْطَ بَدْرِ

وزيادتي:

أَوْ غَوالٍ في لآلٍ ✿ أَوْ غشاءٌ بَيْنَ فَجْرِ

ووقعت إِليَّ أيضاً في الباقلاء بعينه قِطَعٌ مُستطرفةٌ وأوصاف (٧٦ و) مستظرفة تشبَّهت بالنَّوْر فرأيتُ ذِكْرَها فمنها وصف الوزير أبي عامر بْن

---

(١) يوجد هذان البيتان في نفح الطيب للمقري ج ٢ ص ٢٩٠.

شهيد ـ رحمه الله ـ في قطعة بديعة بزيعة مطبوعة مصنوعة وهي : (منسرح)

إِنَّ لآلِيكَ أحْدَثَتْ صَلَفا ✿ فاتَّخَذَتْ مِنْ زُمُرُّدٍ صَدَفا
تَسْكُنُ ضَرَّاتُها البُحورَ وذي ✿ تَسْكُنُ للحُسْنِ رَوْضَةً أُنُفا
هامَتْ بِلحْفِ الجِنانِ فاتَّخذتْ ✿ مِنْ سُنْدُسٍ في جَنانِها لُحُفا
تَثْقُبُها بالثُّغُورِ من لطَفٍ ✿ حَسْبُكَ مِنَّا بِبِرِّ مَنْ لَطُفا
أُكلُ ظريفٍ وطُعْمُ ذي أدبٍ ✿ والفُولُ يَهْواه كلُّ مَنْ ظَرُفا(١)

وقال لي الفقيهُ أبو الحسن بْن عليّ : رأيتُ في يدِ صَديق حَبَّةَ باقلاء شَديدةَ سَوادِ القِشْرِ وكلَّفني وصْفَها فقُلْتُ بَديهَةً : (مُنْسرح)

فَصٌّ مِنَ العاجِ حُقُّهُ سَبَجُ ✿ مُمْتَزِجٌ بالجمالِ مُزْدَوِجُ
فيهِ سَوادٌ يَزِينُ غُرَّتَهُ ✿ كَأَنَّهُ مُقْلَةٌ بِها دَعَجُ
يُؤْثَرُ رَطْباً ويابِساً أبَداً ✿ ويَشْتَهي النَّفسَ فَوْحُهُ الأَرِجُ

وأخْبَرَني أيضاً قال : طالَعْتُ بُسْتاناً لي بِغَرْبيّ قُرْطُبَةَ وكان فيه باقِلاء فَجَعَل بعْض الغِلْمانِ يُنَقّي منه وَيناولُني فَقُلْتُ : (منسرح)

رِيمٌ سَبا مُقْلَتي تَوَرُّدُهُ ✿ يَسُلُّ سَيْفَ الهَوَى ويُغْمِدُهُ
جارَ على جَرْجَرٍ فَخَرَّبَهُ ✿ وظَلَّ مِنْ قِشْرِهِ يُجَرِّدُهُ
وكلَّما ابْتَزَّ ثَوْبَ واحِدَةٍ ✿ مِنْها حَبَّتْني بِحَبِّها يَدُهُ

---

(١) وردت هذه الابيات في نفح الطيب للمقري (ط. ليدن) ج ٢ ص ١٦٤ . في البيت الثالث : « الجبال » مكان الجنان . ورواية البيت الرابع :

شبهتها بالثغور من لطف ✿ حسبك هذا برمز من لطفا

فَقُلْتُ مُسْتَظْرِفاً لِفِعْلَتِهِ ❀ وزادَ في نُبْلِهِ تَعَمُّدُهُ
كلاكما لا عَدِمْتُ حُسْنَكُما ❀ يَنْشَقُّ عَنْ لُؤْلُؤٍ زَبَرْجَدُهُ
فارْتابَ بي وانْثَنى على خَجَلٍ ❀ وحَبُّهُ ساقِطٌ يُبَدِّدُهُ

(٧٦ ظ) قَوْلُهُ: جارَ على جَرْجَرِ الجَرْجَرِ لُغَةٌ في الباقِلاءِ. وقوله: يَنْشَقُّ عن لُؤْلُؤٍ زَبَرْجَدُهُ فاللُّؤْلُؤانِ مِنْ هذا وهذا الحَبّ والثَّغْرِ والزَّبَرْجَدانِ مِنْهُما القِشْرُ والشَّارِبُ الأَخْضَرانِ. وفي هذه القطعة من جَيِّدِ الصِّناعَةِ وحُسْنِ الصِّياغَةِ ما يُعْجِبُ النَّاظِرَ ويُعْجِزُ الخاطِرَ.

قال أبو الوليد

وفي بَزْرِ الكَتَّانِ أوصافٌ موسومةٌ بالاحسانِ انا ذاكِرُها إِنْ شاءَ اللهُ.

— نور الكتان —

قال أبو جَعْفَر بن الابَّار يصفه بِوَصْفٍ نادر مختار وهو : (مجتثّ)

وبزر كتّانَ أَوْفى ❀ بِكلّ وَهْدٍ ونَجْدِ
كَأَنَّهُ حينَ يَبْدو ❀ مَداهِنُ اللَّازَوَرْدِ
إذا السَّماءُ رَأَتْهُ ❀ تَقولُ ذا من فِرِنْدي

قال أبو الوليد: ولي فيهِ قِطْعَةٌ: (منسرح)

كَأَنَّ نَوْرَ الكَتَّانِ حينَ بَدا ❀ وقد جلا حُسْنُهُ صَدا الأَنْفُسْ
أكُفُّ فَيْروزَجٍ مَعاصِمُها ❀ قَدْ سَتَرَتْهُنَّ خُضْرَةُ المَلْبَسْ

أوْ لا فُزْرُقُ الياقوتِ قد وُضِعت ❀ على بِساطٍ تَروقُ مِنْ سُنْدُسْ

ووقعَ إليّ في نَوْرِ الغالبة وصفٌ حَسَنُ الذِّكْرِ أذكُرُهُ لِئلَّا أدَعَ مُسْتَحْسَناً أجِدُهُ .

— نور الغالبة —

قال الوزير الكاتب أبو القاسم بن الخرّاز يصِفُهُ فأحْسَنَ وأغْرَبَ وأبْدَعَ وأَعْجَبَ وهو : (بسيط)

وَرَختجيّ سَحابيٍّ قَوائِمُهُ ❀ خُضْرٌ حَكى ياسميناً في تَفَتُّحِهِ

تَميسُ قُضْبانُها والرّيحُ تعطفُها ❀ مَشْيَ النَّزيفِ تَهادَى في تَرَنُّحِهِ

كأنَّ أوراقَهُ في حُسْنِ خُضرتها ❀ مِنَ الزُّمُرُّذِ أسْناهُ وأمْلَحِهِ

(٧٧ و) . . .(١)سط في الانهار مَنبتَه ❀ فَفازَ بالْعَرْفِ في . . . .(٢) حِهِ

وغالَبَ النَّوْرَ حتّى قِيلَ غالِبَةٌ ❀ فَحَسْبُهُ غالِباً كافى مُرَشّحِهِ

قال أبو الوليد : ووقع إليّ في نَوْرِ الرُّمّان قِطْعَتانِ حَسَنَتانِ ولمْ يتأخَّر عن غيره إلا بِتأخُّر وقْته وإبطائِهِ عن أوانِ نُظرائِهِ .

— نور الرمان —

فمن التشبيهات العُقْم فيه قول أَبي القاسم بن هانِئ الاندلُسيّ في كِمامَةِ نُوّارةٍ سَقَطَتْ منه وهو : (رجز)

---

(١) بياض في الاصل . — (٢) بياض في الاصل .

وبنت أيك كالشباب النضر ❀ كأنها بين الغصون الخضر
جنان باز أو جنان صقر ❀ قد خلفته لقوة بوكر
كأنما مجت دماً من نحر ❀ أو سقيت بجدول من خمر
لو نبتت في تربة من جمر ❀ لو كف عنها الدهر صرف الدهر
جاءت بمثل النهد فوق الصدر ❀ تفتر عن مثل اللثات الحمر
في مثل طعم الوصل بعد الهجر[1].

ومن التشبيهات الأنيقة والتمثيلات الدقيقة قول أبي جعفر بن الابار في كمائم هذا النوار وهو : (منسرح)

أعجب بأيك الرمان حين بدا ❀ نواره المحتوي مدا السبق
مثل أكف الدمى محناة ❀ أو كبنان الحمائم الورق
أو كحقاق تفتحت فبدت ❀ غلائل وسطها من البرق

— الجلنار —

وللوزير أبي عامر بن مسلمة في وصف الجلنار أبيات بديعة رفيعة المقدار وهي : (منسرح)

وجلنار بنوره يزهر ❀ أوراقه فتنة لمن أبصر
(٧٧ظ) قد شبه الورد في تضاعفه ❀ وقارب اللون حلة العصفر

(١) توجد هذه الابيات في ديوان ابن هانئ الاندلسي (ط. زاهد علي) ص. ٣٢٩ .

مِثْلَ ثِمارِ الرُّمانِ زاهِرَةً ❁ لَكِنَّهُ مَنْظَرٌ بِلا مَخْبَرْ

قولُهُ : منظرٌ بِلا مَخْبَرْ أراد أَنَّهُ لا يَعقِدُ كما يعقِدُ نَوْرُ الرُّمان .

قال أبو الوليد : ولي فيه قِطْعَةٌ رُبَّما وافَقَتْ صِفَتَهُ وطابَقَتْ هَيْئَتَهُ وهي : (مُجْتَثّ)

وَجُلّنارٍ تَبَدَّى ❁ يَخْتالُ في جُلِّ نارِ
أَحْلى حُلىً من جميع ❁ الأَنْوار والأَزْهارِ
حكى خدود العذارى ❁ قد شُرِّبَتْ باحْمِرارِ
وخُمِّشَتْ بِأَكُفٍّ ❁ الأَلحاظ والأَبْصارِ

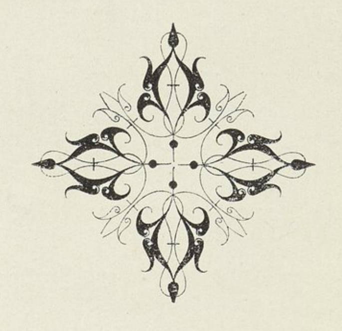
جلّ نار في القافية مفصول وانّما هو جُلٌّ من نارٍ واتّفق فيه تشبيه وتجنيس .

قال ابو الوليد اسماعيل بن عامر :

هذا ما عثَرْتُ عليه وانْتَهيْتُ البَحْث اليه . وان وقع إليَّ بَعْدُ وَصْفٌ رائِقٌ أو معنًى فائِقٌ أَلحَقْتُهُ في هذا الكتاب ووضعته بموضعه من كلّ باب والبشر غير معصوم ومن بذل جُهْدَ نفسِه فليس بِمذموم . وحسبي أَنّي قد جمعتُ من غرائب الاندلسيِّين ونوادِرهم واردتُّ من فضائِلِهم ومآثِرِهم ما يُمكِن أن يتغمّد به ويصفح من أجله عمّا عرض من زَلَل أو وقع مِنْ خَطَلٍ فرُبّما أدخلتُ لأَهل عصري ما يَقْرُبُ

من البديع ولا يَبْعُدُ عن الرفيع فمن نَقَدَ ذلك فليعلم أَنّي لم أَجْهَلْهُ وإنَّما تحفَّظتُ من ناظميهِ وأَغْضَيْتُ لهم على ما فيه وليس ذلك إلَّا في أَبْياتٍ يَسيرةٍ وصِفاتٍ غَيْرِ كثيرةٍ والله المُسْتَعان على التوفيق والهادي الى سواء الطريق .

تمَّ كِتاب البديع في وصف الربيع بحمْدِ الله وعوْنه وصلى الله على محمدٍ خيرته من خلقِهِ وعلى اهله وسلّم تسليما .



فهرست الكتاب

فهرست أسماء الرجال

فهرست اسماء الأماكن

فهرست اسماء الأنوار

فهرست القوافي

حرف الالف المقصورة

— اهُ —

حرف الهمزة

— ء —

كامل : النجباء . الغنّاء . الأعداء . بالاطراء . الجوزاء . وعلاء : ٨٧ـ٨٨ـ الاسواء . الإهداء . الداء . الغرّاء . العلياء . ظلماء . الجوزاء : ٨٨ .

خفيف : رياء . الظرفاء : ١١١ ـ الصحراء . زرقاء . السماء . الهواء . العلياء . الثناء : ١٣٩ .

حرف البـاء

ـــ بْ ـــ

كامل : وانتدب . العنب . والنخب . القضب . ذهب . مرتقب . لجب . وانتهب . رجب . واقترب : ١٣٣ .

رجز : اكتأب . منتخب . شرب . نصب . قصب . ينقضب . الحبب . ويصطحب . يقترب . يصب . خرب . أحب . كشب . كلب . منسرب . غلب . وحرب . الكرب . المضطرب . العرب : ٧٤ـ٧٥ ـ مكتئب . منقلب . وهب . وطرب . اقتضب . المعتقب . فغلب : ٨٦ـ٨٧ .

سريع : رقيب . وطيب : ٤٩ـ٥٠ ـ الصواب . الشباب : ١١٢ـ الاديب . مغيب . طيب . الرقيب : ١١٤ .

منسرح : الصوب . المعجب . يثقب . أشهب . يسكب . مغرب . تلعب . ذوب . أطيب . تخطب . تسهب . المعرب : ١٥ .

متقارب : بالذهب : ٥١ ـ وطب . قرب . عجب . بالذهب . اللعب . بالنخب . العرب . تطب : ١٠٠ .

— بِ —

— بِهْ —

— بِهِ —

— بِها —

— با —

مديد : قببا . انتقبا . نصبا . يثبا . واستلبا : ٣٤-٣٥ .

كامل : مطيبا . مركّبا . مترقبا . تتلهّبا . وتحبُّبا : ٤٠ .

سريع : الكبا . كبا . مذهبا . مذهبا . الربى . الربا : ٢١ .

— بَهْ —

رمل : مكتسبه . قرطبه . منتهبه . منتسبه . مستغربه . المغتربه : ١٢٢

منسرح : صبه . هبه . لبه : ١٥٠ .

خفيف : وغرابه . بابه . جلبابه : ١٤٦ .

— بُ —

طويل : الكواعب . يراقب : ٩٨ .

كامل : أريب . عجيب . حبيب . غريب . رقيب : ٣٣

— بُهُ —

كامل : تصحبه . ومذهبه . تخطبه . تلهّبه . تطيّبه : ١٢٦ .

حرف التاء

— تِ —

بسيط : مبهوت . اليواقيت . تشتيت . اليواقيت . كبريت : ١٠٤ .

— تِهْ —

خفيف : هيئاته . وصفاته . مجلاته . ذاته . عداته . كصلاته : ١٢٩ .

— تِهِ —

كامل : شجراته . وجناته . عداته . نفحاته . صفاته . غاياته . عزماته .

حياته : ١٢٢-١٢٣ .

حرف الثـاء

— ثُ —

طويل : شعث : ٨٧ .

حرف الجـيم

— جْ —

رجز : البهج . ودعج . السبج : ١٤١ .

رمل : نسج . خرج . اعتلج . المبتهج . السمج . الهزج . وديج : ١٠ .

مجتثّ : يتوج . مرتج . تتأجج . البنفسج . مدبّج . تتوهّـج ، تنتج .

ملجّج . يعرّج . المتضرّج : ١٠٦ .

— جِ —

طويل : وأبهج . والشج . ومدمج . المتضرج . ودملج . المتبلج : ١٠٦-١٠٧ .

بسيط : بتزويج . ومنتوج . منسوج . الديابيج : ٦ ـ والأَرج . السبج : ١٤١ .

منسرح : يدجي . الزنج : ١٤٦ .

— جُ —

منسرح : مزدوج . دعج . الأرج : ١٥٦ .

حرف الحـاء

— حْ —

رجز : مفترح . منتزح . يبح . يصطبح : ١١١ ـ المدح . ورجح . ولمح . وضح . فانجرح . نفح : ١٢٤ ـ لمح . قزح : ١٤٠ .

خفيف : فاقترح . والقدح . المدح . يلتمح : ١٥٢ .

— حِهِ —

طويل : بالتماحه . وراحه . وصباحه . وشاحه . أقاحه . سماحه . جناحه : ١٠٣ .

بسيط : تفتحه . ترنحه . واملحه . . . حه . مرشحه : ١٥٨ .

— حا —

كامل : جناحا . وشاحا . مرتاحا . أقداحا . فاحا : ١٩ .

متقارب : وارتيـاحا . الاصطباحا . وفاحا . السماحا . السـلاحا . والرماحا : ١٠٩-١١٠ .

حرف الدال

— دْ —

بسيط مخلع : وارد . سواعد : ٩١ .

رمل : البعد . الجسد . جدد . واستعد . الكمد . رمد . الجلد . بالبعد : ١٧ ـ رد . وأمجد . هجد : ٦٧ .

مجتث : عسجد . نضد . كالزبرجد . والند . مجدد : ١٤٩-١٥٠ .

— دِ —

طويل : ويغتدي . المسهد . زبرجد . المتوقد . محمد . مجتدي : ١١٩ـ الحد . الورد . العهد : ١٢٠ .

كامل : عاد . ومراد . باد . الفرصاد . عباد . وعماد . جواد . حداد : ١٠٧.

سريع : الوجد . الورد : ١٢٠-١٢١ .

خفيف : رقاد . سواد : ١٥٣ .

مجتث : ونجد . اللازورد . فرندي : ١٥٧ .

— دِهِ —

كامل : ورده . خده : ١٢١ .

— دَهَا —

كامل : برودها . عقدوها : ١٠٨ .

— دُ —

بسيط : أبراد . أفراد . ميعاد . أجناد . حساد . عباد . منآد . والزاد : ١٤٧-١٤٨ .

كامل : شاهد . شاهد . عاند . زائد : ٧٠ ـ واحد . الفاقد . حائد . ساجد . الواعد . طارد . مساعد . قاعد . ساجد . قاصد . راكد . عائد . البائد . خالد . ويساعد . راصد . فاسد . الولد : ٧١ ـ الماجد . واقد . واعد . خالد . واجد . الوالد : ٧٢ ـ الماجد . الحاسد . وارد . معاند . بائد . واحد . جاحد . شاهد . حامد . ناهد . كاسد . المتعاهد . وفوائد : ٧٣ ـ وافد . خالد . تالد . العائد . الفاسد . الماجد . ووالد . ماهد . الفاسد : ٧٤ .

متقارب : يعبد . الأسود . توقد . ترعد . يوجد : ١٤٦ .

— دُهْ —

طويل : أسوده . توقّده . فتجعّده . تورده . تولده . اثمده . وزبرجده . وتولده . محمده . مزبده : ٥٢ ـ ووردہ . عهده . ورده . وفرنده : ١٣٩ .

— دُهُ —

منسرح : ويغمده . يجرده . يده . تعمده . زبرجده . يبدده : ١٥٦-١٥٧ .

حرف الذال

— ذِ —

حرف الراء

— رْ —

— رِ —

وافر . الأمير . السرير . نضير . الصغير . الكبير : ٩٤ ـ العطر . الخمر . الصفر : ١٣٠ .

كامل : مبشر . جوهر . أزهر . وأصفر . ممطر . أنور . محجر . مقمر . أذفر : ١٣ ـ زاهر . جواهر . المتظاهر . نظائر . جآذر . ناضر . الحاضر : ١٤ ـ عطار . الأشجار . بالأسرار . الجبار . النظار . الآثار . مقدار . بالكفار . الأقمار . إسفار : ١٠٥ ـ المخبر . الأصفر . العنبر . معمّر . مقصر . أذفر . الأعصر : ١٢٤ـ١٢٥ .

رجز : النضر . الخضر . صقر . بوكر . نحر . خمر . جمر . الدهر . الصدر . الحمر . الهجر : ١٥٩ .

رمل : درّ . بدر . فجر : ١٥٥ .

سريع : المخبر . أخضر : ٩٠ ـ والخبر . البرّ . والقسر . الزهر . عطر . الصفر : ٩٥ .

خفيف : والمنثور . الصدور . كافور : ٣١ .

مجتثٌ : المستمر . أغر . حبر : ١٤٧ ـ نار . والأزهار . باحمرار . والأبصار : ١٦٠ .

متقارب : النهار . القطار . النضار . الاصفرار . نار . البهار . السرار . مداري : ١٠١ـ١٠٢ .

— رِهِ —

كامل : نشره . زهره . سره . دره . تبره . وخبره . بشره . كعفره . بأسره : ٢٦-٢٧ .

— رَا —

طويل : حسرى . خفرا . تبرا . يدرى . سرا . جمرا : ٣٥ ـ طاهرا . ساهرا . ناضرا . عاطرا . مساهرا : ١١٣ .

بسيط : منفطرا . حرى . وعرا . بهرا . كرى : ١٠٢ .

كامل : جوهرا . ينثرا . مشمرا . مخبرا . للورا : ٢٧ .

رمل : انفجارا . حذارا . حيارى . جهارا : ٣١-٣٢ ـ قدرا . عطرا . نشرا . صفرا . وسكرا . شكرا . تترى . وبرّا . عمرا : ٨٣ .

— رُ —

طويل : الخمر : د ـ والنثر . الفجر . صفر . النشر : ١١٩ .

بسيط : غدّار . ونوار . أزرار : ٩٠ ـ تستتر . مشتهر : ١٠٩ .

بسيط مخلع : نار . انكسار . انتثار . اصفرار . نهار . اقتدار : ١١٨ .

وافر : الذمار . عثار . انتصار . قرار . صغار . نهار . العقار . جبار : ٩٣ .

كامل : يسفر . منظر . ومطرّر . ومزعفر . تبختر . تعبر . يتعطر . وتظهر . عبقر . يقدر . فتقطر . تنظر . وتفخر : ٢٧-٢٨ ـ وتمطر . تستر . العنبر : ٢٩ ـ الأنوار . آذار . أقمار . يحار . مدرار . نضار . إيثار . نار .

معار . نوّار . أشفار . غزار . خيار . السمّار . الاوطار . الأبصار . ودثار .
آثار . منار . الأزرار . غدار : ٥٠ - ٥١ — وتحار . الأشفار . دينار . العطار .
بهار . الأمطار . الأبصار . الأوتار . نضار . بحار : ٩٩ - ١٠٠ .

منسرح : الدهر . صفر : ١٢٥ .

خفيف : الاعتذار : ٦٢ .

— رُهُ —

بسيط : ينثره . ومخبره . فاذكره . ومحجره . أؤثره : ١١٥ — منظره .
مظهره . تؤثره . يصفره : ١٣٤ .

كامل : عذاره . وثماره . آذاره . أطياره . أنواره . ديناره . ناره .
داره . عطاره . نهاره : ٢٠ - ٢١ .

منسرح : وأصفره . وعنبره . يهجره . وتنشره : ٣٠ - ٣١ .

— رُها —

طويل : ثغورها . تستثيرها . تستجيرها . نورها . نصيرها : ١٤٩ .

حرف السين

— سْ —

كامل : الغلس . اختلس . دلس . الحرس . والأنس . ملتبس . أنس .
الدرس . الحرس . تعس . والتبس : ١١٠ - ١١١ .

منسرح : الأنفس . الملبس . سندس : ١٥٧ ـ ١٥٨ .

— سِ —

بسيط : مغروس . الحنـاديس . سوسي . الطواويس . تدنيس .

كيسي : ١٤٠ .

وافر : نفسي : ٥٦ .

كامل : تنعس . الأكؤس . مكتس . أملس . الانفس . وموسوسي .

مجلسي : ٣٦ ـ ٣٧ ـ تأنسي . الأنفس . يتحسس . مؤنسي . السندس .

بالمجلس . الخندس . الكنّس : ٣٩ ـ ٤٠ ـ النرجس . الكنس . السندس .

تنفُّس . الأكؤس . والأنفس . ملبس . واحبس . المجلس . بتنفّس .

يكتسي . الخنّس . المؤتسي : ١١٥ ـ ١١٦ .

— سَهْ —

رجز : إقليدسَهْ . مسدّسه . ملبّسه . مدلّسه . معطسه . محتبسه .

محترسه . مترّسه . منكسه : ١٣٤ ـ ١٣٥ .

متقارب : آنسه . أسّسه . أفلسه . طلّسه . ورّسه . السندسه . ملبسه .

مغلسه . حندسه . معرسه . قدّسه : ١٩ ـ ٢٠ .

— سَها —

طويل : مسّها . كأسها . شمسها . وقسّها : ١٠١ .

— سُ —

رجز : الشمس . حُبس . حَبس : ١١٢ .

سريع : ناعس . حارس : ١١١-١١٢ .

حرف الشين

— شْ —

متقارب : الغبش . نمش . عطش . منعرش . الحنش . نقش . دهش : ١٨ .

حرف الصاد

— صُ —

خفيف : التفصيص . خصوص . اللصوص : ٤٠ .

حرف الضاد

— ضْ —

رمل : والمرض . تنتقض : ٥٧ .

طويل : مفضّض . معرض . نضي . متعرّض : ١٣٥ .

خفيف : ماضي . قاضي : ٩١ .

— ضَهْ —

كامل : الغضّه . مرفضّه . بضّه . فضّه . مرضه . عضّه : ٣٧-٣٨ .

مجتث : أرضه . بضّه . محضه . مرفضّه . مبيضّه . عضّه . مُمضّه .
عرضه . الغضّه . فضّه . عرضه . قرضه . وعرضه : ٤١ ـ وأرضه . غضّه .
أرضه . فضّه . غمضه . مبيضّه . المرفضّه . محضه . بضّه . أرضه . مخضه .
عرضه . فضّه . عضّه : ٤١-٤٢ ـ أرضه . مبيضّه . غضّه . بضّه . عضه .
محضه . ترضه . نهضه . وعرضه . أمضه . خفضه : ٤٣ ـ غضّه . عضّه .
وافتضّه . مقتضّه . مضّه . غمضه . بضه . المبيضه . منقضّه . غضّه . فضه .
المرفضّه . محضه . عرضه . منفضه . عرضه : ٤٣-٤٤ ـ حضه . ومضه .
نهضه . غرضه . قرضه : ٤٤-٤٥ ـ غضه . محضه . بعضه . مرفضّه . أمضه .
عضّه . عرضه . مبيضه . بالفضه . عرضه . غضه . مرضه . خفضه . بغضه .
يفضّه . لرضّه : ٤٥-٤٦ ـ غضّه . بعضه . فضه . محضه . بضه . بغضه . أرضه .
غمضه . قرضه . خوضه . كغمضه : ٤٦-٤٧ ـ لتمضه . أرضه . فضه . ومحضه .
فضه . المبيضه . بضه . بعضه : ٤٧ ـ فضه : ٤٨ ـ غمضه . غضه . عضه .
بضه . يغضه . وبغضه . غضه . يرضه . مبيضه . فضه . محضه . بعضه : ٤٩ .

— ضُ —

منسرح : تبيضّ . عضّ : ٩١ .

حرف الطاء

— طْ —

سريع : تنبسط . قطط . يلتقط . سقط . نقط : ٨٩ .

متقارب : الصراط . سباط . البساط . خاط : ١٢٤ .

— طهْ —

بسيط : معطه . ملتقطه . وسطه : ٧٦ ـ غلطه . وسطه : ٧٦ .

حرف الظاء

— ظْ —

مجتثّ : يلحظ . تعضعظ : ١٣٧ .

كامل : واحفظ . والحظ . موقظ . محفظي . فاستيقظ . واغلظ :
١٢٦ ـ الملتظ . يلحظ . البهظ . تلتظي . محفظ . المتيقظ . يلحظ . حظي .
اللفظ . اللاحظ : ١٢٧ .

حرف العين

— عْ —

سريع : الطلوع . الرفيع . السميع . بديع . الجميع . ربيع . فروع :
١٦ ـ البديع . الرفيع . الربيع . الجميع . يستطيع . الطلوع . مطيع : ١٤٨ .
متقارب : البديع . الربيع : ١٥١ ـ ١٥٢ .

— عِ —

طويل : بمسمع . المتخلع . موضع . بأربع . تصنُّع . الممتع . بأبدع : ٩ .

بسيط مخلع : بديع . الرفيع . الهجوع . الربيع . النصوع : ١٠١ .

كامل : تطلّع . ممتع . مجزع . مطلع . وتوقع . مشبع . وتوجع .

كالمتطلع . يهجع : ٣٥-٣٦ — فاقع . السابع . الراضع . المائع . الرائع .

مدافع . شائع : ١٣٠ .

— عِه —

كامل : أيناعه . شعاعه . قراعه . طباعه . وشراعه . إقلاعه . باعه : ٧٩ —

أيناعه . شعاعه : ١٠٤ .

— عُ —

سريع : الناصع . ساطع . صانع . فاقع . راكع . شاسع . الرافع .

الخاضع : ١٤٣-١٤٤ .

حرف الفـاء

— فْ —

كامل : تسعف . الترشف . مصنف . مصحف . وأحرف : ٧ .

منسرح : يعرف . يوصف . يقطف . ينذف : ٩٢ .

مجتث : تطرف . مفوف . أصلف . تعزف . لتظرف : ٨٢ .

— فَا —

منسرح : صدفا . أنفا . لحفا . لطفا . ظرفا : ١٥٦ .

خفيف : وصفا . وعرفا . إلفا . فأعنى . المصفى . صرفا : ٩٦-٩٧ .

حرف القاف

— قْ —

رجز : رمق . وخلق . ومنتشق . الحدق . الورق . فلق . بلق . طرق . فتق . خلق . اندفق . رفق : ١٥٤ .

رمل : محق . أحق . صدق : ٦٥ .

— قِ —

طويل : للمتشوّق . بمنطق : ٣٤ .

بسيط : الحدق : ٤ـ منشوق . معشوق : ١٣١ .

كامل : التنميق . المشقوق . تمزيق . والتأريق . المعشوق . الريق . وعقيق : ٣٢ ـ الفائق . الرائق . سابق . لاحق : ١٢٨ .

رجز : روق . مندلق . نفق . يقق . طبق . ورق : ١٣٧-١٣٨ .

منسرح : السبق . الورق . البرق : ١٥٩ .

خفيف : شفيق . الشروق . العقيق . الدقيق . صديق : ١٢٢ ـ طريق . الحقوق . عقيق . الرحيق : ١٥٢ .

— قهْ —

منسرح : ورقه . أرقه : ٩٥ .

— قا —

كامل : رائقا . وشقائقا . والشائقا . العاشقا . متناسقا . وتعانقا : ٦-٧ .

رمل : عرقا . ومقا . فرقا . أفقا . الحدقا : ٣٣-٣٤ .

— قَهْ —

منسرح : منطبقه . أرقه . مقه . علقه . خلقه . الغدقه . طبقه : ١٤٥ .

— قُ —

طويل : يتخلق . وأعلق . ينطق . وأعبق . ويونق : ٩٧ .

سريع : العشق . النطق . البرق . الطلق : ١١٥ .

متقارب : المونق . مشرق : ١٣٩ .

حرف الكاف

— كْ —

رجز مشطور : المنسبك . البرك . التكك . فرك . امتسك . النسك .
واشترك . المنهتك . لك : ١٤٤-١٤٥ .

— كِ —

طويل : سلك . المسك : ١٠٧ .

كامل : تملّك . مستهلك : ٥٧ .

رجز : المسك . سك . السلك . بالملكّ . يحكي . شك . كالملك : ١٥٣ .

— كِهْ —

رمل : ملكه . كفلكه . لملكه . لسلكه . لملكه . بهلكه : ٩٢ .

— كُ —

طويل : السبك . السلك . ضحك : ١٣١ - ١٣٢ .

رمل : الدرك . ملك : ٥٧ .

حرف اللام

— لِ —

طويل : الشمل . الصقل . البخل . نقلي : د - بنيال . بلا ل . بغوال : ٥٠ .

بسيط : والعمل . البطل : ٨ .

بسيط : والكسل . شغل . الخضل . فصل : ١٣٢ .

كامل : ومحول . خيول . بنصول . معذول . ثكول . مفصول . أصيل .
نزول . مغلول . المعسول . بشمول . إسمعيل : ١٠ - ١١ .

متقارب : مقتلي . السلسل . يعدل . منزل . بلي . الاول . بقطربل .
بالمؤتل . بالأجل : د .

— لِهِ —

متقارب : مثله . نيله . وصله . فعله . ليله . قفله : ١٤٣ .

— لا —

كامل : جميلا . التخييلا . التأويلا . دليلا . تعطيلا . قبولا . خليلا .
شمولا . خمولا . التفضيلا . محجولا . مقبولا . تسجيلا . التأويلا . سليلا .
تعطيلا : ٨٠-٨١ — نبيلا . أثيلا . مفضولا . إسماعيلا . وقبيلا . وطولا .
والتمثيلا . فتيلا . قليلا . تخييلا . محمولا . بخيلا . مسؤولا . سؤولا . ذبولا .
مجهولا . محصولا . معمولا . مفصولا . ذليلا : ٨١-٨٢ .
رمل : أوّلا . وحلا . البلا : ٦٦ .

— لُ —

طويل : جثل : ٨٧ .
كامل : متنصّل . المتأصل . الأفصل : ٦٥ .

— لُه —

بسيط : سائله . وسائله . غلائله . رواحله . قابله : ١٢١ .

حرف الميم

— مْ —

كامل : نائم . العوائم . المعاصم . بالكمائم . واجم . ناظم . باسم : ١٥-١٦ .
سريع : والكرم . الهمم . الشمم . تشم . علم . ذم . النعم : ١١٧ .

حرف النون

— نْ —

بسيط مخلع : بسوسان . إنسان . غيران : ١٣٤ .

سريع : والعيون . المستبين . مصون . قرين : ٩١ ـ الوسن . الحزن : ٩٧ ـ حسان . زعفران : ١٤٩ .

— نِ —

خفيف : والعقيان . بالزعفران : ١٥٠ .

مجتثّ : عين . بين : ٧٧ ـ بالراحتين . وبين . لجين . يدين . عين . وزين . الشعريين . وبيني : ١٣٨ .

— نَا —

كامل : لتقطنا . وبعجتني . ألسنا . القنا . جنى : ١٣٦ .

رجز : مجتنى . الضنا . تلونا . زينا . ملسنا . رنا . تروقنا . حسنا . تقتنى . لونا . الجنى . بالمنا . وسنا . الدنا . السننا . يفتننا . أزمننا . فننا : ٣٨-٣٩ .

— نُ —

بسيط : ونيسان . والشان . كتمان . وسنان . أجفان . تزدان . سلطان . ثملان : ١٢٥-١٢٦ .

منسرح : يستبين . مقرون . والغصون . سكون . فنون . المصون : ١٢٣ .

حرف اليـاء

-- يّ --

سريع موشح : وفضي . ومسكي . دري . سماوي . نوري . علوي : ١٨.

-- يهِ --

كامل : يخفيه . بشبيه : ٥٧ ـ زيه . جنيه . وسميه . خيريه . بريه . بحليه : ٨٤ .

-- يّا --

بسيط مخلع : مليا . صيرفيا . البهيا . قسطريا . والرديا . السريا . الكميا . الذكيا : ٢٥ ـ ٢٦ .

-- يَهْ --

سريع : الضافيه . صافيه : ٩٠ .

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	٨	(٢ ظ)	(٦ ظ)
١٣	٢	بوجه مفسم	بوجه مقسم
»	٨	الربا	الربى
١٤	٥	»	»
٥١	١٤	ابن عمر	أبي عمر
٦٦	٧	الربا	الربى
١٠٣	١٥	ذهْبية	ذهَبية
١٠٤	١٤	أو لا تقرب زوردية	أو لازوردية
١٤٦	١١	البلَمي	البلْمي
١٥٠	١٢	»	»
١٥١	٩ـ١٠	وأدل عليهم إعداءه	لعل الصواب : وأدام عليهم علاءه
١٥٤	١١	بنِيات	بنَيات
١٥٥	١٣ـ١٤	أو كسوف وسط بدر وزيادتي :	وزيادتي : أو كسوف وسط بدر
١٥٦	١٦	حبَّتْني	حبَتْني
١٥٧	٣	وحُبّه	وحَبّه

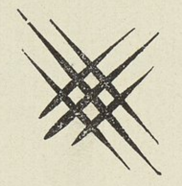
صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٥٧	٧	يعجر	يعجز
١٥٩	٩	السبَق	السبْق
١٧٠ (عمود ١)	١	(يضاف)	حبيب ابن عامر (أبو المؤلّف) ٢٤-٢٨-٤٧-٤٩-٥٠-١٠١-١١٠-١٢٨-١٢٩-١٣٩-١٥٤ .

siècle, sous les Almoravides. On pressent déjà une littérature courtoise, raffinée, pleine de subtilités dont les représentants les plus éclatants seront le prince de Séville al-Muᶜtamid, le vizir Ibn Zaïdûn et l'amateur de jardins Ibn Khafâja.

L'anthologie d'Abû-l-Walîd al-Himyarî al-Andalusî servira de modèle aux recueils poétiques immédiatement postérieurs, et en particulier aux *Qalâ'id alᶜ-iqyân* d'al-Fath ibn Khâqân. Ce qu'Abû-l-Walîd a fait pour Séville, Ibn Khâqân le fera pour toute l'Espagne musulmane des Reyes de Taifas et des Almoravides, mais avec moins de méthode et un goût moins sûr.

Qu'il me soit permis, en terminant cette Introduction, d'exprimer mes sentiments de reconnaissance à M. Louis Brunot pour avoir bien voulu admettre cette anthologie andalouse dans la Collection, déjà si riche, des Textes arabes publiés par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines. Mes remerciements vont aussi à M. Allouche qui, par ses interventions auprès de l'imprimeur, a pu permettre une typographie irréprochable.

Alger, le 20 juin 1940.



les poètes espagnols ont la plus grande prédilection ; mais nous n'y trouvons pas, en réalité, une *symbolique* ou un *langage des fleurs* d'après leurs couleurs. Trois couleurs seulement, et c'est bien schématique, semblent avoir une valeur de symbole à leurs yeux : le *blanc* symbolise la vierge et le deuil andalou ; le *jaune*, l'amant malade d'amour, la maîtresse parfumée au *khalûq* et l'ingrat ou le jaloux ; le *rouge*, la vierge dont les joues s'empourprent à la vue du bien-aimé.

Le thème des odeurs, bien que fréquent, ne fait que répéter des mots et des images d'un usage courant dans la littérature orientale.

Il serait plus intéressant de dresser l'inventaire des comparaisons auxquelles ont prêté les descriptions de fleurs. C'est ce que nous avons fait en détail dans notre ouvrage : *La poésie andalouse, en arabe classique, au XI^e siècle,* auquel nous nous bornerons à renvoyer (5). Qu'il nous suffise, ici, de reproduire notre conclusion :

« Les poètes andalous, dans leurs *nawriyyât,* ont montré un amour sincère pour la fleur ; ils ont cherché avec évidence la plus grande précision dans les descriptions, sans trop verser pour cela dans la préciosité. Les fleurs qu'ils décrivent ont été vues autrement qu'à travers des souvenirs d'école. Les précisions qu'ils donnent prouvent qu'ils ont fait leurs observations dans la nature même ; on n'a à aucun moment l'impression de végétaux en papier peint. Si les métaux précieux abondent dans les comparaisons, on y trouve tout aussi souvent des rapprochements avec les êtres humains. Quel que soit le procédé employé pour rendre leurs impressions, ils cherchent toujours à animer la nature, et, dans les couleurs, les parfums et les formes, à retrouver un reflet de la civilisation matérielle dont ils peuvent voir les nombreuses manifestations autour d'eux. En donnant une telle ampleur aux descriptions de fleurs, ils se sont, en quelque sorte, approprié un genre que les Orientaux avaient connu, mais qu'ils n'avaient traité que comme un accessoire. La fleur, avec tout ce qu'elle éveille de couleurs et de parfums, est véritablement l'enchantement de la littérature andalouse du XIe siècle » (6).

Dans le champ volontairement restreint où Abû-l-Walîd a mené son enquête, on découvre les prémisses d'une poésie et d'une prose rimée qui ne devaient arriver à leur plein épanouissement que dans le cours du Ve = XIe siècle, sous les *Mulûk at-tawâ'if,* et dans la première moitié du VIe =XIIe

---

(5) *Op. cit.*, pp. 167-187.
(6) *Ibid.*, p. 187.

uqhuwân : camomille ou marguerite ; *chaquir* ou *chaqîq an-nuᶜmân :* coquelicot ou anémone rouge : *bâqilâ'* ou *jirjir :* fleur de fève ; *nawr ar-rummân :* fleur de grenadier fructifère ; *jullanâr :* balauste ou fleur de grenadier sauvage.

On peut s'étonner, à juste titre, de ne pas relever le nom des fleurs suivantes : *habaq* ou *raihân :* basilic ; *khozâma :* lavande ; *zahr :* fleur d'oranger ; *qaranful :* œillet ; *mardaqûch :* marjolaine ; *difla :* laurier-rose, qui sont pourtant bien méditerranéennes.

On remarquera, dans la Section II, le texte intégral de la longue *risâla* composée par Abû-l-Walîd, en réponse à l'épître célèbre d'Abû Hafç Ibn Burd Junior (pp. 52-58), pour établir la supériorité du narcisse des poètes sur la rose (pp. 58-67). Serait-ce vanité de la part de ce jeune auteur ? Peut-être ; mais, par contre, comment ne pas reconnaître une grande modestie dans le fait qu'il se cite habituellement le dernier, à la fin de chaque section, et qu'il fait précéder ses vers de ces mots : « Voici un fragment de ma composition qui, il me semble, offre quelque analogie avec les pièces qui précèdent et peut souffrir la comparaison avec elles ? ».

Autre chose étonne de la part d'Abû-l-Walîd : c'est l'apparente diversité des textes qu'il nous donne, bien que l'arsenal des comparaisons puisse être vite épuisé. Une seule fois une coïncidence entre deux vers se produit et l'auteur de faire observer, sans se prononcer : « Il se peut qu'il y ait démarquage ou simplement rencontre ».

Fortement influencée, dans la forme et le fonds, par les œuvres orientales, la littérature espagnole, cependant, s'est montrée originale en créant le *zajal* et le *muwachchah.* Bien avant le Vᵉ = XIᵉ siècle, ces deux genres étaient cultivés en Espagne ; mais les lettrés les considéraient comme des plantes parasites dans le jardin de la poésie et de la prose rimée et ils les rejetaient de leurs anthologies. Abû-l-Walîd n'a consenti qu'une seule fois à insérer un fragment de *muwachchah,* comprenant un *qufl* et un *baït,* soit en tout, six vers (Cf. p. 18).

Examinons sommairement le contenu proprement dit des morceaux renfermés dans le *Badîᶜ* et plus particulièrement ceux des Sections II et III.

Dans la Section II, il y a une série de pièces que nous pourrions appeler : *querelles de fleurs* ou *parallèles entre deux ou plusieurs fleurs.* Ces querelles se ramènent à trois thèmes principaux : le thème des services rendus à l'homme ; le thème des couleurs et le thème des parfums.

Le premier est très vaguement traité ; le second est celui pour lequel

« Les poésies de l'Orient, dit-il, ont retenu si longtemps notre attention qu'elles ont cessé de nous attirer et de nous séduire de leurs joyaux. D'ailleurs nous pouvons nous en passer, car il n'est pas nécessaire d'avoir recours à elles quand les Andalous possèdent des morceaux de prose étonnants et des poèmes d'une beauté originale... Les Orientaux, malgré le soin qu'ils ont apporté à composer des vers, à écrire leur histoire, servis qu'ils étaient par la longue période pendant laquelle ils ont parlé arabe, n'arrivent pas à trouver dans leurs œuvres les comparaisons (*tachbîhât*) relatives aux descriptions que je relève dans les compositions de mes compatriotes (*ahl baladî*)... » (4)

Pour montrer l'étonnante fécondité et la haute qualité de la poésie andalouse, l'auteur se borne volontairement à citer les seuls morceaux, pour la plupart en vers, qui traitent du printemps et plus spécialement des fleurs (*nawriyyât*) et, de toute l'Espagne, il limite son choix aux poètes ou prosateurs de Séville qui lui sont familiers.

Malgré sa jeunesse, Abû-l-Walîd montre une singulière rigueur de méthode dans le choix et l'ordre des morceaux insérés dans son anthologie. Aussitôt après une courte préface, il donne le plan du livre :

Section I. — Morceaux généraux sur le printemps dans lesquels aucune fleur n'est désignée nommément.

Section II. — Fragments renfermant des descriptions de deux fleurs au moins.

Section III. — Description de fleurs isolées.

Dans les Sections I et II, c'est le goût de l'auteur qui détermine la place de chaque morceau, encore que l'ordre chronologique soit respecté et que, parmi ses contemporains, il accorde la préséance aux princes ʿabbâdites.

Dans la Section III, Abû-l-Walîd range les fleurs dans l'ordre où elles apparaissent au cours de l'année :

As : myrte ; *yâsimîn :* jasmin blanc cultivé ; *zayyân :* jasmin sauvage jaune ; *bahâr :* narcisse des poètes ; *banafsaj :* violette ou pensée ;*khairî nammâm :* girofllée « nammâm » ou giroflée bleue ; *khairî açfar :* giroflée jaune ou violier ; *narjis açfar :* jonquille ; *narjis qâdûsî :* narcisse en godet de noria ou narcisse porillon ; *ward :* rose rouge ; *sawsan :* lys blanc ; *khorram :* iris bleu ; *naïlûfar :* nénuphar ; *nawr al-lawz :* fleur d'amandier ;

---

(4) Cf. le texte arabe dans cette édition, p. 2 et v. notre ouvrage : *La poésie andalouse, en arabe classique, au XI*[e] *siècle. — Ses aspects généraux et sa valeur documentaire*, Paris, Adrien-Maisonneuve, 1937, pp. 52-53.

INTRODUCTION

Le plus ancien recueil de vers mêlés de prose rimée qui ait été composé en Espagne Musulmane et que le temps nous ait conservé est le *Kitâb al-Badî^c fî waçf ar-rabî^c* d'Abû-l-Walîd al-Himyarî al-Andalusî (1). C'est celui que nous publions aujourd'hui d'après le ms., unique sans doute, qui se trouve à l'Escurial (n° 353 du Catalogue H. Derenbourg) (2).

Abû-l-Walîd (3) naquit à Séville vers 418 = 1026. Il eut pour maître Abû Ja^cfar Ibn al-Abbâr que nous trouvons cité très souvent dans le *Badî^c*. Son père, surnommé Habîb, déjà vizir du Qâdî *Dû-l-Wizâratain* Muhammad Ibn ^cAbbâd, n'eut pas de peine à le faire admettre, vers l'âge de vingt ans, dans l'entourage du prince ^cabbâdite en qualité de secrétaire et de vizir. Le jeune littérateur s'attacha à son maître qui le combla de présents. C'est pour lui qu'il composa son anthologie sur le printemps et les fleurs.

Son dessein a été nettement précisé dans la Préface du livre. C'est déjà un véritable manifeste de nationalisme littéraire.

---

(1) Avant lui, Abû ^cAmir Ahmad ibn Faraj al-Jayyânî (de Jaen, mort en 366 = 976) avait composé une anthologie andalouse du même genre : le *Kitâb al-Hadâ'iq* (Le livre des Vergers), mais elle ne nous est pas parvenue. Son existence est attestée par les emprunts que lui ont faits les auteurs postérieurs comme Ibn Bassâm, Ibn al-Abbâr et al-Maqqarî. Quant aux *Tabaqât ach-Chu^carâ'bî-l -Andalus* de ^cUthmân ibn Rabî^ca (m. vers 310 = 922), aux *Akhbâr ach-Chu^carâ' bi-l-Andalus* d'Abû Bakr Ibn Sa^cîd al-Khaïr al-Marwânî (m. en 340 = 951 et au *Kitâb fî Ach^câr al-Khulafâ' min Banî Umayya* composé vers 352 = 963, à l'instigation du calife omeyyade d'Espagne al-Hakam II, par Abû Muhammad Ibn Mughîth, pour rivaliser avec le *Kitâb al-Awrâq fî akhbâr Al ^cAbbâs wa-ach^cârihim* d'aç-Çûlî, il ne nous en est rien resté.

(2) Ce ms., du XII^e siècle probablement, serait parfait si quelques franges, attaquées par l'eau ou par l'humidité, n'avaient été effacées et si une lacune n'existait au f° 52 r° (p. 104 de cette édition).

(3) Sur Abû-l-Walîd Ismâ^cîl ibn Muhammad ibn ^cAmir ibn Habîb al-Himyarî, cf. ad-Dabbî, *Bughyat al-multamis* (*Bibliotheca arabico-hispana*, t. III), Madrid, 1884-1885, p. 213, n° 534 ; Ibn Bassâm, *Ad Dakhîra*, t. II, ms. de Paris, Bibliothèque Nationale, n° 3332, f°40 v° - 41 v° ; Ibn al-Abbâr, *at-Takmila li-Kitâb aç-Çila*, éd. Bel et Ben Cheneb, Alger, 1348 = 1920, p. 219, n° 474 ; Ibn Sa^cîd, *^cUnwân al-murqiçât*, p. 60 ; al-Maqqarî, *Nafh at-tîb* (Analectes), II, 289-290 ; A. Daif, *Balâghat al-^cArab fî-l-Andalus*, p. 152, n. 1 (d'après Ibn Bassâm et al-Maqqarî) ; H. Derenbourg. *Les manuscrits de l'Escurial*, t. I. Paris, 1884, p. 225, n° 353 ; C. Brockelmann, *Gesch. d. arab. Litteratur*, II. 12, § 15 (rectifier les dates) ; A. Gonzalez Palencia, *Litteratura arabigo-espanola* (Ed. Labor.), p. 183 ; E. Garcia Gomez, *Poemas arabigoandaluces*, p. 41, n° 3.

COLLECTION DE TEXTES ARABES
PUBLIÉE PAR L'INSTITUT DES HAUTES ÉTUDES
MAROCAINES VOLUME VII

ABU-L-WALID AL-HIMYARI

AL-BADI^c FI WAÇF AR-RABI^c

(ANTHOLOGIE SUR LE PRINTEMPS ET LES FLEURS)

TEXTE ARABE

publié pour la première fois
avec une Introduction et quatre Index

par

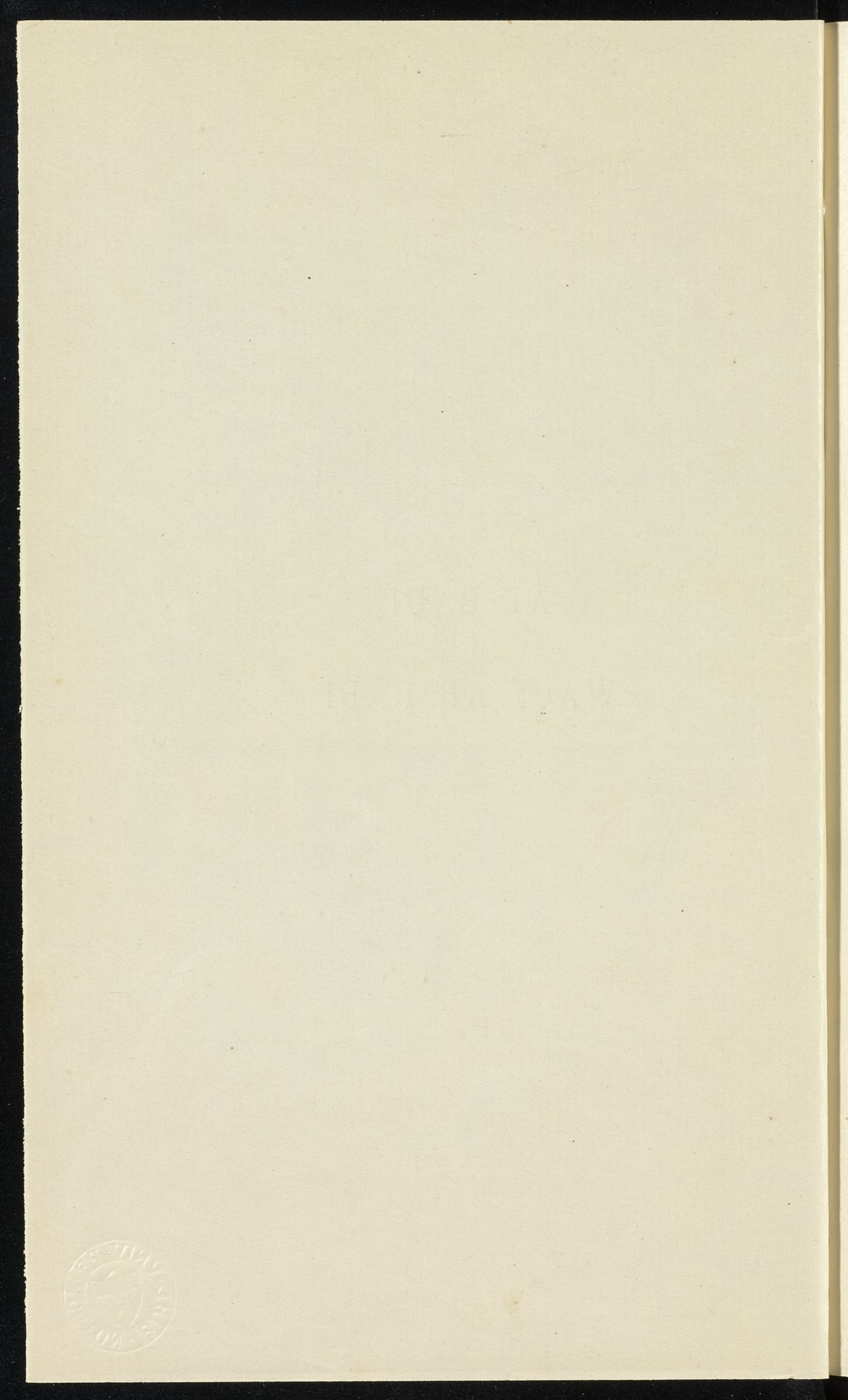
Henri PÉRÈS

Professeur à la Faculté des Lettres d'Alger



RABAT 1940

IMPRIMERIE ÉCONOMIQUE — RUE DE POITIERS



AL-BADI^{c}
FI
WAÇF AR-RABI^{c}

